عبد الله إمام

الناصرية

دراسة فى فكر جمال عبد الناصر
مدعمة بالوثائق ومحاضر اللجنة المركزية

تقديم:

ضياء الدين داود

فهرس

الموضـــوع	الصفحة
الاهـــداء	٧
تقـــديم ـ للسيد / ضياء الدين داود	٩
هذا الكتاب	١٣
فلسفة صنعتها مسيرة الثـــورة	١٧
الحـــرية	٥١
لا احتكار فى السلاح	٩٩
مهام لكل الناس من أجل السلام	١١٠
ضمانات للنصر على الاســتعمار	١٣١
اسرائيــل قاعدة استعمارية وعنصرية	١٣٥
الطريق الى الحرية السياســية	١٥٦
الاشتراكيـــة	١٧٥
الاشتراكية هى الحل الوحيد الحتمى	١٩٦
نعم .. اشتراكية علميــة	٢١١
الحــرية للشعب .. وليست لاعدائه	٢٢٠
تحالف بدلا من الحزب	٢٧٩
ملكية خاصة .. ولكن	٣٣١
اشتراكية علميــة تؤمن بالدين	٣٦٢

تقديم :
بقلم : ضياء الدين داود

قاد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الأمة العربية، والهمها طوال ثمانية عشر عاما من فكره وروحه الكثير وقدم لها من تضحياته ونضاله الأكثر .

وفى أثناء حياته كان منبعا مستمر الفيض بالفكر ، والتحليل مضيئا الطريق أمام الشعب العربى الذى آمن به ، ووثق فيه ، وبادله الحب والاخلاص .

ولقد كان هو بنفسه يقدم فكره فى بساطة وسهولة تصل الى الجميع فتستقر فى نفوسهم ايمانا قويا ، وفهما واعيا ، ثم ينطلق ارادة فاعلة .

وبعد انتقاله الى جوار ربه ، انطلقت الحناجر تنادى بالاستمرار على طريقه ، ومنهجه ، وتطلعت العيون ، والقلوب ، والعقول ، الى تراثه لكى تتخذ منه كما كان ، وكما اراده عبد الناصر مصابيح مضيئة على طريق النضال ، واكمال المسيرة الى غاياتها ..

نصرا يمحو عار الهزيمة ، ويسترد الحق .. وآمالا لما بعد النصر تقيم المجتمع الاشتراكى الذى تنمحى فيه كل صور الاستغلال ..

وامتـــدت كثير من الأيدى تجمع تارة أجزاء من التراث ، وتبوبها ، وتحلل ، وتفسر تارة أخرى .

كما صدر قرار اللجنة التنفيـــذية العليا بتشكيل لجنة للتراث ، يرأسها لخطورة مهمتها رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكى العربى .

ولا شك أن كل الجهود المتناثرة التى تبذل ، وكل الاجتهادات الأخرى سوف تعين اللجنة فى مهمتها ، وهى اسهامات مقدرة ، غير أنه ينبغى الحـــذر من التأويلات الخاطئة والمغتصبة للكلمات ، والجمل ..

وينبغى التنبه أيضا الى مراحل النضال وما أطلق فيها من شعارات ، وسادها من قيم لا بد بالضرورة أن تتغير بتغير المرحلة ، ومقتضياتها ..

وينبغى أيضا الحذر من استباحة التخريجات التى قد لا تبقى من مبادىء عبد الناصر ، الا عنوانهـــا ، وتحت هذا الستار قد تهدم نفس الفكر وتسىء اليه .

ولقد اطلعنى الأخ عبد الله امام على جهده الذى بذله مخلصا ، وفى حماس ، ومنذ اللحظات التى شعرنا فيها بعمق آلام فراق القائد ، وفداحة الخطب ، وصدق الاحساس بمسئولية كل فرد فى هذه المرحلة نحو فكر عبدالناصر ، وطريق عبدالناصر ، وأهداف عبدالناصر ، وكل بناء فكرى أو تنظيمى أو مادى اقامه عبدالناصر .. اطلعنى على فكرة اخراج هذا الكتاب ، وخطوطه فى تفكيره ، فرحبت بها ، وأخذت أتابع ما ينجز .

والحق انه قـــد التزم جانب الأمانة فى النقل ، والاستشهاد ، كما وفق فى اختيار معالم بارزة فى فكر القائد ، وفى نضاله ، ونجح فى أن يجعل من أحاديثه ، وكلماته مواضيع متصلة ، لا تفصلها سوى تداخلات يسيره توضح ، وتؤكد ، مع استطرادات فى مواقف كانت تحتاج لمزيد من الوضوح أو التناول لجوانب أكثر ، أو التأكيد من الواقع على صدق تحليل المعلم ، وعمق رؤيته وتحليله .

ولقد كان عبد الله امام فى هذا المسلك ملتزما بما أشار اليه من أن عبد الناصر لم يكن يقول كلاما نظريا لا يفهمه الا الخاصة ، فقد كان هو نفســـه يشرح ، ويحلل ، ويبسط ، ويستخرج النتائج .

ان الكتاب يتنقل بنا بين السياسة الداخلية والتطبيق الاشتراكى ، والقضايا النظرية المختلفة التى طرحها المعلم فى هذا المجال ، كقضية الاشتراكية ، وصراع الطبقات والنظرة التحليلية لحقائق العلاقات الاجتماعية ، وارادة التغيير الثورى . وقضايا الحرية والديمقراطية ، والثورة الاجتماعية وقضايا ومعارك بناء الجيش الوطنى وتدعيم الاستقلال الاقتصادى مع اقامة القاعدة الاقتصادية السليمة ودور الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة فى قيادة الاستعمار الجديد ، ومواجهة تحدياتها ومؤامراتها . الى السياسة الخارجية ، التى هى انعكاس للسياسة الداخلية ، والتى أملت مبدأ القومية العربية ، والوحدة العربية ، ثم الوحدة الافريقية ، والتعايش السلمى ، والحياد الايجابى ، ونبذ الأحلاف ، ومقاومتها ، بل واسقاط كل المحاولات التى بذلت لربط الوطن العربى بها ثم الصراع العلمى بين قوى التحرر الوطنى وقوى الاستعمار الذى تقوده الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى كل ذلك كان المؤلف يبذل محاولات مخلصة للتأصيل ، وابراز الأسس النظرية ، مع عدم اغفال التطبيق .

وفى يقينى أن هذا المؤلف خطوة هامة وبناءة ومخلصة ، على طريق الوفاء لعبد الناصر ، بل لأنفسنا ، باعتبار أن عبد الناصر بفكره ونضاله ، كان تعبيرا عن فكر ، ونضال الشعب العربى .. عن أنفسنا . وفى سبيل الارساء الصحيح الصادق والأمين لحقائق المواقف النظرية للقائد المعلم .

وهى كما قال المؤلف ، المحاولة الأولى التى نرجو كما تمنى أن تتطور .. وتتضاعف ..

هذا الكتاب

هذه ليست دراسة علمية شاملة فى فكر جمـــال عبد الناصر .. ولكنها محاولة لقراءة هذا الفكر ..

ان فكر عبد النـاصر يحتاج الى دراسات متانية وعميقة ، تكشف أبعاده ، وتبلوره أمام الجماهير ، التى آمنت به ، وأعلنت أنها متمسكة بالسير على هداه .. وفى طريقه .. وعلى ضوء مبادئه ..

واذا كان عبد الناصر لم يترك نظرية مكتوبة .. فانه ترك تراثا ضخما وضع فيه ذخـــيرة هائلة من الفكر ، والتجربة ..

ولقد خرجت من قراءتى لاجزاء كثيرة من هـــذا التراث بايمان واحد .. هو أن عبد الناصر كان مصريا .. أولا .. وأخيرا ..

انه كان يقف دائما أمام كل مشكلة وينظر الى مصر .. أولا ..

يتعاون مع الغرب .. ولكن تبقى مصر ، بعيـــدة عن سيطرته ..

يصادق الشرق .. وتظل صداقته غـير مشروطة بالنسبة لمصر ..

بعيدا عن كل سيطرة ... كان يريد دائما أن يقف ببلاده وأمته ..

وبعيدا عن كل مناطق النفوذ .. كان يريد أن تظل مصر والأمة العربية ..

وعندما كان يدرس اقتراحا أو مشروعا أو صداقة

دولية .. كان يسأل أولا أين بلاده من هذا الاقتراح أو هذا المشروع أو الصداقة .. هل هناك هدف للسطو على البـــلاد .. والتسلل اليها .. ليتـاكد أولا أنه لا هدف ، ولا محاولة للسيطرة ، أو السطو أو لفرض وصاية على حركتهـا الطليقة قبل أن يبدأ فى دراسته للمشروع ..

ولقد قال لجريدة ليموند ذات مرة . « الى هؤلاء الذين يسألونني أيهما أفضل الولايات المتحـــدة أو روسيا .. أقول لهم : أفضل مصر ..

« فينبغى أن يكون الدافع الوحيـــد لأعمالنا هو مصلحة بلادنا » ..

ولقد كان عبد الناصر يفضل دائما مصلحة مصر مؤمنـا .. انها أولا وقبل كل شيء جزء أســاسى من الوطن العربى .. ثم انها جزء من القارة الافريقية .. وهى بالضرورة جزء من العالم ..

فهو لم يفصـــل مصر عن قدرها العربى ، ولا عن واقعها الافريقى والعالمى ..

بل لعل العروبة عند عبد الناصر كانت أســاسا تجرى فى دمه ، تكشف وجه مصر العربية .. فالعروبة عنده حقيقة لا يستطيع أن يجادل فيها حتى أكثر الناس عداوة لفكر عبد الناصر التحررى والتقدمى ..

لقد أردت بهذه المحاولة فى قراءة فكر عبد الناصر ثلاثة أشياء :

● أولها : أن أسهم بجهد قليل فاضع أمام كل من سيدرس فكر عبد الناصر محاولة لقراءة هذا الفكر ، مرتبة على الدرجة التى تصورت أنها قادرة على بلورة وعرض أجزاء كبيرة منه .

● ثانيا : أن أقول انه يجب على جميع المثقفين فى العـــالم العربى ، وعلى أجهـــزة الاعـــلام ودور العلم ، والتربية فيه أن يدرسوا فكر عبـــد الناصر ، ويضعوه واضحا كما كان يحب عبد النـــاصر .. مبســـطا أمام الجماهير كما كانت هى طريقـــة عبد النـــاصر فى عرض الأمور وتبسيطها ..

فالجماهير التى خرجت ملتاعة باكية حزينة يوم علمت بفقـــد البطل .. لم يغب عن ذهنها فى أتعس لحظات حياتها بالهزيمة العسكرية ، أو بالموت أن ترفع شعار الاستمرار .. والاستمرار يعنى استمرار الثورة .. استمرار ارادة التغيير .. استمرار التقدم ، الذى كان عبد النـــاصر ينشده ، ويسعى اليه . عنـــدما كان يقول دائما اننى لن أقف الا حين يقف استغلال الانسان للانســـان ، وأن الاشـــتراكية طريق طويل ليس له نهاية .. والاستمرار سوف يصل بنا الى غايتنا .. وبفكر عبد الناصر الى منتهاه .

● ثالثا : لقد قصدت بهذه المحاولة التى قمت بها وفاء أردت أن أؤكده .. وهو أننى عشت فى حياة جمال عبد الناصر ، واننى رأيته .. واننى قابلته .. واننى عشت فى أمجد وأزهى فترات الوطن العربى فى العصر الحديث .. بل اننى أطللت على السـياسة من خلال فكر عبد الناصر .. ومن خلال تنظيمات عبد الناصر الجماهيرية ، ومن خلال ايمان لا حد له بجمـــال عبد الناصر .. المناضل .. والمفكر .. والانسان ..

وأخيرا ...

لعلى لم أجد صعوبة فى عرض فكر عبد النـــاصر ، ومبـــادئه وانما الصعوبة كانت فى محـــاولة شرح هذه

الأفكار والمبادىء ، فعبد الناصر لم يكن يقول كلاما نظريا لا يفهمه الا الخاصة . فقد كان هو نفسه يشرح ، ويحلل ، ويبسط ، ويستخرج النتائج .. وتلك أبرز خاصة فى عبد الناصر صاحب المدرسة السياسية ، وصاحب أسلوب مخاطبة الجماهير حتى فى أضخم الأمور ، وأكبرها .. وأعقدها .. بكلام بسيط يدخل عقل .. وقلب كل انسان ..

هكذا لم تقابلنى سوى صعوبة واحدة ، هى أن كلام عبد الناصر نفسه كان غنيا عن كل شرح ، وأكثر بلاغة ، وصدقا فى التعبير عن أفكاره وأحاسيسه ، من أى كلام آخر ..

فعبد الناصر لم يكن يقول كلاما نظريا يوجهه الى المثقفين ، بل انه كان يبسط الأمور ، ويوضحها بحيث يعلمها لكل الناس .. ويضع أقل فئات المجتمع وعيا وثقافة أمام أعقد النظريات بطريقة تمكن هذه الفئات من فهمها واستيعابها جيدا ..

وعبد الناصر لم يترك أمرا لم يكن له فيه رأى .. ولكنى آثرت أن أركز على الاركان الثلاثة البارزة فى فكره كما صاغها ورتبها .. وهى الحرية ، والاشتراكية والوحدة .

وحتى داخل هذه الاركان الثلاثة لا يمكن أن أدعى اننى استطعت أن أصل الى كل ما يحيط بها فى فكر عبد الناصر ..

ولكنها المحاولة الاولى .. وأملى أن تتطور فى مرة أخرى ..

عبدالله إمام

فلسفة صنعتها مسيرة الثورة

الناصرية فلسفة متكاملة تغطى كل جوانب الحياة ، فلم تقتصر على العموميات ، ولكنها تعرضت لأبسط التفاصيل اليومية فى حياة الناس .. فعبد الناصر لم يكتف بأن يضع الاطار النظرى لفلسفته ، بل انه كان يزيدها كل يوم ثراء سواء بالتطبيق ، أو بالمناقشة ، والقاء الضوء على كثير من تفاصيلها الصغيرة ..

واذا كانت الفلسفة الناصرية قد تعرضت لمشاكل السياسة الدولية وحددت موقفا واضحا من قوى الاستعمار والامبريالية العالمية ، واتخذت الحياد الايجابى وعدم الانحياز منهاجا ، فقد تعرضت بتفصيل اكثر لكل ما يمس السياسة الداخلية بعد أن نقلت السياسة من صالونات الطبقة لتكون عمل رجل الشارع العادى ، ومحور مناقشته ، ومحل اهتمامه .. ولم تضع محظورات على حركتها بنفس القدر الذى لم تضع فيه محظورات على حرية الجماهير فى العمل والحركة ، والحوار ..

ويمكن القول بأن الناصرية تستهدف أساسا الانسان .. فالانسان هو كل ما يشغل بال عبد الناصر .. ومن أجل هذا الانسان صاغ منهجه ليكون فى خدمته ، ويحقق له حريته وكرامته ويسترد به انسانيته واذا كان القائد قد غاب عنا ، قبل أن يتم البناء المتكامل للمجتمع الذى حدد أبعاد الطريق الذى يسير عليه ، فقد ترك مع ذلك فكرا شامخا ونظرة متكاملة تجيب على مختلف التساؤلات ، وتضع منهاجا كاملا وشاملا للتقدم .. هذه النظرة هى التى صاغها فى مواثيقه الثورية ، وزادها وضوحا فى مناسبات كثيرة تعرض لمناقشتها فى مواقف مختلفة سواء فى الاجتماعات

المفتوحة مع الجماهير أو المغلقة مع القيادات .. والساسة وزعماء العالم .

ولا يمكن أن نفصل أى فكر عن تطبيقه . خاصة بالنسبة للفكر الناصرى الذى كان يتم تطبيقه فى وجود القائد المناضل صانعه .. وواضعه .. الا أن هذه الدراسة لا تتعرض بشكل اساسى ومباشر للفكر فى التطبيق ذلك ان اهم ما يجب أن نحرص عليه وأن تعيه الجماهير التى آمنت بمبادىء عبد الناصر ، هو هذه المبادىء ذاتها ، وان تضع لها من الاطارات ما يناسب أن تنطلق الى الأمام فى اتجاه زحف الجماهير وتقدمها على نفس الاساس وبالطريقة التى رسمها وحدد ملامحها عبد الناصر فى فكره ..

ولا شك أن المنهج الناصرى لم يبدأ من فراغ ، كما انه لا شك ايضا أن هذه الفلسفة المتكاملة لم تولد مع بداية ثورة ٢٣ يوليو .. فلم يكن فى ذهن عبد الناصر قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو الا الأمل فى حرية الوطن ، والمواطن .. ولكن كيف .. كان هذا هو السؤال الذى استمر يختمر فى ذهن القائد ، ويجيب عليه كل يوم من خلال الممارسة والتطبيق طوال ثمانية عشر عاما « فنحن بعد قيام الثورة .. لم نكن على استعداد ، وذهبنا نلتمس الرأى من ذوى الرأى والخبرة عند أصحابها ، ومن سوء حظنا لم نعثر على شىء كثير » (١)

« ولم يكن مطلوبا منى فى يوم ٢٣ يوليو أن أطلع ومعى كتاب مطبوع وأقول ان هذا الكتاب هو نظرية ، مستحيل .. لو كنا قعدنا نعمل هذا الكتاب قبل ٢٣ يوليو لم نكن عملنا ٢٣ يوليو »

« فى الاسلام ، كان يقدر ينزل مع سيدنا جبريل كتاب مطبوع ومجلد ويقول : هذه هى النظرية ، هذا هو القرآن ، وهذه هى العقيدة ، وقد حدث ذلك ليعطينا ربنا فى حياتنا عبرة وعظة .. »

(١) كتاب فلسفة الثورة

« ابتدأ الاسلام بأشهد أن لا اله الا الله ، وأن سيدنا محمدا رسول الله .. ابتدأ الاسلام بهذا .. جملتان .. لم يبدأ بكل ما هو موجود فى القرآن ، ثم بدأ بعد هذا أيضا الاسلام يعطينا عبرا وعظة فى حياتنا فقد قال بالنسبة للسؤال عن الخمر فيها اثم وفيها نفع ، ولكن اثمها أكبر من نفعها .. بعد ذلك قال ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ، بعد ذلك حرم الخمر وقال : انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه »

« ٢٣ سنة لغاية تمام القرآن ، وتم نزول القرآن ، لماذا فعل الله ذلك ؟ فعله حتى يعطينا الفرصة والدليل أو الوسيلة التى نقدر أن نعمل بها فى حياتنا وفى دنيانا » (١) .

ويزيد القائد هذا الأمر وضوحا ، وكأنه يلقى الضوء على أن هذا الذى يحدث فى بلادنا انما هو نابع أساسا من تجارب عاشت واقع المجتمع ، ومن رؤية واعية وثورية مخلصة لكل ما يدور فيه ، واستجابة لمتطلبات الجماهير وأمانيها .

« يوم ٢٣ يوليو لا أعرف أبدا أن أتكلم الكلام الذى أتكلم به الآن ، وذلك لأنى لم أمش يومئذ فى تجربة العشر سنين التى وجدت فيها هذه المدة ، ويوم ٢٣ يوليو لو طلبتم منى محاضرة فى التكتيك اقول لكم محاضرة فى التكتيك أو أى موضوع عسكرى ، أما أن تقولوا أن أتكلم فى الثورة ، فى العمليات التى نتكلم فيها اليوم ، طبعا هذا موضوع من الصعب جدا أن اتكلم فيه .. ان ظروفنا قضت أن التطبيق الثورى ، تطبيقنا الثورى ، كان سابقا للنظرية .. النظرية هى دليل العمل .. عن أى شىء تكون النظرية .. هى تأتى عن دراسة المشاكل .. ولكن أنا فى رأيى ان الذين يقولون انه ليس هناك نظرية ونريد

(١) مناقشات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ٢٥ نوفمبر ١٩٦٤

ان نعرف النظرية ، يريدون ان يضعوا لنا عقدا فحسب .. بأى وسيلة من الوسائل ، وبأى شكل من الاشكال .. كيف نحل هذه العقد .. يقولون لنا « حلوها انتم » .. تكلم أى واحد يقول لك ليست هناك نظرية .. ما هى النظرية .. حدد لى الآن اين نقف » .

« انا لا استطيع ان احدد اين نقف .. الشعب هو الذى يحدد اين نقف .. لا استطيع ان احدد بالنسبة لى ، **انا لن استطيع ان اقف الا اذا انتهى استغلال الانسان للانسان** ، وكل واحد اصبح يشعر ان فيه فرصة متكافئة مع الآخر » (١)

* * *

التجربة التى بدأ عبد الناصر فى صياغتها منذ سنة ١٩٥٢ تجربة بالغة الصعوبة والتعقيد..فقد بدأ عبد الناصر زحفه الثورى مع الجماهير دون تنظيم سياسى ، وأيضا بدون النظرة الشاملة للتغيير الثورى

« فارادة الثورة لم تكن فى تلك الظروف تملك من دليل للعمل غير المبادىء الستة المشهورة التى نحتتها ارادة الثورة من مطالب النضال الشعبى واحتياجاته .. »

« ولقد كان هذا الشعب هو المعلم الاكبر الذى حمل على عاتقه فى اعقاب بدء العمل الثورى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عمليتين تاريخيتين لهما آثارهما الضخمة » .

« ان هذا الشعب المعلم راح أولا يطور المبادىء الستة ويحركها بالتجربة والممارسة والتفاعل الحى مع التاريخ القومى تأثرا به ، وتأثيرا فيه نحو برنامج تفصيلى يفتح طريق الثورة الى اهدافها اللامتناهية »

(١) مناقشات اللجنة التحضيرية .

« ان هذا الشعب المعلم راح ثانيا يلقن طلائعه الثورية أسرا
آماله الكبرى ويربطها دائما بهذه الآمال ، ويوسع دائرتها ب
يمنحها مع كل يوم عناصر جديدة قادرة على المشاركة فى صن
مستقبله » .

« والطلائع الثورية التى صنعت احداث ليلة ٢٣ يولي
**لم تكن قد أعدت نفسها لتحمل مسئولية التغيير الثورى الذ
تصدت لمقدماته** ، لقد فتحت الباب للثورة تحت راية المباد
الستة المشهورة ، ولكن هذه المبادىء كانت اعلاما للثورة ، ليس
اسلوب عمل ثورى ، ولا منهاج تغيير جذرى ، ولقد كان الامر
الصعوبة بمكان خصوصا فى جو التغيير العالمى البعيد المدى العظ
الاثر » .

« لكن الشعب المعلم صانع الحضارة .. راح يلقن طلا
اسرار آماله الكبرى ومضى يحرك المبادىء الستة بالتجربة والخ
نحو وضوح فكرى لصنع التصميم الهندسى لبناء المجتمع الجد
الذى يريده .. وراح الشعب الكادح يكدس مواد البناء ويج
جميع القوى الثورية القادرة على الاسهام فيه من صفو
الجماهير » (١) .

هل كان يستطيع عبد الناصر أن يضع نظرية مسبقة
التطبيق .. رغم ان ذلك لم يحدث ، فانه لو حدث لكان ق
مسبقا على دور الجماهير فى دفع عجلة الثورة وتطويرها ..
كانت آمال الجماهير ورؤيتها ومتطلباتها متغيرة ، ومتطورة ،
وضع هذه الامال فى اطار معين انما هو بمثابة تجميد لح
الجماهير ، والوقوف بأمانيها عند حد أيا كان هذا الحد ..
شك أن الضرورات الموضوعية تكتشف مع خلال مسيرة ال
والتطبيق ..

(١) الميثاق الناصرى .

ولم يكن موقف عبد الناصر فى ذلك فريدا ، فقد سبقته الى ذلك الماركسية ذاتها ، وهى اليوم نظرية متكاملة احدثت تأثيرا هائلا فى العالم خلال النصف الأول من القرن العشرين .

ففى منتصف القرن التاسع عشر ، وفى ذروة الرخاءالاقتصادى للمجتمع الرأسمالى ، طلع كارل ماركس بكتابه رأس المال الذى اعتبره الماركسيون انجيل الطبقة العاملة الحديثة .. ووصفه كارل ماركس بأنه « النصب التذكارى لى » .

وكتاب « رأس المال » فى رأى البعض لا يعدو أن يكون تشريحا علميا للرأسمالية ، نشأتها تطورها ، متناقضاتها الباطنية التى لابد أن توصف بها فى نهاية الامر « أما ماهية النظام الاجتماعى الجديد الذى سوف يخلف النظام البورجوازى وحدود الملكية الاجتماعية وأبعادها وأسلوب ادارة الاقتصاد فى ظل النظام المنتظر ، وأشكال التنظيم السياسى . فنقول ان أمثال هذه المسائل وغيرها كثير لم يعرض لها ماركس وانجلز تفصيلا ، **فلا يمكن الادعاء بأن ماركس وانجلز طلعا منذ البداية بنظرية اشتراكية مفصلة** ، فعندما أصدرا البيان الشيوعى كانا على ما يبدو يتطلعان الى ثورة ليبرالية على غرار الثورة الفرنسية ، ولم يسعيا ـ وما كان ليسعيا ـ الى ثورة اشتراكية أو شيوعية » .

« والبيان الشيوعى تحدث عن وجود الصراع بين البورجوازية والبروليتاريا وبأنه سوف ينتهى بزوال الاولى ، ثم راح يسرد طائفة من المقترحات أو المطالب التى يمكن أن تشتمل عليها برامج وسياسات الليبرالية الراديكالية » (١)

وهذا رأى فيه كثير من المبالغة ، فلا أحد ينكر أن البيان الشيوعى يحتوى خطوطا نظرية واضحة لفكر اشتراكى .. وأن هذه الخطوط كانت بمثابة الأصول العلمية للنظرية التى انطلق الفكر الماركسى يضيف اليها ويكملها بعد ذلك ..

(١) الدكتور راشد البراوى كتاب « المذاهب الاشتراكية المعاصرة » .

فأى نظرية هى ثمرة عمل ، مع بداية من خطوط فكرية عامة لهذا العمل تتطور من خلال الممارسة .

والقوانين الموضوعية التى كانت هى أساس الماركسية لم يخلقها ماركس ولم يخترعها ، وانما اكتشفت من خلال رؤية علمية لتطور المجتمع ثم صيغت بعد ذلك فى اطارها النظرى ، **وأثريت** بالتطبيق العلمى ..

والبيان الذى أصدره ماركس وانجلز فى ديسمبر ١٨٤٨ وضعا له مقدمات باللغات المختلفة ، وهما يقولان « فى مقدمة الطبعة الألمانية عام ١٨٧٢ » ، « ان المبادىء العامة الواردة فى البيان لا تزال محافظة حتى اليوم على كل صحتها ، وان كان يجب ادخال بعض التعديل على عدد من الفقرات » .

والبيان نفسه يوضح أن تطبيق هذه المبادىء يتعلق دائما وفى كل مكان بالظروف والأوضاع التاريخية فى وقت معين .

ففى مقدمة الطبعة الروسية عام ١٨٨٢ يقولان : « انهما تحدثا عن كثير من الأوضاع فى البيان ولكن لشد ما تبدل كل ذلك الآن » .

وفى مقدمة الطبعة الألمانية التى صدرت عام ١٨٨٣ يقول انجلز « انه بعد وفاة ماركس .. لم يعد ثمة مجال لاعادة انشاء البيان أو اتمامه ، وان الفكرة الرئيسية فى البيان هى « ان الانتاج الاقتصادى والبناء الاجتماعى الذى ينشأ بالضرورة عنه يؤلفان فى كل عهد تاريخى أساس التاريخ السياسى والفكرى لهذا العهد . ولذا فالتاريخ بأسره منذ انحلال الملكية البدائية المشاعية للأرض هو تاريخ نضال بين الطبقات المسودة ، والطبقات السائدة فى مختلف مراحل التطور الاجتماعى ولكن هذا النضال قد وصل فى الوقت الحاضر الى مرحلة أصبحت فيها الطبقة المستثمرة المرهقة هى البروليتاريا لا تستطيع أبدا أن تتحرر من نير الطبقة التى تستثمرها وترهقها وهى البرجوازية دون أن تحرر فى الوقت نفسه والى الأبد المجتمع بأسره من الاستثمار والارهاق ، ومن نضال الطبقات ، هذه الفكرة

الرئيسية السائدة فى البيان تعود بصورة مطلقة الى ماركس ، واليه وحده » .

وفى بقية مقدمات الطبعات المختلفة يعترف ماركس وانجلز أو انجلز وحده ، بأن بعض ما ورد فى البيان قد تخطته مسيرة الجماهيرفى دولة ما ، أو فى مكان ما من العالم .. ويعترفان أن ما ورد فى البيان انما هو اطار قابل للتطور والنمو .. وهذا طبيعى فأى نظرية ثورية تزداد ثراء من خلال الممارسة ، والاحتكاك العملى بالتطبيق .

* * *

والمبادىء الستة التى رفعتها الثورة منذ أيامها الأولى لم تكن نظرية . ولكنها كانت بمثابة البوصلة للعمل .. بوصلة تحدد خطوات المستقبل فى القضاء على الاستعمار وأعوانه ، والاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم واقامة عدالة اجتماعية وجيش وطنى قوى وحياة ديمقراطية سليمة .

والدوائر الثلاث : العربية والافريقية والاسلامية التى تحدث عنها عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة كانت مؤشرات أخرى للعمل

ولعل ابرز دليل على ذلك ما يقوله القائد عند ما يلخص المشاكل التى واجهته فى البداية ، بأن ذلك الشعب بدا زحفه « من غير تنظيم سياسى يواجه مشاكل المعركة كذلك فان هذا الزحف بدا من **غير نظرية كاملة للتغيير الثورى** » ..

فالمبادىء الستة « لم تكن نظرية عمل ثورى كاملة ، ولكنها كانت فى تلك الظروف دليلا للعمل يمثل عمق الارادة الثورية ، وقد تطورت هذه المبادىء بفضل النضال الشعبى الذى راح يحركها بالتجربة ، والممارسة والتفاعل الحى مع التاريخ القومى تأثرا به ، وتأثرا فيه نحو برنامج تفصيلى يوضح طريق الثورة الى أهدافها اللامتناهية » (١)

(١) الميثاق .

اذن « فليست هناك أحداث من صنع الصدفة ، ولا وجود يصنعه الهباء » (١)

وهذه المبادىء العامة . أو المؤشرات هى التى قادت عبد الناصر للعمل ، ومن خلالها ، وفى وسط ميدان العمل والتطبيق ومن بين محاولات التجربة والخطأ فى اطار النظرة التى كانت تسعى الى الاتساع والتكامل وفى ظل ظروف صعبة بالنسبة لطبيعة الثورة ذاتها التى قامت دون أن ترتكز على تنظيم حزبى ثورى يسندها ، ويشد من أزرها .

فى ظل هذه الظروف كلها استطاعت الناصرية أن تنمو ، وتتكامل من خلال الممارسة الفعلية والواقعية ، وشقت طريقها تؤكد ظروف مجتمعنا ، وطبيعته الخاصة ، وتضع مؤشرات ، وقواعد عامة فى نفس الوقت قابلة لأن تكون منطلقا للمجتمعات النامية .

فالممارسة اذن هى التى بلورت الفلسفة الناصرية ووضعت لها الأبعاد المختلفة ..

* * *

عندما بدأ عبد الناصر الاعداد لثورته كان فقط يملك البوصلة ، وكان أهم مؤشراتها ذلك الذى يقف عند قضية التحرير .. تحرير الوطن من السيطرة الاستعمارية ، وتطهيره من الفساد .. وحول هذه الاهداف العامة تجمع تنظيم الضباط الاحرار ..

ولو أنه وضعت أمام هذا التنظيم فى بدايته نظرية متكاملة للتحول الاجتماعى على نحو ما حدث فيما بعد ، لادى ذلك الى انقسام هذه المجموعة الصغيرة من الضباط الأحرار الوطنيين ..

فان أهم ما كان يجمع هؤلاء الضباط ، ويلفهم حول التنظيم

(١) فلسفة الثورة .

هو القضايا العامة وابرزها احساسهم بالمهانة لوجود المستعمر على أرض الوطن ، يمتص خيراته ويتحكم فى مقدراته ، ويدير أجهزة الحكم والسياسة فيه ..

وابرز دليل على ذلك ما قاله أحد أعضاء مجلس الثورة السابق فى تأبين الزعيم الخالد ، فقد قال بالنص :

« ان عبد الناصر كان قادرا على أن يلف (١) حوله قوى مختلفة الاتجاهات والمواقع السياسية والاجتماعية والطبقية . كان قادرا على استنباط واستخلاص الهدف المجمع الذى يستطيع أن يلف حوله كل هذه القوى والاتجاهات .

ونظرة واحدة على تركيب تنظيم الضباط الاحرار وقيادة هذا التنظيم توضح هذه الحقيقة .

ضباط من مختلفو الاتجاهات السياسية والاجتماعية برغم ما بينهم من خلافات فكرية وسياسية على الهدف المجمع الذى رفعه عبد الناصر . تجمعوا والتفوا حول القائد الذى صاغ هذه الشعارات .

- القضاء على الاستعمار واعوانه
- اقامة ديمقراطية سليمة وعدالة اجتماعية
- اقامة جيش وطنى قوى يتاح فيه للجنود الترقى لرتبة الضابط

وبعد الثورة وبعد أن أتيحت لعبد الناصر فرصة قيادة المجتمع كله وامكانية تزعم الأمة العربية كلها برزت هذه الموهبة بروزا واضحا فاستطاع أن يجمع حوله كل الاتجاهات الوطنية والتقدمية بتركيزه على أهداف وطنية محددة يشعر الجميع انهم لا بد أن يعملوا لتحقيقها »

(١) خالد محيى الدين فى مقال بمجلة روز اليوسف .

ان هدف الاستقلال الوطنى كان أبرز ما يشغل بال القائد منذ صباه فخرج من أجله فى المظاهرات ، وهو طالب فى المدارس الثانوية وانضم الى الأحزاب التى تصور أنها يمكن أن تحققه ، ومن خلالها تعرف على جميع التيارات السياسية والفكرية التى كانت تسود البلاد .

« كان هناك أحزاب .. احزاب كثيرة ، ولدنا ، ووجدنا هذه الأحزاب ، وانضممت الى عدد كبير منها ، وأول حزب انضممت اليه كان حزب مصر الفتاة ، ثم تركته » .

« وعندما كنت فى السنة الثالثة الثانوية وبينما كنت فى ميدان المنشية بالاسكندرية وجدت معركة بين البوليس والناس . وكان البوليس يضرب الناس ، والناس يضربون البوليس ، فاشتركت مع الناس وضربت البوليس ، فقبضوا على ، وأدخلونى قسم البوليس ، وكان ذلك بسبب أن حزب مصر الفتاة كان مجتمعا والبوليس يفض الاجتماع ، وبقيت فى القسم الى أن حضر شيخ الحارة وأخرجنى بضمانة » .

« وانا لما انضممت الى حزب مصر الفتاة لم استرح ، فتركته وانضممت الى الوفد وكنت أكثر الناس اتصالا به ، وأيضا لم استرح ، فاتصلت بالاخوان المسلمين وكذلك لم أطمئن ، واتصلت بالشيوعيين ، واتصلت بكل الهيئات العاملة فى هذا البلد كما اتصلت بالاحرار الدستوريين والسعديين ، كنت ابحث عن الحقيقة كشاب يريد ان يكافح من أجل بلده ، ولكنى كنت تائها .. وكنت اعتقد انه يمكن ان يكون هناك فائدة ، وأخيرا لم أجد أن هناك اية فائدة »

« ولما دخلت الكلية الحربية وتدرجت فى الجيش ، كان الحل الوحيد أمامى انه يجب أن نقوم بثورة لنقضى على هذا كله ،

وتبنى مجتمعا جديدا متحررا ، من كل أنواع الظلم السياسى والظلم الاجتماعى (١) »

التحرر الوطنى اذن هو القضية الأساسية التى كانت تملأ حياة عبد الناصر والتى انفعل بها .. فاخذ ينظم من أجل تخليص البلاد من الاحتلال العسكرى ، ومن النفوذ السياسى الأجنبى . « الذى يؤدى الى الظلم السياسى والى الظلم الاجتماعى » .

وقضية التحرر الوطنى هى التى جعلته يكتب لاحد اصدقائه بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الذى فرضت فيه قوات الاحتلال حكومة الوفد بالدبابات قائلا : ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين (٢) .

وقضية التحرر الوطنى تمثلت فى ذهن عبد الناصر منذ البداية ليس فقط فى وجود الاحتلال الانجليزى بجنوده ، ونفوذه ، بل فى العهود الطويلة من المعاناة للشعب المصرى ضد الفزاة تلك العهود التى حاولت أن تصبغ الشعب المصرى ، وتضيع من معالمه « فانا أنظر أحيانا الى أسرة مصرية عادية من الاف الاسر التى تعيش فى العاصمة ، الاب مثلا فلاح معمم من صميم الريف والام سيدة منحدرة من أصل تركى وأبناء الاسرة فى مدارس على النظام الانجليزى ، وفتياتها فى مدارس على النظام الفرنسى .. كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين انظر الى هذا وأحس فى أعماقى بفهم للحيرة التى تقاسيها وللتخبط الذى يفترسنا ثم أقول لنفسى : ..

« سوف يتبلور هذا المجتمع ، وسوف يتماسك ، وسوف يكون وحدة قوية متجانسة ، انما ينبغى أن نشد أعصابنا ، ونتحمل فترة الانتقال (٣) » .

---

(١) مناقشات اللجنة التحضيرية ٣ ديسمبر ١٩٦١ .
(٢ ، ٣) فلسفة الثورة .

ولعل الحديث الذى أدلى به جمال عبد الناصر الى الصحفى دافيد وين مورجان (١) يكشف كثيرا من الحقائق ليس فقط حول قيام الثورة ، بل وأساسا حول فكر جمال عبد الناصر .. كيف تكون والأحداث التى غذته .. فمن خلال الحوار الذى كان الصحفى يسأل فيه عن تفاصيل دقيقة عن حياة الزعيم ، وعن التنظيم الذى قام بالثورة ، نوقن أن جذور الفكر الثورى عند جمال عبد الناصر قديمة وأنها ارتبطت فى الدرجة الأولى بالتحرر الوطنى وتخليص البلاد من الاستعمار . ويروى القائد فيه كيف كان يستكشف الطريق الى المستقبل من خلال مسيرة الثورة .

ونظرا لأهمية هذا الحديث الذى يلقى فيه الزعيم بنفسه الضوء على كثير من القضايا التى تثار حول فكر الثورة ، والمنابع الأصلية له . والمعارك التى خاضتها . فقد آثرت أن أنقل أجزاء كثيرة منه لأن له أهمية كبرى لدى كل من يدرس ثورة جمال عبد الناصر ، نشأتها ، وقيامها ، والأهداف الأساسية التى كانت تجمع تنظيم الضباط الأحرار من أجلها ..

بدأ الحديث مورجان بقوله : ـ

● **لقد مضت الآن عشر سنوات منذ أن قام نحو من تسعين من ضباط الجيش المصرى بانهاء النظام الاقطاعى فى وطنهم وبالاستيلاء على السلطة فى بلادهم بين يوم وليلة بعد ثورة تكاد أن تكون بلا قطرة من الدماء ،** وقد كانت هذه السنوات العشر سنوات من الثورة المستمرة ومن التغيير المتصل ، وهذه العملية التاريخية لا تزال مطردة ، لكن لعل الوقت الحالى هو أنسب الأوقات للتطلع الى الخلف لا الى أحداث هذه السنوات العشر الأخيرة وحدها بل

---

(١) حديث للصنداى تايميز الانجليزية يونيو عام ١٩٦٢ .

الى ما هو أبعد من ذلك الى بداية تكون الاحساسات الثورية لديكم ؟

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :ـ

ـ كثيرا ما سئلت هذا السؤال : **متى أصبحت ثوريا لأول مرة؟** وهو سؤال تستحيل الاجابة عليه ، فهذا الشعور أملته ظروف تكويني وتنشئتي وغذاه شعور عام بالسخط والتحدي اجتاح كل أبناء جيلي في المدارس والجامعات ثم انتقل الى القوات المسلحة .

وما زلت أذكر بوضوح أول صدام لي مع السلطة : كان ذلك في سنة ١٩٣٣ وكنت يومئذ تلميذا في الاسكندرية لم أبلغ بعد الخامسة عشرة من عمري وكنت أعبر ميدان المنشية في الاسكندرية حين وجدت اشتباكا بين مظاهرة لبعض التلاميذ وبين قوات البوليس ، ولم أتردد في تقرير موقفي ، فلقد انضممت على الفور الى المتظاهرين دون أن أعرف أي شيء عن السبب الذي كانوا يتظاهرون من أجله ، ولقد شعرت أنني في غير حاجة الى سؤال ، لقد رأيت أفرادا من الجماهير في صدام مع السلطة ، واتخذت موقفي دون تردد في الجانب المعادي للسلطة .

ومرت لحظات سيطرت فيها المظاهرة على الموقف ، لكن سرعان ما جاءت الى المكان الامدادات حمولة لوريين من رجال البوليس لتعزيز القوة وهجمت علينا جماعتهم . وانى لأذكر أنى ـ في محاولة يائسة ـ ألقيت حجرا لكنهم أدركونا في مثل لمح البصر ، وحاولت أن أهرب لكني حين التفت هوت على رأسي عصا من عصي البوليس تلتها ضربة ثانية حين سقطت ... ثم شحنت الى الحجز والدم يسيل من رأسي مع عدد من الطلبة الذين لم يستطيعوا الافلات بالسرعة الكافية .

ولما كنت في قسم البوليس واخذوا يعالجون جراح رأسي سألت عن سبب المظاهرة ، فعرفت أنها مظاهرة نظمتها جماعة مصر الفتاة في ذلك الوقت ، للاحتجاج على سياسة الحكومة .

وقد دخلت السجن تلميذا متحمسا وخرجت منه بطاقة من الغضب وقد مضى بعد ذلك زمن طويل قبل أن تتبلور أفكاري ومعتقداتي وخططي ولكن حتى في هذه المرحلة المبكرة كنت أعلم أن وطني يخوض صراعا متصلا من أجل حريته ...

● **وجه مورجان الى الرئيس مجموعة من الأسئلة حول نشأته الأولى وجو الأسرة الذي عاش فيه مرحلة الطفولة .**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ اننى الابن الأكبر لأسرة مصرية من الطبقة المتوسطة الصغيرة وقد كان أبي موظفا صغيرا في مصلحة البريد يبلغ مرتبه الشهري نحو عشرين جنيها ، وهو مرتب يكفي بصعوبة لسد ضروريات الحياة .

وقد ولدت في الاسكندرية ، لكن ذكرياتي الأولى تدور حول قرية الخطاطبة وهي قرية تقع بين القاهرة والاسكندرية حيث كان أبي يعمل وكيلا للبوسطة ـ وكنا دائما أسرة سعيدة يحكمها أبي ولكن القوة الحافظة فيها كانت أمي التي كنت انا واخوتي نتفانى في حبها .

وكان أبي قلقا بسبب آرائي السياسية حتى في أيام التلمذة ، فقد سجن أخوه أيام الحرب العالمية الأولى بتهمة الاثارة السياسية ولذا كانت مخاوفه أن يحل بي ما حل بعمي ـ مخاوف طبيعية ـ فقد كان كل أمله أن نحيا جميعا حياة آمنة بعيدة عن المزعجات .

ولكني بعد اشتراكي في المظاهرة السياسية الأولى دخلت الميدان بكل جوارحي وأصبحت رئيس لجنة لتنظيم المقاومة ولا سيما المقاومة الساخطة . ولقد كان ذلك منفذا لا بد منه لعواطفنا الحادة ولشعورنا بالكبت الذي يضغط على وطننا ..

وفي نهاية الأمر ضاق المسئولون في المدرسة ذرعا بنشاطي ونبهوا أبي فأرسلني الى القاهرة لأعيش مع عمي والتحق بمدرسة أخرى هناك ..

وسأل مورجان :

● **قد ذكر عدد كبير من الذين تعرضوا لكتابة قصة حياتكم أن مشاعركم الأولى المعادية لليهود تكونت فى هذه الفترة فقد كانت فى نفس البيت الذى يسكنه عمكم بعض الأسر اليهودية ؟..**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ هذا رأى أبعد ما يكون عن الحقيقة ـ فأنا لم أكن فى أى يوم من الأيام معاديا للسامية على المستوى الشخصى ومن العسير على أى مصرى متعلم أن يكون كذلك ـ لقد كانت بيننا وبين اليهود كشعب ـ روابط عديدة فموسى نفسه كان مصريا ، وشعورى المعادى لاسرائيل واعمالى الموجهة ضدها انما تولدت فيما بعد من شىء واحد لا سواه وهو الحركة الصهيونية التى اغتصبت جزءا من الأمة العربية .

وقال مورجان :

● **ان الذين كتبوا تاريخكم أيضا يقولون انه فى تلك الفترة وقعت لكم صدمة نفسية ؟**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ ذلك صحيح ، ففى تلك الفترة حدث لى حادث اثر فى عواطفى أكثر من أى شىء آخر فى تلك السنوات الباكرة ـ فقد كان أبى مصرا على معارضة مشاعرى وأعمالى الثورة ـ أما أمى فقد كانت تنظر الى السياسة نظرتها الى شىء لا يعنيها وكانت العلاقة القائمة بيننا هى مجرد علاقة الحب الخالص الذى يربط ما بين الأم وولدها .

ولم أكن أكثر فى رحلاتى لزيارة أسرتى ـ ولكن حين انقطعت أنباء أمى فترة من الزمن سافرت لزيارة الأسرة ، ولما بلغت البيت لم أجد لها أثرا ـ وعلمت أنها قد ماتت قبل ذلك بأسابيع ولم يجد أحد

الشجاعة الكافية لابلاغى بموتها ولكنى اكتشفت موتها بنفسى بطريقة هزت كيانى .

وعدت لفورى الى القاهرة حيث كرست نفسى **لنشاطى السياسى بصورة أعنف من ذى قبل وخفف** الزمن صدمتى ولكنى ظللت مبتعدا عن أسرتى لعدة سنوات ـ فان فقد أمى فى حد ذاته امرا محزنا للغاية ـ أما فقدها بهذه الطريقة فقد كان صدمة تركت فى شعورا لا يمحوه الزمن وقد جعلتنى آلامى واحزانى الخاصة فى تلك الفترة أجد مضضا بالغا فى انزال الآلام والأحزان بالغير فى مستقبل السنين .

وقال مورجان :

● **ان بعض المؤرخين يقولون أن بحثكم عن مجال للعمل السياسى قادكم الى محاولة واسعة لاستكشاف الأحزاب السياسية العاملة فى مصر فى ذلك الوقت ؟ ..**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ فى سنوات التكوين هذه شغلت اهتمامى كل الأحزاب السياسية التى كان هدفها الأول أن ترد للشعب المصرى حريته وقد انضممت مدة عامين بعد مظاهرة الاسكندرية الى جماعة مصر الفتاة ولكن تركتها بعد أن اكتشفت أنها رغم دعواها العالية لا تحقق شيئا واضحا .

وقد فوتحت فى عدة مناسبات للانضمام للحزب الشيوعى لكنى **رغم دراستى للمذهب الماركسى** ولكتابات لينين وجدت أمامى عقبتين أساسيتين ، عقبتين كنت أعلم أنه لا سبيل الى التغلب عليهما .

كان مجرد الظل لسيطرة أجنبية لا أستطيع أن أقبله .

وقد كانت لى اتصالات متعددة بالاخوان المسلمين رغم انى لم أكن قط عضوا فى هذه الجماعة ، وأحسست بقوة زعيمهم المرشد

العام حسن البنا وهنا ايضا وجدت أمامى صعوبات دينية ، فقد كان فى تصرف الاخوان المسلمين ضرب من التعصب الدينى وما كنت أرضى لا بانكار عقيدتى ، ولا بأن تحكم بلادى طائفة متعصبة كنت واثق من ان التسامح الدينى لابد وأن يكون ركنا أساسيا من اركان المجتمع الجديد الذى كنت أرجو أن أراه قائما فى بلادى .

وتبلورت مشروعاتى لمستقبلى بعد عقد المعاهدة المصرية الانجليزية عام ١٩٣٦ التى نجم عنها أن حكومة الوفد أصدرت مرسوما يقضى بفتح الكلية الحربية للشبان بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو ثروتهم وكنت أنا مع نفر من الآخرين الذين ظلوا فيما بعد رفاقا حميمين من بين أول من استطاعوا الانتفاع من هذا الوضع ، فالتحقت بالجيش بعد أن كنت أدرس فى كلية الحقوق .

وتخرجت بعد سنتين فى عام ١٩٣٨ من الكلية الحربية بالعباسية ، كان الجيش المصرى حتى ذلك الوقت جيشا غير مقاتل وكان من مصلحة البريطانيين أن يبقوه على حاله ـ أما بعد ذلك فقد بدأت تدخل طبقة جديدة من الضباط الذين كانوا ينظرون الى مستقبلهم فى الجيش بوصفه مجرد جزء من جهاد أكبر لتحرير شعبهم ، وعينا فى منقباد .. وذهبنا الى منقباد تملأنا المثل العليا ولكن سرعان ما أصبنا بخيبة الأمل فقد كان أكثر الضباط عديمى الكفاءة وفاسدين ، وقد دفعت الصدمة بعض زملائى من الضباط الى حد الاستقالة أما أنا فلم أر جدوى من الاستقالة رغم أن سخطى كان لا يقل عن سخط الآخرين واتجه تفكيرى بدلا من ذلك الى اصلاح الجيش ، وتطهيره من الفساد .. وفى عام ١٩٣٩ نقلت الى الاسكندرية .

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية بزمن وجيز نقلت الى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين ، وكان ذلك بقصد التدريب لمدة شهر ، وكانت هذه أول مرة احتك

فيها احتكاكا حقيقيا بالبريطانيين كجنود وأشخاص فتركوا فى نفسى اثرا طيبا .

ولم يكن هناك أى تعارض بين استطاعتى أن أشعر بشعور ودى نحو عدد منهم على المستوى الشخصى ـ وان احترمهم كجنود وبين شعورى العميق بضرورة التخلص من السيطرة البريطانية ـ ومن النفوذ البريطانى بأى ثمن ـ فالأول كان شعورا شخصيا والآخر كان مسألة مبدأ وليس هناك علاقة بين الشعورين.

وفى هذه المرحلة رسخت فكرة الثورة فى ذهنى رسوخا تاما ، اما السبيل الى تحقيقها فكانت لا تزال بحاجة الى دراسة وكنت يومئذ لا ازال أتحسس طريقى الى ذلك ، وكان معظم جهدى فى ذلك الوقت يتجه الى تجميع عدد من الضباط الشبان الذين أشعر انهم يؤمنون فى قراراتهم بمصالح الوطن .

● **وقال دافيد وين مورجان بأنه فهم أن الصراع العلنى السافر بين الضباط الأحرار وبين الملك هو أزمة انتخابات نادى ضباط الجيش .**

ورد جمال عبد الناصر :

ـ كان ذلك صحيحا فقد تملك الملك الجزع من أن يصبح النادى مركزا للتمرد ، وصمم على أن يكون الرئيس الجديد مرشحا من مرشحيه وهو اللواء حسين سرى عامر وكنت لا أقل عنه تصميما فى الحيلولة دون ذلك ..

وتحدث الرئيس عبد الناصر بعد ذلك عن تطورات الموقف بعد أزمة حل اللجنة التنفيذية لنادى الضباط بأمر من الملك ثم قال :

« ولقد أحسست أن تأخير محاولتنا للقيام بثورتنا حتى سنة ١٩٥٥ مسألة مستحيلة ، فان الحوادث تتحرك بسرعة ، والاستعداد الثورى أصبح متحفزا ، ثم أن هيبة فاروق كانت فى الحضيض

لقد قدرت أن الموقف ساعاتها مناسب للقيام بانقلاب اذا عرفنا كيف ننفذه بسرعة وبكفاءة .

وفى منتصف يوليو دعوت الموجودين فى القاهرة من اعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار الى اجتماع وابلغتهم بأن احتمال القيام بالثورة مفتوحا للنجاح ولم يكن من رأيى اعدام الملك فقد كنت أحس أن اراقة الدماء تؤدى الى مزيد من الدماء .. وكنت اريد للثورة أن تضع المقاييس التى ستحاسب دائما بها .

فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرك حول محور واحد هو خدمة هذه القضية المشتركة .

وقال مورجان : ـ

● **كيف بدأ العمل الجدى فى تنظيم الخلايا الثورية ؟**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ كنا بحاجة الى شىء يجعلنا جميعا ندرك الضرورة الملحة والحتمية فى حركتنا الثورية ـ فأعطانا الانجليز ما نحتاج اليه ـ ففى عام ١٩٤٢ كانت بريطانيا تقاتل وظهرها للحائط وكانت الحرب تمر فى الصحراء الغربية فى مرحلة حيوية ـ وكان البريطانيون مصممين على أن تقوم فى مصر حكومة تؤازرهم مؤازرة ايجابية وذهب السفير البريطانى ـ السير مايلز لامبسون ـ ليقابل الملك فاروق بسراى عابدين فى القاهرة بعد أن حاصر القصر بالدبابات البريطانية وسلم الملك انذارا يخيره بين اسناد رئاسة الوزراء الى مصطفى النحاس مع اعطائه الحق فى تشكيل مجلس وزراء متعاون مع بريطانيا وبين الخلع ـ وقد سلم الملك بلا قيد ولا شرط ..

كان ذلك فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ ومنذ ذلك التاريخ لم يعد شىء كما كان ابدا ـ وكنت يومئذ فى العلمين حين جاءنى هذا النبأ ـ وما زلت أذكر انفعالى الشديد ـ وقد كتبت فى تلك الليلة الى صديق اقول :

ترى ماذا نحن فاعلون بعد هذا الحادث التعيس الذى تقبلناه بتسليم قوامه الخنوع والمهانة ، الحقيقة هى أن الاستعمار ليست لديه الا وسيلة واحدة يرهبنا بها ـ ولكن يوم يدرك الاستعمار أن المصريين مستعدون للتضحية بأنفسهم فانه سيتراجع كالجعجاع الجبان .

ان حوادث ٤ فبراير قد ألحقت العار بمصر ـ لكنها رغم ذلك الهمتنا بروح جديدة ـ فقد أيقظت هذه الحوادث أناسا كثيرين من سباتهم وعلمتهم أن هناك كرامة تستحق أن يدافع عنها الانسان بأى ثمن .

وبالنسبة لى ـ كان عام ١٩٤٥ أكثر من مجرد عام انتهاء الحرب ـ فقد شهد العام بداية حركة الضباط الأحرار ـ تلك الحركة التى اشعلت فيما بعد شعلة الحرب فى مصر ، ومع ذلك فقد كان ينتظرنا حادث آخر ليتحول استياؤنا وسخطنا المتزايد الى خطة ملموسة للثورة .

وقد ركزت حتى سنة ١٩٤٨ على تأليف **نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الأمور فى مصر مبلغ استيائى** ـ والذين توفرت لديهم الشجاعة الكافية والتصميم الكافى للاقدام على التغيير اللازم ـ وكنا يومئذ جماعة صغيرة من الأصدقاء المخلصين نحاول أن نخرج مثلنا العليا العامة فى هدف مشترك وفى خطة مشتركة ـ وكانت بى رغبة عارمة للمعرفة ـ فأقبلت على الاطلاع بفهم والتهمت كتب المفكرين من أمثال : لاسكى ونهرو ، بل وأنيورين بيفان ، وبدأت أفكار الاشتراكية تتكون شيئا فشيئا .

● **ثم أثار دافيد وين مورجان تدافع الموج الثورى فى مصر خصوصا مع سنة ١٩٤٨ بأحداثها الخطيرة فى فلسطين :**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ فى مايو ١٩٤٨ أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين وأحسسنا

بثورتنا فى ١٩٥٥ ـ لكن الحوادث أملت علينا قرار القيام بالثورة قبل ذلك بكثير .

وازاء تطورات الحوادث العنيفة المتوالية فى بداية ١٩٥٢ كانت هناك فكرة ترى أن الحل الوحيد هو اغتيال اقطاب النظام القديم وبدأنا باللواء سرى عامر ـ وهو احد قواد الجيش الذين تورطوا تورطا خطيرا فى خدمة مصالح القصر ـ ومع أن ميولى الطبيعية كلها كانت معارضة لهذه السياسة ، فقد اخذت على عاتقى مسئولية اول محاولة .

وكانت ليلة لا تنسى ـ فقد اختبات أنا وزملائى الذين اخترتهم ليقوموا بالمحاولة معى تحت اسوار الشجيرات المحيطة بفيللا اللواء ، وحين خرج من سيارته اطلق النار عليه اثنان من زملائنا كانا على استعداد بالمدافع الرشاشة ـ ولما جرينا لنلتمس الهرب لاحقنا عويل سيدة يمزق القلب وصرخات مذعورة .

ولم اذق للنوم طعما فى تلك الليلة ـ فقد كنت افكر فيما فعلته وانى لأذكر انى صليت راجيا الا يموت ـ وغمرتنى روح الارتياح عندما قرأت فى صحف الصباح أنه لم يصب حتى برصاصة واحدة وكانت هذه هى محاولة الاغتيال الأولى والأخيرة التى قمت بها وقد وافقنى الجميع على العدول عن هذا الاتجاه وصرف الجهود الى تغيير ثورى ايجابى .

واشتد التوتر درجة درجة ، حتى بلغ قمته ـ وهنا بدأت معركة التعبئة الثورية ـ وبدأنا نوالى اصدار منشورات « الضباط الأحرار » وكنا نطبعها ونوزعها سرا .

وكانت الأحداث تتطور بسرعة ولا نملك السيطرة عليها . كان السياسيون يتراشقون بالاتهامات ـ وبدأت الجماهير تعبر عن غضبها وسخطها علنا ـ وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ حدثت مأساة حريق القاهرة ـ ولم تتخذ السلطات أى اجراء ـ النحاس رئيس الوزراء

لزم داره فى جاردن سيتى ، وظل فاروق فى قصر عابدين لا يحرك ساكنا ـ ولم تصدر الأوامر للجيش بالنزول الا فى العصر بعد أن دمرت النار أربعمائة مبنى أنزلت بها خسائر فادحة ـ وتركت ١٢٠٠٠ شخص بلا مأوى ، وقد بلغت الخسائر ٢٣ مليون جنيه.

ومن الصعب تحديد من يستحق اللوم فى هذه المأساة ـ فقد بدأ اليوم بمظاهرة عنيفة قامت بها بعض الجماعات المتطرفة ـ لكن السخط الجماهيرى سيطر عليها بعد ذلك فخرج الزمام من يد أى تنظيم وكان تردد الحكومة هو المسئول عن تدمير المدينة وتدهورت الأمور من سيء الى أسوأ فتألفت وزارتان ثم خرجتا من الحكم ولم يبد على الملك ما يدل على استعداده لايجاد حل للموقف ـ وهكذا وجدنا أنفسنا فى وضع المعارضة الصريحة له ..

وتحدث الزعيم بعد ذلك عن المشاكل التى واجهت تنظيم الضباط الأحرار عند قيام الثورة ، وخطة ليلة ٢٣ يوليو ، وكيف تم اعتقال عدد من قادة الجيش .. ثم مشكلة التصرف فى الملك .. الذى كان يرى البعض محاكمته أو اعدامه ، « وكنت لا ازال على تصميمى أن تكون الثورة بيضاء ما أمكن وقد كنت ارى اخراج الملك من البلاد على وجه السرعة » .

وبعد أن تحدث عن توقيع الملك فاروق على وثيقة التنازل عن العرش ، وكانت آخر كلمات الملك وهو يرحل .. لقد كنت استعد لأفعل بكم ما فعلتم بى . »

بعد ذلك سأله دافيد وين مورجان .

● لقد تابعت الحوادث حتى قامت الثورة ونجحت ماذا حدث بعد ذلك .. وعندما بدأتم ممارسة الحكم ؟

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ نجحت الثورة ولكننا لم نكن راغبين فى الحكم مطلقا لا أنا ولا زملائى من الضباط الأحرار ، **كنا مصممين على محو كل أثر**

للسيطرة الأجنبية وعلى اجراء اصلاح زراعى حاسم لانهاء النظام الاقطاعى الذى اختفى من قبل فى أوربا منذ ثلاثمائة عام وكنت أريد أن يضطلع بالمسئولية حزب يمكن أن يؤتمن زعماؤه على العمل فى الحدود التى تلهمها روح الثورة .

وفى بداية الأمر صفقت كل الأحزاب وهللت وتصور كل من الوفد ، والاخوان المسلمين والشيوعيين أن الثورة لهم . فقد كانوا يحسبون أن من اليسير عليهم تشكيل جماعة من شباب الجيش المتحمسين بما يتفق مع منهجهم — ولكنهم عجزوا عن ادراك ما يكمن وراء الثورة من قوة فى الهدف .

وتحدثت مع زعماء كل الأحزاب لكنى لم أجد بينهم من كان على استعداد لتقديم صالح الشعب على صالح حزبه ، بل لقد ذهبت الى أكثر من هذا ، فعرضت على حزب الوفد ان أنقل اليه السلطة بشرط أن يضمن جلاء البريطانيين عن منطقة القنال ، وأن يطبق الاصلاح الزراعى الذى يحدد حيازة الملكية الزراعية بمائتى فدان للشخص الواحد ولكنهم رفضوا وظلوا يدورون حول الفكر ويبعدوا عنها ..

وهكذا حملنا المسئولية على عاتقنا والأسف يملأ قلوبنا ، ولقد كان عملى يسيطر على حياتى فقلما وجدت الوقت لشىء آخر غير العمل ..

وقال دافيد مورجان :

● **لابد أن تجربة مسئولية الحكم كانت أمرا جديدا بالنسبة لعملكم السابق ؟**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

— صحيح .. وسرعان ما اكتشفت أن حكم بلد من البلاد يختلف اختلافا عظيما عن قيادة كتيبة من الجنود ومع ذلك ، فقد كانت هناك وجوه مشتركة بينهما فقد عرفت فى مرحلة باكرة جدا

ضرورة التخطيط ، **فالاصلاحات التى أردنا ادخالها كان لا بد من تنفيذها على أساس الخطة الطويلة الأجل** ، ولقد شغل التخطيط بالى فى هذه المرحلة ورحت أتحدث عنه مع كل من تتيح لى الظروف فرصة ان التقى به ، وتكون لديهم فكرة عنه أو تجربته .. والى أذكر أن موضوع التخطيط كان أول حديث طويل بين البانديت نهرو وبينى ..

وأثناء زيارة من زياراته للقاهرة ركبنا يختا فى النيل وأخذنا نتناقش لمدة ٥ ساعات حول تجاربه الخاصة بالتخطيط فى الهند .

ولم أكن أستطيع أن أعتبر نفسى خبيرا كما أنه لم يكن تحت تصرفنا الا عدد محدود من الخبراء ولا سيما فى المجال الاقتصادى ، وهو مجال ذو أهمية حيوية ، فالخبراء رغم كل شىء قد يكونون فى بعض الأحيان عبئا ، أكثر منهم عاملا مساعدا ، وقد يكونون متحجرين فيما ألفوه من أساليب ، ولهذا فانى أفضل المفكرين على الخبراء ، **أن التفكير يجب أن يرسم الاطار العام للحركة أولا ثم يجىء دور الخبرة فى خدمة الاطار العام .**

* * *

ان هذا الحديث الهام يكشف بوضوح عدة نقاط هامة فى مجال هذه الدراسة :

● **تنظيم الضباط الاحرار كان وليد « استياء وسخط متزايد » على الاستعمار .. زاده الفساد فى الداخل اشتعالا بعد ذلك وان فكرة الثورة رسخت فى ذهن القائد بعد نشوب الحرب العالمية الثانية واحتكاكه احتكاكا حقيقيا بجنود الجيش الانجليزى المحتل .**

● **ان القائد كان يهتم بقضية الجلاء والاستقلال والتحرر الوطنى منذ صباه ، ولكنه كان يطل أيضا على الفكر الاشتراكى فقد أقبل على قراءة كتب ماركس ولينين ولاسكى وبيفان ونهرو بنهم وبدأت أفكاره الاشتراكية تتكون شيئا فشيئا .**

● **ان الثورة كانت تهدف فى البداية الى أن تطور الاحزاب نفسها لتتولى سلطة الحكم وتقوم هى بالتغيير ، وهو ما عبرت عنه صراحة قرارات تطهير الاحزاب ، ومحاولة اعادة تشكيلها فى الداخل . ولكن الثورة « لم تجد عند الاحزاب أى استعداد لتقديم صالح الشعب على صالحها »**

● **شغل التخطيط بال القائد ، وبدا يفضل أن يلتقى بالمفكرين على الخبراء ، فالتفكير يجب أن يرسم الاطار العام للحركة ، والاصلاحات يجب أن تنفذ على مراحل ..**

وهكذا كانت البداية التى انتهت بفكر تبلور فى ميثاق العمل الوطنى الناصرى ، وبرنامج ٣٠ مارس وغيرهما من أحاديث المعلم القائد ولقاءاته .. وخطبه .. والتى شق التطبيق طريقه على أساسها .

* * *

مفهوم التحرر عند عبد الناصر كان مع ذلك أبعد من أن يرتبط بتحرير مصر وحدها ، فمنذ ساعة مبكرة أدرك أن قضية التحرير للوطن العربى كل لا يتجزأ .. وان ما يحدث فى مصر ، هو جزء من مخطط استعمارى استهدف الامة العربية كلها وانه كان عليه بمثل ما طاف على الأحزاب السياسية فى مصر ، يتلمس فى واحد منها الخلاص من الاحتلال أن يقوم بنفس الجولة يلتمس ايضا الخلاص من الاحتلال الذى يدبر لفلسطين فى وقت مبكر وهو ما أشار اليه فى حديثه مع مورجان ولكنه كان قد وضحه تفصيلا من قبل :

« فأذكر يوما عقب صدور قرار تقسيم فلسطين فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٧ عقد فيه الضباط الاحرار اجتماعا واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة فى فلسطين ، وذهبت فى اليوم التالى أطرق باب بيت الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين وكان ما يزال يعيش فى الزيتون وأقول له :

« انكم فى حاجة الى ضباط يقودون المعارك ويدربون المتطوعين وفى الجيش المصرى عدد كبير من الضباط يريدون أن يتطوعوا ، وهم تحت أمرك فى أى وقت تشاء » .

« قال لى الحاج أمين الحسينى انه سعيد بهذه الروح ، ولكنه يرى أن يستأذن الحكومة المصرية قبل أن يقول شيئا » .

« ثم قال لى الحاج أمين :

« سوف أعطيك ردى بعد استئذان الحكومة » .

« وعدت اليه بعد أيام وكان رده . الرد الذى حصل عليه من الحكومة « وهو الرفض »

« ولم نسكت (١) »

* * *

وعندما يناقش عبد الناصر بعد ذلك (٢) أسباب فشل ثورة سنة ١٩١٩ يضع من بين الأسباب التى أدت الى الفشل اغفالها للمنطقة العربية التى تحيط بها ، وما يجرى فيها .

« فالقيادات الثورية فى ذلك الوقت لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء ، وعجزت عن تحديد الشخصية المصرية ، ولم تستطع أن تستشف من خلال التاريخ انه ليس هناك صدام على الاطلاق بين الوطنية المصرية ، وبين القومية العربية .

« لقد فشلت هذه القيادات فى أن تتعلم من التاريخ ، وفشلت أيضا فى أن تتعلم من عدوها الذى تحاربه ، والذى كان يعامل الامة العربية كلها على اختلاف شعوبها طبقا لمخطط واحد .

« ومن هنا فان قيادات الثورة لم تنتبه الى خطورة وعد بلفور الذى أنشأ اسرائيل لتكون فاصلا يمزق امتداد الارض العربية وقاعدة لتهديدها .

---

(١) فلسفة الثورة

(٢) الميثاق .

« وبهذا الفشل فان النضال العربى فى ساعة من أخطر ساعات الازمة حرم من الطاقة الثورية المصرية ، وتمكنت القوى الاستعمارية من أن تتعامل مع أمة عربية ممزقة الأوصال مشتتة الجهد .. »

اذن ففكر عبد الناصر منذ البداية كان يربط دائما بين مخططات الاستعمار التى تهدف لفرض السيطرة على المنطقة العربية كلها .

* * *

وكانت قمة نضوج فلسفة عبد الناصر هى صياغتها وبلورتها فى دليل عمل ، هو الميثاق الناصرى والسؤال هو :

« على اى أساس قدمت هذا الميثاق ..؟ على أساس احساساتى ، وما لمسته فى العشر سنين الى فاتت ، وحطيت فيه الآراء اللى أعتقد أنها تحل بعض المشاكل أو التناقضات » (١)

والفلسفة الناصرية لا تنظر الى النظريات السابقة عليها على انها خطأ .. كما أنها لا تعترض طريقها ، ولا تأخذ بها كلها ولا ترفضها كلها فى نفس الوقت .

« فالتجربة الوطنية لا تفترض مقدما تخطئة جميع النظريات السابقة عليها أو تقطع برفض الحلول التى توصل اليها غيرها فان ذلك تعصب لا نقدر أن نتحمل تبعاته ، خصوصا وان ارادة التغيير الاجتماعى فى بداية ممارستها لمسئولياتها ، تجتاز فترة أشبه بالمراهقة الفكرية تحتاج خلالها الى كل زاد فكرى ، لكنها فى حاجة الى أن تهضم كل زاد تحصل عليه وأن تمزجه بالعصارات الناتجة من خلاياها الحية .. انها تحتاج الى معرفة ما يجرى من حولها .. لكن حاجتها الكبرى هى الى ممارسة الحياة على أرضها (٢) .

(١) حديث الرئيس للمؤتمر الوطنى ٢٦ مايو ١٩٦٢.
(٢) الميثاق .

ان منهج عبد الناصر لا يقف فى وجه التيارات الفكرية الانسانية ولا يرفضها مسبقا ، ولا يسلم بعدم صحة كل ما توصل اليه الاخرون من نتائج ، فنضال الشعوب « غير مطالب بأن يخترع مفاهيم جديدة لأهدافه الكبرى (١) »

« والتسليم بوجود قوانين طبيعية للعمل الاجتماعى ليس معناه القبول بالنظريات الجاهزة والاستغناء عن التجربة الوطنية .. ان الحلول الحقيقية لمشاكل أى شعب لا يمكن استيرادها من تجارب شعب غيره (٢) »

« ومن ثم فان التجربة الثورية العربية لا تستطيع أن تنقل ما توصل اليه غيرها .. »

ولكن ..

« ليس معنى ذلك أن النضال الوطنى للشعوب وللامم مطالب اليوم بأن يخترع مفاهيم جديدة لاهدافه الكبرى ، ولكن معناه أنه مطالب اليوم بأن يجد الاساليب المسايرة لاتجاه التطور العام والمتفقة مع طبيعة العالم المتغيرة (٣) »

وفى نفس الوقت « ليس عليه أن يلتزم التزاما حرفيا بقوانين جرت صياغتها فى القرن التاسع عشر »

ومن هنا فقد كان فكر عبد الناصر ملتقيا مع بعض الافكار التى سبقته ، وكان مختلفا عنها فى نفس الوقت ..

فبينما يلتقى فكر عبد الناصر مثلا مع الماركسية فى تحليل التاريخ على أساس ملكية وسائل الانتاج وان النظام الموجود هو الذى يحمل من التناقضات ما يفرض ضرورة التطور الاجتماعى ، وان التطور الاجتماعى تحكمه قوانين موضوعية ، وان الطريق

(١) (٢) (٣) الميثاق .

للديمقراطية يبدأ بتحرير خبز الفرد .. ويلتقى مع الماركسية فى أفكاره حول صراع الطبقات وغير ذلك .. فانه يضيف الى هذا الفكر من رؤيته ومن واقع المجتمع أفكارا جديدة كفكرة التحالف بين قوى الشعب العاملة والتحول الاشتراكى الذى يمكن ان يحققه تحالف قوى الشعب العاملة وتلعب البرجوازية الصغيرة فيه دورا هاما .. ورؤيته فى الحفاظ على الملكية الفردية والخاصة ، وبناء الاشتراكية العلمية فى ظل الايمان بالأديان السماوية .. وغيرها ..

وكما قلت سلفا بأنه لا يمكن فصل أى فلسفة أو فكر ، أو منهج للعمل عن تطبيقه ، والا كان عملا تجريديا .. ولم يكن كذلك فكر عبد الناصر .. فقد كان التطبيق هو الذى يثرى الفكر .. والفكر هو المنبع للتطبيق ، فكان ما يدور فى المجتمع هو تفاعل سلبا وايجابا بين الفكر والتطبيق ..

ورغم ان مجتمعنا لم يصل الى استكمال مرحلة التحول الاشتراكى التى بدأت بقوانين يوليو ١٩٦١ ، الا أن ما تم تنفيذه بسرعة وبمعدلات عالية فى هذا الزمن الوجيز الذى غير فيه شكل المجتمع العربى فى مصر ، وامتدت آثار التغير الى بعض المناطق العربية وبعض دول آسيا وافريقيا كنتائج مباشرة لهذا الفكر ، هذا وحده دلالة واضحة على أن المسيرة كانت تأخذ طريقها فى ظل ظروف متعددة واجهتها وحاولت اجهاضها والتأثير على مسيرتها فى التطبيق سواء من قوى الرجعية المتآمرة فى الداخل ، أو من قوى الاستعمار والامبريالية فى الخارج التى بلغت ذروة تربصها فى ٥ يونيو ١٩٦٧ عندما حملت السلاح فى وجه هذه التجربة مكرسة كل جهودها ، وأجهزتها للقضاء عليها .

على أن فكر عبد الناصر لم يكن يمر فى مجتمعنا كالسكين فى الزبد ، بل كان يمر من خلال مقاومات ومعوقات ، أبرزها وجود بقايا القوى القديمة التقليدية ، التى آثر الفكر الناصرى ان يتركها

ويمنحها حرية الحركة بعد أن جردها من سلاحها وهو المال ، مع انه ـ عبد الناصر ـ كان ينبه دائما الى وجود حزب رجعى غير معلن نشيط ومتحرك ومع ذلك فانه آثر أن تكون الثورة بيضاء وأن يعبر على هذه القوى بطريقة سلمية نحو التحول الذى ينشده للمجتمع .

* * *

ولا شك أن وجود القائد والمعلم ، ومسيرته بالثورة مع الجماهير كان يمكن أن يعطى للتجربة أعماقا وأبعادا جديدة ، لانه رغم اكتمال خط التغيير الثورى ونموه فكرا ..

فقد كان القائد يعلن دائما ان الثورة مستمرة ، وان ارادة التغيير مستمر ، ولكن التاريخ لم يسمح أبدا لعظمائه ولصانعى المبادىء أن يكملوها ، ويرون آثارها الكاملة فى التطبيق ، ليس فقط لأن وجودهم فى حد ذاته كان يمكن أن يعطى اضافات لا نهاية لها ، يمنحونها من فكرهم المتجدد ورؤيتهم البعيدة المدى ، ولكن أيضا لأن القدر لم يمهلهم حتى يكملوا تطبيق ما فكروا فيه ، ويجنوا ثماره ..

ولكن عبد الناصر على كل حال لم يترك تجربته ورؤيته الفكرية غير كاملة ولا غير ناضجة ، بل ان هذه الرؤيا امتدت لتخرج من بلادنا تحمل اسم صانعها الى كثير من الدول النامية ، ودول العالم الثالث ، وأصبحت منهاجا أمام الباحثين والدارسين والمناضلين فى جميع أنحاء العالم ، وأسلوبا للحياة ترتضيه شعوبا عديدة من العالم لانه يحقق آمانيها وآمالها فى التقدم

ولقد أحدث هذا الأسلوب تأثيرات عدلت على أساسها كثير من الأفكار والآراء التى سبقته ، وثبت من خلال تجربة عبد الناصر فكرها ، خطؤها ، أو ان هناك طرقا اخرى يمكن أن تؤدى الى نفس المعنى ولكنها اكثر ملاءمة لبعض الشعوب .

ومن أجل ذلك كله رفعت الشعوب العربية ، وكثير من شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية شعارا جديدا اسمه الناصرية .. وهو مجموعة المبادىء والقيم والأسس التى صاغها جمال عبد الناصر بفكره ، لتكون طريقا لتقدم المجتمع ، وصيغه ملائمة لتطوره ، ومنهاجا ـ يصفه بعض المفكرين بأنه نظرية ـ كاملا لحركة ثورية نقلت المجتمع العربى فى مصر من القرن التاسع عشر، ووضعته على أبواب القرن العشرين ..

الحرية

الحرية فى فكر عبد الناصر .. هى حرية الوطن والمواطن ..

وقد يكون من قبيل الفصل التعسفى أن ندرس كل منهما على حدة ، فالناصرية ترى أنه لا حرية للوطن بدون تحرير المواطنين ، ولا حرية للمواطنين فى ظل وطن مستعبد ..

« فشعوبنا لا تصنع بالاستقلال علما ونشيدا ، وصوتا فى عداد الأصوات فى الأمم المتحدة ولكنها تريد الى جانب ذلك أن يكون للاستقلال مضمونا اجتماعيا يصون كرامة البشر ، كما يصون الاستقلال كرامة أرضهم » (١) .

والشعوب فى فكر عبد الناصر لا تستخلص حريتها من قبضة الغاصب لتضعها فى متحف التاريخ ، ولكنها تستخلص هذه الحرية لكى تمارسها ، وتحس بها واقعا فى حياتها ، وهذا لا يتأكد الا بتحرير لقمة الخبز ، وبتحرير الانسان من كل أنواع السيطرة والضغوط الداخلية والخارجية ..

تحرير الأرض من سيطرة الاستعمار وضغوطه ، وتحرير المواطن من سيطرة الاقطاع وتحكم رأس المال ..

وتحرير الوطن من سيطرة الاستعمار ، لا يتحقق الا بالاستقلال التام ، واتباع سياسة بعيدة عن الدخول فى الأحلاف ، ومناطق النفوذ .

---

(١) مؤتمر القمة الافريقى ١٧ يوليو ١٩٦٤ .

وتحرير المواطن من سيطرة رأس المال والاقطاع لا يتحقق الا بالتطبيق الاشتراكى الذى يسيطر فيه الشعب على مقدراته الاقتصادية ..

تحرير الوطن والمواطن طريقهما الاستقلال .. والاشتراكية .. عند ذلك تكون هناك حرية حقيقية لجميع الذين يعيشون على أرض الوطن ، ويستظلون تحت سمائه ..

اذن فالقضية واحدة .. قضية الحرية .. والاشتراكية ، والحرية هنا لا تعنى فقط حق المواطن فى أن يخطب ، ويجتمع ، ويسكن ، وينتقل ، ويتعلم ، ولكنها اساسا حقه فى أن يعيش مستقلا ، وحقه فى نصيب عادل من ثروة بلاده .. ومن هذين الحقين تنبع وتتأكد الحقوق الاخرى بطريقة سليمة وفعالة .

هذا التلازم بين الحرية ، والاشتراكية بدأ فى فكر عبد الناصر قبل قيام الثورة ، وتبلور تماما بعد عام ١٩٦١ ، ففى البداية كانت المؤشرات التى لديه هى الاستقلال ، والقضاء على الفساد والانحراف وحول الاستقلال ، كانت المعارك الأولى لعبد الناصر ولثورته ..

* * *

قضية الجلاء ، وطرد الاستعمار هى البند الاول من المبادىء الستة التى أعلنتها الثورة ، وقد كان هذا طبيعيا فمصر منذ الاحتلال الانجليزى سنة ١٨٨٢ وثورة الكفاح لدى الشعب لم تخمد أبدا .. ربما هدأت بعض الأوقات ، ولكنه كان هدوءا على السطح فقط .

واذا تتبعنا أحاديث وخطب عبد الناصر فى تلك الفترة من فجر الثورة ، وبالذات فى أعوام ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ نجد أن القضاء على الاستعمار كان هو القضية الوحيدة التى تلح عليه ، والتى كان ينفرد بالحديث عنها وحدها .. ففى أول خطاب عام للزعيم الراحل عندما وقف يتحدث أمام الطلاب لأول مرة فى الجامعة ، كان حديثه

عن الاستعمار البريطانى لمصر .. وتوالت بعد ذلك خطاباته فى محافظات مختلفة ، وكلها كانت تركز على تحرير الوطن كشىء جوهرى ، ومطلب ناضل المصريون طويلا من أجله .. ولذلك فان القضية الأولى كانت فى رأيه هى قضية **تحرير أرض مصر .. وهو واجب أبناء مصر كلهم .. الذين يمكن بوحدتهم الوطنية** ، على اختلاف انتماءاتهم أن يتجمعوا حولها ، وأن تتوحد نظرتهم اليها ، حتى ولو كانت هذه النظرة من مواقع مختلفة ، الا أن أحدا لم يكن يختلف حول ضرورة تحقيق استقلال البلاد ، وطرد المستعمر بعد اكثر من ٧٠ عاما من الاحتلال الا الذين اتخذت الثورة موقفا منهم فى البداية وأبعدتهم عن السياسة لارتباطهم المباشر بالاستعمار ..

ولقد خلف واقع المجتمع المصرى ، وتجربته ، ومعاناته فى فكر عبد الناصر عقيدة راسخة ، هى كراهيته للاستعمار ومحاربته للاحلاف ، وقد امتدت هذه العقيدة بعد ذلك الى معاداة الاستعمار ، ليس على أرض مصر ، ولكن على كل أرض تدنسها أقدام اجنبى يغزوها ، ويحتكر خيراتها ، ويستذل شعبها ، **وأصبحت الناصرية** تساوى معاداة الاستعمار فى كل مكان ، والوقوف بجانب الشعوب **التى تريد أن تتحرر ، وتلفظ الأجنبى الدخيل ..**

موقف واحد .. ضد الاستعمار ، فى مصر .. وفى كل وطن عربى .. هو نفس الموقف ضد الاستعمار فى أفريقيا وفى آسيا وفى امريكا اللاتينية .

موقف أعلنه عبد الناصر صراحة ، وصاغه فى مواثيقه الثورية المختلفة .. وكرره فى كل مناسبة .. ثم راح بعد ذلك يؤكد الموقف تطبيقا عمليا بمناصرة قضايا الشعوب .. والسلام فى كل مكان من العالم الى حد أن حمل شعبنا السلاح دفاعا عن الحرية فى بلاد اخرى .. وذهب خبراؤنا العسكريون يعطون خبرتهم للمناضلين من أجل التحرير فى أماكن متفرقة .

وفى حياة عبد الناصر تحررت بلدان عديدة من أفريقيا .. فبعد ثورة ١٩٥٢ تغيرت خريطة افريقيا ، وانحسرت عنها قوى الاستعمار الى حد كبير ..

ولأن عبد الناصر رفض الاستعمار ، وقاومه .. **فقد اتخذ الحياد الايجابى موقفا ليس لشعبنا فقط ، بل أصبح أحد الخطوط البارزة فى الفكر الناصرى** ، فى مجال العلاقات الخارجية والتعاون الدولى .. ذلك الموقف الذى عبر عنه أكثر من مرة بأننا نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا ..

* * *

من أهم الوثائق فى دراسة الفكر الناصرى ، هو أول خطاب عام ألقاه جمال عبد الناصر بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، لأنه يعكس بوضوح فكر القائد حول الثورة (١) وانها قامت لتقضى على الاستعمار أولا ..

وفى هذا الخطاب تحدث الزعيم الى شباب الجامعة فى ذكرى شهداء الجامعة .. الشهداء الذين سقطوا فى معارك التحرير وقال بالنص :

اخـــوانى :

لقد كان شباب الجامعة دائما فى مقدمة الذين رفعوا علم النضال والكفاح ضد الظلم والاستعمار وقد كنت طالبا بالمدارس الثانوية أجعل خطاى تسير مع خطى الجامعة ، فأصابتنى فى مثل هذا اليوم من سبعة عشر عاما أثناء اشتراكى فى المظاهرات ضد الاحتلال ، ما أصاب الكثيرين من المكافحين فى سبيل استقلال البلاد وتحريرها .

(١) جامعة القاهرة ١٥ نوفمبر ١٩٥٢ .

وقد تركت اصابتى أثرا عزيزا لا يزال يعلو وجهى ، فيذكرنى كل يوم بالواجب الوطنى الملقى على كاهلى كفرد من أبناء هذا الوطن العزيز .

وفى هذا اليوم وقع صريع الظلم والاحتلال المرحوم محمد عبد المجيد مرسى ، فأنسانى ما أنا مصاب به ، **ورسخ فى نفسى أن على واجبا أفنى فى سبيله** ، أو أكون أحد العاملين على تحقيقه حتى **يتحقق ، وهذا الواجب هو تحرير الوطن من الاستعمار وتحقيق سيادة الشعب** . وتوالى بعد ذلك سقوط الشهداء صرعى ، فازداد ايمانى بالعمل على تحقيق حرية مصر .

وانا اذ أقف بينكم اليوم بعد سبعة عشر عاما لاحيى ذكرى الشهداء فان الحق يقضى على بأن أقول : هنا وفى هذا المكان نبتت **هذه الثورة التى تهدف الى القضاء على الاستعمار وأعوانه وتحقيق الاستقلال التام للبلاد** .

وان أقل ما يعمل لتخليد ذكرى الشهداء هو أن يقام على قاعدة هذا التمثال رمز لهؤلاء الذين بذلوا أرواحهم فداء لوطنهم . أما التخليد الحقيقى لذكراهم فهو أن نحقق ما ناضلوا من أجله ، وضحوا فى سبيله بأرواحهم ، وانى أعاهدكم فى هذا المكان أن نعمل مخلصين على ذلك .

وانى لا أود أن أغادر هذا المكان قبل أن أقول لكم ان حركة الجيش ما قامت الا لتحرير الوطن واعادة الحيـــاة الدستورية السليمة للبلاد . وأن كل هدفنا هو أن نوفر للشعب حرية كاملة لا يمكن سلبها .

لقد حمل أبناء هذه الجامعة دائما مشعل الحرية ، وسيظلون باذن الله يحملون هذا المشعل ، وان أملنا فيكم لعظيم ، وما الجيش الا جزء منكم ، فلنتعاون جميعا حتى نحقق للوطن ما استشهد فى سبيله هؤلاء الأبرار والله ولى التوفيق . »

والخطاب الثانى للزعيم يعتبر وثيقة تاريخية أيضا ، لا لأنه حدد أول الأهداف الأساسية بانه القضاء على الاستعمار فقط ، ولكن لأنه تعرض للخلفية التاريخية لثورات الشعب المصرى ضد الغزو البريطانى منذ البداية . وهى نفس الخلفية التى صاغها فى الميثاق بعد ذلك بعشر سنوات ..

وفى هذا الخطاب يحدد الرئيس هدف الثورة بأنه **تحرير مصر ولابد من جلاء قوات الاحتلال ..** ويقرر أن الاحتلال ـ متعاونا مع الأسرة الحاكمة ـ هو سبب الفساد .. والانقسام .. والفرقة بين أبناء الشعب ، وهو فى نفس الوقت السبب الرئيسى فى التخلف ..

ويحلل بوضوح قاطع أن السبب الأساسى الذى قامت من أجله الثورة ، هو تحرير الأرض .. فالثورة لها جذور قديمة مع بداية الاحتلال .. فقد ثار الشعب قبلها بزعامة عرابى ، وثار فى سنة ١٩١٩ وحدثت انتفاضات وطنية بعد ذلك فى سنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ عندما هب الشعب ينادى بسقوط فاروق وحاشيته ونظامه ..

والنص الكامل لهذا الخطاب يؤكد رؤية عبد الناصر لتحرير الأرض كهدف رئيسى من أهداف ثورة ١٩٥٢ فهو يقول فى الخطاب بالنص :

« قد يحدد الناس تاريخ الثورة المصرية التى قام بها الجيش ممثلا للشعب باليوم الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ . »

والواقع أن هذا التاريخ مجافاة للواقع لأنه لم يكن الا آخر مراحل الثورة ـ فى هذه الفترة ـ أما أولى مراحلها فسابقة لهذا التاريخ عشرات السنين . انه اليوم الحادى عشر من يوليو سنة ١٨٨٢ ، أى قبل التاريخ الأخير بسبعين عاما واثنى عشر يوما بالتحديد .

(١) ٣١ ديسمبر ١٩٥٢ كتاب أهداف الثورة مطبوعات ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة سنة ١٩٥٣ .

ففى ١١ يوليو ١٨٨٢ ضربت الاسكندرية الوادعة بمدافع العدوان البريطانى . ثم كان الاحتلال البغيض . واشتعلت مصر ثائرة . وخرج الجندى الفلاح أحمد عرابى على رأس الأحرار من الضباط والجنود ليرد هذا العدوان الطاغى .

ولكن الثورة لم تحقق أهدافها . واكتفت بأن سجلت مولدها وكان لابد لها وقد بدأت طفلة ساذجة صغيرة من أن تصبر حتى تنمو مع الأيام ، حتى اذا أصبحت مكتملة قادرة على أن تقوم بعمل ما لم تتردد فى القيام به .

لقد حددت الثورة أهدافها منذ اليوم الأول لمولدها **« لابد من تحرير مصر .. لابد من جلاء قوات الاحتلال »** .

وكلما كانت الثورة تنمو ، كانت هذه الأهداف تزداد عمقا فى ضميرها ، وكلما كانت الأيام تمر ، كانت هذه الاغراض تشتد اتصالا بارادتها ، فما ان أقبلت سنة ١٩١٩ ، وكانت الحرب العظمى الاولى قد انتهت ، حتى هبت الثورة تطالب بتحقيق أهدافها . فصاحت **« الاستقلال التام أو الموت الزؤام »** وكانت تعنى ما تقول . فبذلت فى سبيل فكرتها وهدفها دما زكيا وتضحية غالية وروحا سامية .

ولم تخف الثورة أمام رصاص المستعمرين ولا أمام أذنابهم من رخاص المصريين ولكنها مضت قدما لا تبالى بالخديعة والدس ، واذا كانت الثورة بطبعها طيبة القلب صادقة النية صدقت الخداع والخادعين ، وسكنت ، وأخذت تنتظر الوعود ، فاذا هذه الوعود سراب !!

واذا بالثورة العارمة التى ولدت لجلاء المستعمرين عن أرض الوطن ترضى بدستور ١٩٢٣ بديلا عن أهدافها الكبرى .

وثارت الثورة على نفسها ! ولكن المناورات الاستعمارية كانت قد كبلتها . فما كانت تستطيع الا أن تنتظر بعض الوقت حتى تفك قيودها .

واكتفت الثورة من وقتها بأن تنظر حواليها وهى تسخر ممن استغلوها وأخذوا يتجرون بها ويتلاعبون باسمها .

كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مجدا يعلن صلته بها . وكان كل من يريد أن يكسب لنفسه مركزا يباهى بأنه ابن الثورة وصانعها ومحركها ..

وأصبحت الجماهير ضحية هذه المزايدات الوطنية وهذا اللون الجديد من ألوان الاستغلال السياسى والاتجار باسم الثـــورة ، بينما قبعت الثورة نفسها فى ركنها الهادىء ترقب هذا الصراع الجديد . وهذا الاستغلال لاسمها . وهى تسخر من جميع التجار والمستغلين لأنها تعلم أن فرصتها ستعود فتضرب ضربتها وتكشف بها مناورات هؤلاء جميعا وتمضى فى سبيل غايتها الأساسية « التحرير » .

وبدأ تجار السياسة يختلفون ويتفقون دون أن يكون لأهـداف الثورة دخل فيما يختلفون وفيما يتفقون .

ولكنها أغراض شخصية ومطامع وغايات وصراع على النفوذ . نفوذ الأفراد والأسر والاحزاب . ويتم كل ذلك باسم الثورة البريئة منهم وباسم الشعب المغلوب على أمره .

ثم تتطور الأمور فلا يعود هؤلاء السادة الحكام يكتفون بذلك انما يتعدونه الى ما هو أخطر فتعدوا على كل المقدسات فلا يصبح للسلطة القضائية أى كيان . وانما يصبح الامر فوضى فى يد الحكام والمتسابقين على النفوذ والجاه .. يوفرون لأنفسهم ألوانا شتى من المتاع واللذة .

وكان الشعب المصرى المسكين يدفع ثمن هذا كله من عرقه وآلامه .. ودفع التسابق على الحكم هؤلاء الحكام الى أن ينسوا

كل ميزان للكرامة فاندفعوا يتملقون الملك وتسابقوا فى مضـــاعفة سلطانه وزيادة نفوذه حتى أصبح كل شىء .

وعرف هو فيهم هذا الضعف فأخذ يلعب بهم . ماداموا ينحنون امام قامته العريضة .. فماذا يمنعه اذن من أن يطلب منهم مزيدا من الانحناء !!

وماداموا يفرطون فى حقوقهم وسلطاتهم ، فماذا يمنعه من أن يستهتر بهم جميعا .

وكانت القدوة القذرة التى يضربها الكبار تنفذ الى الصغار ، فيتسابقون بدورهم فى سبيل الحصول على المنافع الخاصة بالرشوة او الملق أو الرياء أو أى وسيلة أخرى يمكن أن تحقق لهم هـــذه المنافع الخاصة .

فمن جانب عم الفساد كل شىء . ومن جانب آخر انقسمت البلاد الى طبقتين واضحتين . طبقة الحاكمين وطبقة المحكومين . واحست كل طبقة من الطبقتين بالثغرة المتسعة التى نشأت بينها . فلاذت كل منهما بوسائل صناعية تحمى بها نفسها من الاخرى .

الى هذا الحد وصل الانقسام فى البـــلد الواحد والدولة الواحدة .

أما الطبقة الحاكمة فقد تكاتفت برئاسة فاروق وأخذت تحمى نفسها من الشعب بمختلف الوسائل . من فرق البوليس المدرعة الى البوليس السياسى ووسائل الجاسوسية الى القوانين التى تقيد طبقات الشعب فى سلاسل من حديد الى شراء الذمم والضمائر ..

وفئة أخرى تخصصت فى خداع الشعب لمصلحة فاروق ونظامه الى آخر تلك الأساليب البالية التى قصد منها حماية أفراد معينين من سخط الجماهير .

أما الشعب .. بدأ يتنبه الى هذا الفساد ، وبدأ يحس أن القوم يدبرون له أمرا خطيرا .. فبدأ يتكتل لمواجهة هذا التيار العاصف .. وبدأ ينتهز الفرص ليعبر عن سخطه بمختلف الوسائل التى يملكها ..

وسجل الشعب انتفاضات فى سنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ – ١٩٤٧ ١٩٤٨ واخيرا فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ حينما هب ينادى بسقوط فاروق ورجال فاروق وحاشيته ونظامه .

وكان الجيش فى هذه الأثناء يتفاعل مع الشعب خطوة خطوة فكلما غلى المرجل فى نفوس الشعب ، غلى بدوره بين ضباط الجيش وجنوده لأن الجيش من الشعب وللشعب .. بيد أن الجيش كان يؤثر الانتظار حتى يستنفد الشعب خطوات كفاحه ، وحتى تصل الأمور الى غايتها من الفساد فيسهل بعد ذلك القضاء على الفساد .

وكان يعز على رجال الجيش وهم من الشعب أن يسود فى أوهام الحكام أنهم احدى وسائل اخماد أفكار الشعب التحريرية الاصلاحية .

وأن يتسرب هذا الوهم من أذهان الحاكمين الى أذهان بعض المحكومين من طبقات الشعب الثائر . ولكنهم آثروا أيضا الانتظار حتى تحين الفرصة المناسبة فيضربوا ضربتهم القاضية .

وجاء يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

بعد سبعين عاما واثنى عشر يوما بالتحديد على مولد الثورة المصرية ..

وهب جيش مصر يباركه الشعب يضرب ضربته .. ولكن هل كان هدف الثورة هو التخلص من فاروق .. **انه هدف تصغر أمامه فكرة الثورة .**

ولكن الثورة تهدف الى تغيير النظام لمصلحة الشعب . بعد أن مضى هذا الزمن الطويل والشعب مغلوب .. والغالبون قلة يعدون على أصابع اليدين .

فكان لابد من تغيير الدستور واستبداله بدستور جديد يحقق الحرية والكرامة لكل مواطن .

وكان لابد من حماية الثورة حتى لا تنحرف أو تقصر عن بلوغ غاياتها . كما حدث فى مراحلها السابقة .. وكان لابد من اتخاذ

موقف من استغلال طبقة الحاكمين المتجرين بأسماء الثورات من أن تتاح لهم فرصة أخرى لهذا الاستغلال .

وكان لابد من سن « صك تحرير العبيد » من الذين سادوهم بقوة النفوذ واتساع الملكيات هذا الزمن الطويل .

وكان لابد من عدد عديد من المسائل تتخذ فورا ليصبح الشعب حرا وليحكم الشعب نفسه غير مقيد بشىء ثقيل من الماضى الكريه العفن .

وبهذا تؤمن الثورة أنها تستطيع أن تحقق أهدافها « **تحرير مصر ، لمصر ، ولشعب مصر** » .

وينتهى بذلك أول خطاب تفصيلى للقائد المناضل .. فى أول لقاء عام له بالجماهير العريضة ، ولم تكن الثورة قد انقضى عليها ستة شهور .. وفى هذا الخطاب رؤية واضحة لابعاد الثورة التى قام بها .. وكانت فى ذلك الوقت تهدف لتحقيق المبادىء الستة وعلى رأسها القضاء على الاستعمار وأعوانه .

* * *

ويمضى عبد الناصر ليؤكد على قضية التحرير والاستقلال فى خطاباته وتصريحاته بعد ذلك .. طوال السنة الأولى والثانية من عمر الثورة .. وليؤكد أن تحرير الأرض هو أولى مهام حركة الضباط الأحرار .

« فهؤلاء الضباط كافحوا الطغيان والاستبداد بكل أشكالهما وقد صهرتهم المقاومة وأدمجتهم فى كتلة واحدة لها نفس الأهداف والميول ، **وهدفهم الرئيسى هو أن يروا وطنهم قد فاز باستقلاله التام الخالى من كل أثر من آثار الاحتلال الأجنبى** .. وأمنيتهم أن يروا مواطنيهم يعيشون عيشة كريمة ، وهم متمتعون بالحرية والمساواة » (١) .

---

(١) تصريح لمندوب وكالة الانباء الفرنسية ٣٠ يناير ١٩٥٣ ..

موقف محدد من حرية الوطن .. أن يجلو الاستعمار ، أو يكون الكفاح المسلح لتتطهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للوطن .

« فالحرية حق وان استحقاقنا للحرية لا يتقرر بما اخذناه منها ، بل يحرضنا عليه ما لم ننله بعد .. ان الشعوب التى تساوم المستعمر على حريتها توقع فى نفس الوقت وثيقة عبوديتها ، لذلك فان أول أهدافنا هو الجلاء بدون قيد أو شرط ، اننا نعلنها عالية مدوية : **يجب أن يحمل الاحتلال عصاه على كاهله ويرحل ، أو يقاتل حتى الموت دفاعا عن وجوده** » (١) .

« فالاستعمار هو الذى زيف ديمقراطيتنا .. وهو الذى حارب محاولتنا لاقامة حياة دستورية سليمة » .

فموقف الناصرية اذن من الاستعمار واضح منذ فجر الثورة .. وهو قتال الاستعمار حتى التحرير .. فالاستعمار لا يترك الأرض التى يحتلها الا مرغما ، وحتى عندما يتفاوض فانه لا يستجيب الا اذا فاوضته الدولة المحتلة من منطق القوة ، والاصرار على التحرير والرفض لكل ما يقدمه من حلول وسط .. فان قوته وجيوشه تتلاشى أمام وحدة الشعب وتصميمه على نيل استقلاله .

ومن هنا فان الطريق الى تحرير الشعوب ليس عملا يسيرا .. وهو ليس رحلة سهلة ، ولا مناورة كلامية يستخدمها مفاوض ماهر . وانما يجب أن تكون الشعوب مستعدة للقتال ، عازمة عليه ، وأن تستعد لدفع ثمن حريتها غاليا من دماء أبنائها « ان مصر قد أجمعت على أن تصل الى حريتها واستقلالها مهما كانت الصعاب ومهما كانت المشاق وان وجود الاحتلال الأجنبى على أرض بلادنا سبعين عاما يدعونا لأن نستعد لأسوأ الاحتمالات ، واننا اذ نطالب برفع الذل عن رؤوسنا ، هذا الذل الذى ورثناه فانما نهيىء قوانا للساعة الفاصلة وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله (٢) » .

(١) ٢٣ فبراير ١٩٥٣ فى شبين الكوم .
(٢) المؤتمر السياسى بميدان الجمهورية ١٦ سبتمبر ١٩٥٣ .

فالاستعمار يقاتل دفاعا عن وجوده ، ولا يفرط فى الأرض التى يمتص خيراتها الا مرغما ، وهو عادة يستعين بقوى من الداخل تتعاون معه ، وتبيع نفسها له .. وهو اذ يمكن لهذه القوة من السيطرة السياسية ، والاقتصادية .. فذلك لأن مصالحها ترتبط بوجوده ، فانها معه .. ولا تتنازل عن مصالحها بسهولة ..

* * *

تحليل تاريخ الشعب المصرى يؤدى الى هذه النتيجة .. ان الاستعمار لم يتنازل مختارا ولا طائعا عن ممارسته لاحتلال الأرض ونهب خيرات الشعب .

« فان شعب الجمهورية العربية المتحدة فى حربه ضد الاستعمار ضرب مثلا حيا ما زال أسطورة فى تاريخ نضال الشعوب ..

« ان شعبنا كشف الاستعمار العثمانى (١) وقاومه برغم التحايل عليه باستار الخلافة الاسلامية »

« ثم قاوم شعبنا الغزو الفرنسى حتى أرغم المغامر الذى دوخ أوربا كلها على أن يرحل بالليل عبر البحر الأبيض الى فرنسا ..

فقد وجدت الحملة الفرنسية على مصر فى منتصف القرن التاسع عشر ان « الشعب المصرى يرفض الاستعمار العثمانى المقنع باسم الخلافة .

كما وجدت « مقاومة عنيفة لسيطرة المماليك وتمردا مستمرا على محاولاتهم لفرض الظلم على الشعب المصرى ، وبرغم أن هذه المقاومة العنيفة والتمرد المستمر قد كلفا شعب مصر غاليا فى ثروته الوطنية وفى حيويته ، فان الشعب المصرى كان صامدا ثابت الايمان (٢) »

« ثم صمد لمؤامرات الاستعمار العالمى واحتكاراته الدولية التى استغلت أسرة محمد على »

(١ ، ٢) الميثاق .

ولقد كانت مصر تعيش فى يقظة شعبية ، واثقة بنفسها ، تتحفز لامال المستقبل بعد فرار الحملة الفرنسية حتى جاء محمد على ليستغل الارادة الشعبية ويلويها لتحقق مطامعه الفردية .. ويتجاهل مصالح الشعب .. « فان المأساة فى هذا العهد هى أن محمد على لم يؤمن بالحركة الشعبية التى مهدت له حكم مصر بوصفها نقطة وثوب الى مطامعه .. ولقد ساق مصر وراءه الى مغامرات عقيمة استهدفت مصالح الفرد متجاهلة مصالح الشعب »

« ان اليابان الحديثة بدأت تقدمها فى نفس هذا الوقت الذى بدأت فيه حركة اليقظة المصرية ، وبينما استطاع التقدم اليابانى أن يمضى ثابت الخطى ، فان المغامرات الفردية عرقلت حركة اليقظة المصرية ، وأصابتها بنكسة الحقت بها افدح الأضرار »

« ان هذه النكسة فتحت الباب للتدخل الأجنبى فى مصر على مصراعيه بينما كان الشعب قبلها قد رد بتصميم ونجاح محاولات غزو متوالية ، كان أقربها فى ذلك الوقت حملة فريزر ضد رشيد »

« ومن سوء الحظ أن النكسة قد وقعت فى مرحلة هامة من مراحل تطور الاستعمار ، فان الاستعمار كان قد تطور فى ذلك الوقت من مجرد احتلال المستعمرات ، واستنزاف مواردها الى مرحلة الاحتكارات المالية لاستثمار رؤوس الأموال المنهوبة من المستعمرات (١) »

« وكانت النكسة فى مصر بابا مفتوحا لقوى السيطرة العالمية ».

« وبدأت الاحتكارات المالية الدولية دورها الخطير فى مصر ، وركزت نشاطها فى اتجاهين واضحين ، هما حفر قناة السويس ، وتحويل أرض مصر الى حقل كبير لزراعة القطن لتعويض الصناعة البريطانية عن أقطان أمريكا التى قل ورودها الى بريطانيا بسبب انتهاء سيطرتها على أمريكا ، ثم انقطع وصولها تماما بسبب ظروف الحرب الأهلية الأمريكية » .

---

١ - الميثاق .

« ولقد عاشت مصر فى هذه الفترة تجربة مروعة استنزفت فيها كل امكانيات الثروة الوطنية لصالح القوى الأجنبية ولمصلحة عدد من المغامرين الأجانب الذين تمكنوا من السيطرة على امراء أسرة محمد على وساعدهم على ذلك فداحة النكسة التى أصيبت بها حركة اليقظة المصرية » .

« على أن روح هذا الشعب لم تستسلم وانما استطاعت تحت المحن العصيبة فى هذه الفترة أن تختزن طاقات تحفزت لاطلاقها فى اللحظة المناسبة » .

« وكانت هذه الطاقة هى العلم الذى حصل عليه آلاف من شباب مصر الرواد ممن أرسلوا - أيام الصحوة التى سبقت النكسة من حكم محمد على - الى أوربا ليتمكنوا من العلم الحديث فان هؤلاء استطاعوا بعد عودتهم الى الوطن أن يجلبوا معهم بذورا صالحة ما لبثت التربة الثورية الخصبة لمصر أن احتضنتها لتخرج منها بشائر نبت ثقافى جديد راح ينشر الوانا رائعة من الأزهار على ضفاف النيل الخالد » .

« وليس صدفة أن هذه الزهور المتفتحة على ضفاف وادى النيل كانت بمثابة الومضات اللامعة التى لفتت أنظار العناصر المتطلعة الى التقدم فى المنطقة كلها نحو مصر ، وجعلت منها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر منبرا للفكر العربى كله ومسرحا لفنونه وملتقى لكل الثوار العرب من وراء الحدود المصطنعة والموهومة » .

« ولقد أحسنت الاحتكارات الاستعمارية الطامعة فى المنطقة بالأمل الجديد يستجمع قواه ويتحفز ، وكانت بريطانيا بالذات لا تحول انظارها عن مصر بحكم اهتمامها . بالطريق الى الهند . ومن ثم القت بثقلها كله فى المعركة الثورية التى لاحت مقدماتها بين القوى الشعبية وبين أسرة محمد على الدخيلة المغامرة » .

« وكانت ثورة عرابى هى قمة رد الفعل الثورى ضد النكسة وكان الاحتلال البريطانى العسكرى لمصر سنة ١٨٨٢ ضمانا لمصالح الاحتكارات المالية الأجنبية وتأييدا لسلطة الخديوى ضد الشعب وهو التعبير عن ارادة الاستعمار فى استمرار بقاء النكسة ومواصلة القهر والاستغلال ضد شعب مصر » .

« ان قوة الاحتلال البريطانى العسكرى ومؤامراة المصالح الاحتكارية الاستعمارية والاقطاع الذى أقامته أسرة محمد على باحتكارها للأرض أو اقتسام جزء منها بين أصدقائها أو أصدقاء المستغلين الأجانب . ذلك كله لم يستطع أن يطفىء شعلة الثورة على الأرض المصرية » .

« ان وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النداءات الثورية فى مواجهة هذا الارهاب المتحكم الذى تسنده قوى الاحتلال الأجنبى والمصالح الدولية الاستعمارية » .

« ان أصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية وأصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير لم تخفت حتى انطلقت أصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهذا الشعب الباسل وعن حركة اليقظة التى لم تقهرها المصاعب » .

« لقد سكت أحمد عرابى ولكن صوت مصطفى كامل بدأ يجلجل فى آفاق مصر » .

« ومن عجب أن هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه أنها فترة الخمود كانت من أخصب الفترات فى تاريخ مصر بحثا فى أعماق النفس وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد » .

« لقد ارتفع صوت محمد عبده فى هذه الفترة ينادى بالاصلاح الدينى » .

« وارتفع صوت لطفى السيد ينادى بأن تكون مصر للمصريين »

« وارتفع صوت قاسم أمين ينادى بتحرير المرأة . وكانت تلك كلها مقدمة موجة ، ثورية جديدة ما لبثت أن تفجرت سنة ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وبعد خيبة الأمل فى الوعود البراقة التى قطعها الحلفاء على أنفسهم خلال الحرب وفى مقدمتها وعد ويلسون الذى ما لبث هو نفسه أن تنكر لها واعترف بالحماية البريطانية على مصر » .

« وركب سعد زغلول قمة الموجة الثورية الجديدة يقود النضال الشعبى العنيد الذى وجهت اليه الضربات المتلاحقة أكثر من مائة عام متواصلة دون أن يستسلم أو ينهزم » .

« ان القيادات الثورية لم تستطع أن تلائم بين أساليب نضالها وبين الأساليب التى واجه الاستعمار بها ثورات الشعوب فى ذلك الوقت أن الاستعمار اكتشف أن القوة العسكرية تزيد ثورات الشعوب اشتعالا . ومن ثم انتقل من السيف الى الخديعة وقدم تنازلات شكلية لم تلبث القيادات الثورية ان خلطت بينها وبين الجوهر الحقيقى . وكان منطق الأوضاع الطبقية يزين لها هذا الخلط » .

« ان الاستعمار فى هذه الفترة أعطى من الاستقلال اسمه وسلب مضمونه ومنح من الحرية شعارها واغتصب حقيقتها وهكذا انتهت الثورة باعلان استقلال لا مضمون له وبحرية جريحة تحت حراب الاحتلال وزادت المضاعفات خطورة بسبب الحكم الذاتى الذى منحه الاستعمار والذى أوقع الوطن باسم الدستور فى محنة الخلاف على الغنائم دون نصر » .

« وكانت النتيجة أن أصبح الصراع الحزبى فى مصر ملهاه تشغل الناس وتحرق الطاقة الثورة فى هباء لا نتيجة له » .

« وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ التى عقدت بين مصر وبريطانيا ، والتى اشتركت فى توقيعها طبقة وطنية تضم كل الأحزاب السياسية

العاملة فى ذلك الوقت بمثابة ، صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة سنة ١٩١٩ فقد كانت مقدمتها تنص على استقلال مصر ، بينما صلبها فى كل عبارة من عباراته يسلب هذا الاستقلال كل قيمة له وكل معنى » .

« ان الشعب المصرى بدأ يتأهب لاستئناف دوره التاريخى حتى قبل أن تنتهى الحرب العالمية الثانية ، وقبل أن تنزاح الأشباح الكئيبة لدبابات الاحتلال عن مدنه الكبرى » .

« ولقد عبر الشعب المصرى عن نفسه ، برفضه العنيد ان يشترك فى الحرب ، التى لم تكن فى نظره الا صراعا على المستعمرات والأسواق بين العنصرية النازية وبين الاستعمار البريطانى الفرنسى الذى جر على البشرية كلها ويلات لا حدود لها من القتل بالجملة والدمار الشامل » .

« لقد رفض الشعب المصرى كل الشعارات التى رفعها المتحاربون اعلاما فوق رءوسهم ليخدعوا بها الشعوب » .

« وسحب الشعب المصرى كله البقايا الباقية من تأييده للذين تعاونوا مع سلطة الاحتلال طمعا فى مكاسب السوق السوداء التى فرضتها الحرب وظلالها القاتمة »

« وعمت الشباب المصرى موجة من السخط والغضب على كل الذين مدوا أيديهم للاحتلال وقبلوا وجوده ، ولقد ترددت فى مصر فى ذلك الوقت أصداء طلقات الرصاص ، وتجاوبت أصداء انفجارات القنابل ، وكثرت التنظيمات السرية بمختلف اتجاهاتها وأساليبها (١)

* * *

فى أكتوبر ١٩٥١ وقف مصطفى النحاس فى البرلمان ووراءه مد شعبى كبير وقال للأعضاء أنه « باسم مصر

١ - الميثاق .

وقعت معاهدة ١٩٣٦ ، وباسم مصر أطالبكم اليوم بالغائها » .

كانت حكومة الوفد مضطرة لاتخاذ هذا القرار استجابة للضغط الشعبى المتزايد ، وبعد أن حملت هى بنفسها القضية وراحت تعرضها على الأمم .. ثم عادت لتستأنف المفاوضات من جديد ، ولكنها لم تصل الى تسوية ..

وبدأت المقاومة المسلحة فى منطقة القناة ... جموع الشباب والعمال يطالبون بأن يحملوا السلاح ، ليحيلوا حياة المستعمر بجنوده الذين بلغ عددهم ٨٠٠ ألف فى منطقة القناة الى جحيم .

ولكن حكومة الوفد كانت مترددة ، ذلك أنها لم تقطع الأمل فى الوصول الى اتفاق عن طريق التفاوض ، يحقق لها الابقاء على علاقتها بالانجليز ، والابقاء على « علاقتها » بالأمة المصرية ، باعتبارها حكومة شعبية ، وباعتبار أن الشعب المصرى يرفض الاحتلال ، وان كان لا يرفض أى اسلوب جاد يؤدى الى الجلاء ..

وعاشت مصر فترة مليئة بفورات الحماس ، والعمل النضالى الذى تنظمه وتقوده الجماهير ، وتستاء منه السلطات فى الدولة ، وعلى راسها السراى الملكية والحكومة الوفدية ذاتها .

وتاريخ هذه الفترة من حياة الشعب المصرى جديرة بالدراسة .. التحليلية وخاصة الدور الذى لعبه الاستعمار متعاونا مع السراى الملكية ، والذى انتهى بحريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

وللحقيقة « فان شرار الغضب أشعل من الحرائق فى القاهرة أكثر مما أشعلت يد التدبير الخفيفة التى بدأت عملية الحريق » (١)

وكان الحريق فرصة مخططة لضرب الكفاح المسلح ولفرض

١ - الميثاق .

الأحكام العرفية .. وجاءت وزارة أثر وزارة .. ترفع شعارات التطهير قبل التحرير والتخويف من خطر الشيوعية ..

« فقد توالت مؤامرات الاستعمار الأنجلو أمريكى فى الفترة الأخيرة فى مصر لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية ، وصرف أنظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار فى القنال الى مشاكل داخلية فى القاهرة » .

« وهكذا وصل الهلالى الى الحكم بعد تدبير سابق .. وقد جاء الهلالى وأعلن برنامج الوزارة بصراحة ، وأن مهمتها الرئيسية هى التطهير والقضاء على الفساد ، وقد تناسى أن الفساد الأكبر مصدره الاستعمار وأنه لا يمكن القضاء على الفساد الداخلى الا اذا قضى على أسبابه ومصادره » (١) .

* * *

وقفة صغيرة يمكن أن نرصد فيها ومن خلالها رؤية عبد الناصر الأوضاع الداخلية فى مصر قبل ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفى تلك الفترة الحافلة بالنضال من تاريخ الشعب المصرى .

● لقد كان الغزاة الأجانب يحتلون ، على أرضه ، وبالقرب منه ، القواعد المدججة بالسلاح ترهب الوطن المصرى ، وتحطم مقاومته .

● وكانت الأسرة المالكة الدخيلة تحكم بالمصلحة والهوى ، وتفرض المذلة والخنوع .

● وكان الاقطاع يملك حقوله ويحتكر لنفسه خيراتها ولا يترك للايين الفلاحين العاملين عليها غير الهشيم الجاف المتخلف بعد الحصاد .

---

(١) من أحد منشورات الضباط الاحرار عقب تأليف وزارة نجيب الهلالى الاولى .

● وكان رأس المال يمارس ألوانا من الاستغلال للثروة المصرية بعد ما استطاع السيطرة على الحكم وترويضه لخدمته .

● وكانت القيادات السياسية المنظمة لنضال الجماهير قد استسلمت واحدة بعد واحدة واجتذبتها الامتيازات الطبقية وامتصت منها كل قدرة على الصمود ، بل واستعملتها بعد ذلك فى خداع جماهير الشعب تحت وهم الديمقراطية المزيفة .

● وحدث نفس الشىء مع الجيش الذى حاولت القوى المسيطرة المعادية لمصالح الشعب أن تضعفه من ناحية وأن تصرفه من ناحية أخرى عن تأييد النضال الوطنى بل وكادت تصل الى استخدامه فى تهديد هذا النضال وقمعه .

* * *

ليلة ٢٣ يوليو كانت بداية لحياة جديدة مختلفة لهذا الشعب ، وكانت بداية وضع الخطوط الأولى للفكر الناصرى فى مجال التطبيق .. فقد خرجت طليعة من القوات المسلحة لتكون أداة شعبية لتنفيذ ثورة الشعب .. وتحقيق آماله ..

بدأت الثورة بطرد الملك فاروق « ٢٦ يوليو ١٩٥٢ » وقانون الاصلاح الزراعى « ٩ سبتمبر ١٩٥٢ » ثم حل الأحزاب « ١٨ يناير ١٩٥٣ » واعلان الجمهورية « ١٨ يونيو ١٩٥٣ » ...

وبدأ العمل من أجل التحرير منذ اللحظة الأولى . ويوضح جمال عبد الناصر الموقف من قضية التحرير فى « أن مصر لا تتردد فى المفاوضات مع انجلترا » .

« ان مصر لن تتردد فى بدء المحادثات غدا مع بريطانيا فى سبيل الوصول الى حل عادل عملى لمسألة قناة السويس ، ولكن يجب التسليم مقدما بأننا لن نبحث فى اتفاق يشمل الشرق الأوسط ، وأننا نعنى بقولنا « نريد بلوغ حل عادل » الجلاء عن منطقة القناة » (١)

---

١ ـ تصريح لمراسل جريدة الاوبزرفر فى القاهرة فى ١٢ ابريل ١٩٥٣ .

« واحب أن أصارحكم القول بأننا لم نعد نؤمن بأن بريطانيا راغبة حقا فى المفاوضة على حل عادل يقوم على أساس الجلاء ، فقد انقضت الأسابيع تلو الأسابيع على اتفاق السودان ، ولم نتلق الى اليوم شيئا من جانبها ، غير محاولة المفاوضة على مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط جنبا الى جنب مع مسألة القناة . وان كنا فى احاديثنا الخاصة لم نكف يوما عن القول فى وضوح ، أننا لن نتناقش فى ذلك ولن نبحثه » .

« وقد رأيت البريطانيين يسألوننى لماذا ادلى ببيانات مريرة ، واكثر من النذر ، واطيل الوعيد ، ولكن الجلى لكل انسان هو أننا حين نعتقد أن بريطانيا لا تنتوى حل هذه المشكلة مضطرون الى تهيئة شعبنا للنتائج ، وتوطين قومنا على مواجهة العواقب والتضحيات » .

« فبينما نحن نطالب بما يؤمن به كل مصرى بأنه حقه الطبيعى بل الحق الذى نؤمن به نحن معشر رجال الجيش بأنه الحق الذى لا مراء فيه ولا نزاع ، فلكل بلد استقلاله التام ، وان كل ما نقوله هو أننا سنناضل بكل ما أوتينا من قوة حتى وان اقتضى النضال اراقة الدماء اذا ما ارغمتمونا عليه ارغاما ، والجأتمونا اليه الجاء ».

« وما ترددنا يوما فى مصارحة قومنا بأننا سنعانى كثيرا اذا ما حملنا على هذا المحمل ، وستكون تضحياتنا بالغة اذا ما ارغمتمونا على هذا النضال ، ونحن نعرف أننا لن نستطيع أن ندمر الجيش البريطانى ، ولكننا نعرف أيضا آن فى امكاننا أن نجعل مركز بريطانيا فى مصر معدوم الفائدة لها ولحلفائها على السواء » .

« لسنا نريد أن يحدث هذا أو يقع ، لأنه سيدمر خططنا الداخلية ، ومشروعاتنا الاصلاحية ولكنه اذا حدث فلن يكون حدوثه باختيارنا ، ولا برغبتنا ومشيئتنا ، وانما مرجعه الى أننا قد وجدنا اليوم ، كما وجدنا طيلة سبعين عاما خلت ، ان بريطانيا ترفض الاعتراف بحقنا فى حل عادل ، وتأبى علينا حقوقنا القومية » .

« وفى الحق ان كل ما نبغيه هو قيام علاقات ودية مع بريطانيا حتى ينسنى لمصر أن تتطلع الى عهد تقدم ورفاهية ، وتتخلص الى الأبد عن هذا الجرح الذى لا يندمل ، ونعنى به هذا النزاع القائم بيننا وبين بريطانيا » .

« اما اذا هى اعترفت بعدالة قضيتنا ، ولم تتشبث بمحاولتها اكراهنا على ميثاق اقليمى آخر ، يعده الشعب صورة اخرى من صور الاحتلال ، فيومئذ نستطيع أن نبحث معها فى المسائل الأخرى ويومئذ نستطيع أن نتداول معها فيما بقى من الشئون » .

« فلتدرك الحكومة البريطانية أن الموقف يزداد كل شهر سوء من وجهة نظرها ، فقد تعاقبت الأحداث وتكاثرت التطورات ، كما أن مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط كانت تحمل من الغضاضة والامتهان ما يجعلنا نأبى الحديث عنها أو عن شىء مثلها » .

« ولعلك سائلى : ماذا تريدون اذن ؟ وما هى سياستكم ؟ وجوابى . **اننا نريد الجلاء ، ونبغى الاستقلال التام** ، ولكننا ايضا نريد أن تبقى منطقة القناة مؤدية عملها محتفظة بقوتها وكفايتها ولسنا نمانع فى البحث فى الوسائل الكفيلة ببقائها ، والاحتفاظ بها كقاعدة مصرية لا شأن لأحد آخر بها » .

« نحن جنود ، بل نحن واقعيون ، ولا يخفى علينا أن لا قبل لنا بالحرص على بقاء هذه القاعدة المترامية المدى كما هى الآن ، واننا سنحتاج الى الفنيين » .

« ولكن يجب أن تكون القاعدة مصرية ، ويجب بالتالى ان يكون لنا الحق فى التماس العون الفنى **من أى طريق** وان كان هذا أمرا لا أهمية له اذا تعاونت بريطانيا معنا بصدق واخلاص » .

« أما اذا كانت بريطانيا تظن انها مستطيعة ابقاء الاحتلال تحت ستار المعونة الفنية والخبراء الفنيين ، فليس فى بحث هذا الأمر خير بالطبع ، ولا فائدة ترجى منه ، ولكن اذا كانت تريد أن تنظر الى

هذه المسألة من ناحية مصلحتها ومصلحتنا سواء بسواء ، وأن نتبين من البحث ما هو حقا المطلوب ، وما هو فعلا اللازم ، فلا مفر من الحديث اليها ولا بأس من الكلام معها ، وقد لا نصل الى اتفاق ، ولكن لنحاول ، فلا ضرر ولا ضرار » .

« وقد رأينا البريطانيين أيضا يسألوننا رأينا فى الدفاع عن الشرق الأوسط ، ولكن الدفاع الاقليمى من ناحية طريقتنا فى التفكير وأسلوبنا فى بحث المسائل ، ليس شيئا مكتوبا على الورق ، ولا هو بالمدون المسطور ، واعتقادى أن الاقطار العربية كلها تريد فعلا بناء دفاعها وضمان مناعتها ولكنها فى اللحظة الراهنة ضعيفة . فاذا ظفرنا جميعا بالمعونة استطعنا أن نبنى دفاعنا ، ونعزز قوانا ، ويومئذ تتوافر الأوضاع ، والمواقع الاستراتيجية التى يفيد منها أصدقاؤنا وينتفعون ، اذ لن يتسنى لنا بناء خطوط دفاعنا واستحكاماتنا الا بعون أصدقائنا الذين يقدمون المعونة لنا بدون قيود تسمى مصالح بلادنا » .

« وهذه هى النتيجة التى سنصل اليها فى النهاية ، اذ هم الذين سيكونون أصدقاءنا . لقد دلل التاريخ على أن مصر فى الحرب الماضية قدمت من المعونات قدرا يفوق ما كانت المعاهدة تقتضيه ، ويتجاوز ما كنا ملزمين به » .

« أما اذا لم تتم التسوية ، فلا تعتمدوا على تعاون كهذا مرة أخرى ، وكل ما نقوله ، أنه اذا كانت بريطانيا لا تنوى الوصول الى تسوية عادلة ، فلا تعتمد علينا فى حرب ولا فى سلام بل الواقع انكم ستجدوننا يومئذ أعداء ألداء » .

« ونحن نحاول أن نكون أصدقاء ، ولكن لا يصح أن تنتظروا منا أن نمد لكم أيدينا مستجدين حقنا الطبيعى ، ولا أن نقف منكم موقف المكتوفين » .

ويرد جمال عبد الناصر على الحملة التى شنها **اللورد كيلرن السفير البريطانى الأسبق** على مصر لكى يضلل الشعب البريطانى « ويستهين بالحركات الوطنية » فيقول جمال عبد الناصر (١) :

ان « كيلرن يحذر الشعب البريطانى من جمال عبد الناصر ويدعى أننا نضمر الشر لبريطانيا ، فليعلم أن المصريين جميعا ، ونحن قادة حركة الثورة من بينهم لا نضمر شرا مطلقا كما يزعم كيلرن ، لا لبريطانيا ، ولا للشعب البريطانى ولا لغيره من الشعوب ، ولكننا على العكس من ذلك قوم سئمنا ضروب الشر واحلال الخير محله » .

« انى أود أن أوجه الخطاب الى الشعب البريطانى نفسه .. لا لأضلله كما يفعل أمثال اللورد كيلرن ، وانما لأنى فقط أبغى الكشف عن الحقائق حتى يكون على بينة من أمرها فأتساءل :

« هل يقبل الشعب البريطانى لو كان مكاننا احتلال وطنه ضد ارادته .. ؟ ؟ »

« وهل كان يقنع بأية حجة أيا كان مظهرها تفرض عليه دوام احتلال أجنبى ؟ لو أنهم تعرضوا له مدى سبعين عاما فقدمت اليهم خلالها الوعود تلو الوعود بالجلاء والانسحاب من أرض الوطن ؟ » .

« ما من شك أن أى شعب يرفض مثل هذا الأمر حرصا على حقه المقدس فى الحرية الكاملة . لقد تحملت بريطانيا الكثير للدفاع عن حريتها خلال الحروب الماضية ولن نكون أقل استعدادا للبذل والتضحية ، بل لعل طاقتنا على ذلك أكبر بعد الذى عانيناه من استعباد دام أكثر من سبعين عاما » .

« اننا حريصون كل الحرص على الوصول الى تسوية سلمية ، ولكننا فى نفس الوقت نصر اصرارا أكيدا على حقوقنا المستمدة من حق الشعوب الطبيعى فى الحرية والاستقلال ، والمستمدة من ميثاق

(١) ٥ ابريل ١٩٥٣ .

الامم المتحدة ، فاذا ما تبددت آمالنا فاننا لن نتردد كأى شعب يشعر بكرامته وحقه المقدس فى الحرية والاستقلال فى أن نسلك أى طريقة توصلنا الى الحصول على حقوقنا مهما كانت التضحيات التى نتحملها لنفوز بالحرية ، ولنخلف لأبنائنا من بعدنا أغلى ما يتمتع بلد به : الاستقلال والحرية » .

« انى أقولها كلمة قصيرة ، ولكنها صريحة ، وفى هذا ما انا الا اللسان الذى يعبر عما فى نفوس المصريين جميعا . هدف لن يتحولوا عنه مهما كانت الأحوال والاعتبارات : أن تجلوا القوات الأجنبية عن اراضينا جلاء كاملا وبدون أى قيد أو شرط . فاذا ما أصبحت سيادتنا كاملة . وحريتنا تامة . **فان مصر فى هذه الحالة** ستعرف كيف تتصرف لدفع أى عدوان يهدد سلامتها » .

وتبدأ المفاوضات ولكنها فى هذه المرة والكفاح المنظم للشعب المصرى يؤرق الاستعمار ..

تكونت كتائب الفدائيين .. بدأ التدريب العملى والجاد .. المدربون هم رجال الجيش ... أفراد من القوات المسلحة يعدون الخطط ... اتجاه السلطة فى الدولة يتغير ليساند الكفاح المسلح .. يذكر سلوين لويد فى مجلس العموم البريطانى أنه « فى ستة أشهر بلغت « الحوادث » فى القاعدة ١٥٠٠ حادثة » . وبدا واضحا أن قوات الاحتلال لن تتمكن من أن تعيش حياة مستقرة .. بعد أن شغلت نصف القوات الموجودة فى منطقة القنال بتأمين والدفاع عن النصف الآخر ..

ورأت انجلترا فى تلك الظروف أن وجودها فى مصر أصبح مستحيلا ..

* * *

نبذ الفكر الناصرى الأسلوب التقليدى فى المفاوضة فلم يعد ممكنا ان نتصور أن الانجليز سيرحلون عن طريق التفاوض بنفس الأسلوب القديم ..

التفاوض فى هذه المرة يسنده كفاح مسلح منظم تدعمه قوات الجيش وتسنده الحكومة الثورية . لأنه « اذا اعتقدنا أن الاستعمار سيتخلى عنا بسهولة فنحن مخطئون ، فالطريق شاق وصعب ، وسنستمر فى الكفاح مهما يكن الطريق حتى نصل الى أهدافنا .. وسنصل الى نهاية الطريق ان شاء الله بفضل اتحادنا(١) » .

والوحدة الوطنية فى مواجهة الاستعمار الجاثم على ارض الوطن امر تفرضه الضرورة لمواجهة المحتل ، فالأرض المحتلة هى ارض الوطن كله ، وعلى كل من تظله سماؤه ان يدافعوا عنها « وليذكر الانجليز أن جيش مصر يضم ٢٠ مليونا مصريا (٢) » و « اننا نكون جيشا كبيرا يضم ٢٢ مليونا من المصريين وهو قادر على اخراج المستعمر من البلاد ولن **نعتمد على فئة قليلة ولكننا نعتمد على المواطنين جميعا** ، اننا نكون فى جميع انحاء مصر جيوشا متفرقة .. واننا نوزع السلاح فى جميع انحاء البلاد .. اننا نعمل على تدريب جميع أبناء مصر ولن يستطيع المستعمر أن يبقى فى بلادنا الا بعد القضاء علينا .. ولن يستطيع الانجليز أن يقضوا على ٢٢ مليونا(٣) » .

الوحدة الوطنية اذن ضرورة فى مرحلة التحرر الوطنى بعد أن تعزل العناصر المتعاونة مع الاستعمار ، والتى تفسد الحياة السياسية ، والتى تربط مصالحها ببقائه ووجوده .. على أن هناك فئات أخرى من المجتمع قد ترتبط مصالحها الاقتصادية مع الاستعمار ، ولكنها ترى فى الاجهاز عليه فائدة لها ، اذ تتصور فى تلك المرحلة أنها يمكن أن تكون الوريث لرأس المال الأجنبى ، ويمكن أن تنمو اذا خلا لها الجو وأصبح لا ينازعها المستعمر برؤوس أمواله ، وبحمايته للشركات والمصانع والأشخاص المتعاونين

---

١ – ١٨ ابريل ١٩٥٣ فى حى المنتزة بالاسكندرية .
٢ – سرادق هيئة التحرير بدمياط .
٣ – ١٤ يونيو ١٩٥٣ الاسكندرية بمناسبة عيد الفطر .

معه وقد أبرز عبد الناصر هذا الموقف فى المؤتمر الأول للاتحاد القومى :

« بعدين لما أعلنا تمصير الشركات البريطانية والفرنسية ، على طول اتلموا على بعض ، واتقدموا .. وكل واحد فيهم عاوز يخبط شركتين تلاتة من الشركات المصرة سواء اللى أصلها فرنسية أو اللى أصلها انجليزية .. وأنا فى هذا اليوم قلت ان جميع الشركات بتروح للقطاع العام ، لن نستطيع بأى حال ان احنا نخلى الرأسماليين يزيدوا من تحكمهم بأنهم ياخدوا أيضا ممتلكات فرنسا ، وممتلكات انجلترا » .

فمرحلة القضاء على الاستعمار تستلزم توحيد كل الجهود الوطنية ومن أجل ذلك قام أول تنظيم سياسى للثورة هو هيئة التحرير وكان واضحا من الاسم الذى أطلق على هذا التنظيم انه يضم جميع المواطنين بهدف التحرير « فقد قامت هيئة التحرير لتؤكد المعنى المقدس وهو أن الناس قد ولدوا أحرارا ليعيشوا أحرارا (١) » « وهدفنا وشعارنا هو تحرير مصر وجلاء الغاصب المحتل(٢) » .

« واننى أفتتح اليوم مقر هيئة التحرير ، ونحن نعتمد على رسالتها فى تشجيع الحركة ودعم كلمتها والعمل بشعارها ، واذا كنتم تريدون سلاحا تتدربون عليه فعليكم باقامة معسكر ، وعلينا أن نزودكم على الفور بما تحتاجون اليه من السلاح (٣) » « والتاريخ لم يعرف أن دولة تكبت باحتلال أجنبى ونجحت فى اجلائه وهى متفرقة تسودها الاختلافات ، فنقطة الابتداء فى **معركة التحرير هى ان نتحد** وأن يرانا العدو صفا واحدا لا تتخلله ثغرة (٤) » .

* * *

١ ـ فى افتتاح هيئة التحرير بشبين الكوم ٢٣ فبراير ١٩٥٣ .
٢ ـ افتتاح هيئة التحرير باجا ١٩ ابريل ١٩٥٣ .
٣ ـ افتتح هيئة التحرير بفارسكور ١٠ ابريل ١٩٥٣ .
٤ ـ ٢٢ يوليو ١٩٥٤ .

ولسنا نريد أن نسترسل فى سرد تفاصيل هذه الفترة الحاسمة من نضال شعبنا والتى انتهت بالوصول الى الخطوط الرئيسية لاتفاقية الجلاء فى ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ووقعت رسميا فى ١٩ أكتوبر ، وتم فيها الاتفاق على أن ترحل القوات المحتلة عن مصر خلال عشرين شهرا .. فهذه الدراسة لا تهدف الى سرد الأحداث والتاريخ الا بالقدر الذى يكشف عن الفكر الناصرى أو يبين جذوره الأولى ..

فى خلال معركة التفاوض الأولى التى دخلتها الثورة كان الشعب فى وحدة وطنية مكونا لهيئة التحرير .. وكان الفكر الناصرى بقدر ما تكشف له عن فكرة الوحدة الوطنية والترابط بين التفاوض والكفاح المسلح ، فانه اكتشف وحدة الاستعمار وايضا اخذ موقفا واضحا منذ البداية ضد الأحلاف العسكرية وهذا ما اكده القائد عندما قال :

« اننا كنا نهدف الى هدفين أولهما الجلاء الكامل لجميع القوات الأجنبية حتى لا تتواجد فى هذه البلاد سوى البذلة العسكرية المصرية ، والهدف الآخر هو **عدم الارتباط بأى حلف أو معاهدة للدفاع المشترك** ، وانا أقول اننا نجحنا فى تحقيق هذين الهدفين(١) » .

ويرى الزعيم وحدة القوى الاستعمارية الغربية وترابطها ، وكيف ينهب الاستعمار خيرات الشعب ، وخيراتها ويحولها الى سوق لمنتجاتها ، يسرق جهد أبنائها ، ويقدمه لشعوب أوربا وأمريكا ، فأمريكا ترتبط بانجلترا .. كما أن انجلترا ترتبط بأمريكا .. والاستعمار يحاول دائما أن يجسد أمام الشعوب أخطارا لا وجود

(١) ٢٦ يوليو ١٩٥٤ .

لها ، وان يوقعها فى الوهم والخوف حتى تظل له السيطرة .. وليبقى هو المنقذ والحامى ..

ولقد تكونت هذه الرؤية من خلال تجربة الاستعمار الانجليزى فى مصر ..

أمريكا ساندته .. أمريكا حاولت تحذير الشعب منذ البداية .. أمريكا تعاونت مع الانجليز .. وهذا شىء بديهى وطبيعى أن تكون القوى الاستعمارية مترابطة ، وأن تحاول أن تقسم العالم الى مناطق للنفوذ ، فاذا أخذت دولة استعمارية موقفا من دولة استعمارية اخرى ، فانما تفعل ذلك لا عطفا على الشعب ، ولا رغبة فى تحريره ، بل لكى تدخل نفوذها هى فى هذه الدولة ، وتحل مكان زميلتها ..

فعندما فشلت انجلترا فى البقاء وتأكد أن وجودها أصبح مستحيلا ، حاولت هى وأمريكا أن يلعبا بورقة التخويف .. حتى يفرضا « نوعا » من الوجود ..

« العالم الحر » كله مترابط له أهداف محددة وواضحة ، يحاول أن يربط ويجر الشعوب المستبعد اليه .. بالقوة .. أو التخويف .. أو العطف .. المهم الا يترك الشعب وحده بلا احتلال أجنبى . لأنه فى هذه الحالة سيعانى « فراغا » عليهم أن يملئوه ..

وفكر عبد الناصر كشف كل هذه الأساليب منذ البداية ورفض أن يدخل ضمن مناطق النفوذ .. أو يرتبط بالذين استعمروا الوطن فهو يقول :

« ان الانجليز يعرفون تماما أن تقوية المواطن المصرى فيها اضعاف لقوتهم ونفوذهم فى هذا البلد . انهم يدعون أمام العالم بأنهم يعملون على رفع مستوى الحياة فى الأمم التى يحتلون أرضها ، وهذا منطق يستحيل فهمه ولا يمكن أن يتفق مع العقل فى قليل أو كثير » .

---

٢ ـ ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٣ فى منيا القمح .

« وهذا هو العالم الحر أيضا يعلن بأبواقه أنه يساعد الشعوب الصغيرة على تقرير مصيرها واختيار الحكم الذى تراه ، وانه يساعد الأمم المتخلفة على أن تنهض » .

« هذا كلام اعتبره المادة المعروفة بـ **« الأفيون »** يصدره عالم **الغرب لتخدير الشعوب المستعبدة لكى تنام** ، ويظل هذا العالم الحر مسيطرا عليها حتى لا تقوى ، وحتى لا تقف فى وجهه وحتى لا تسعى الى التخلص منه » .

« انهى يعتبروننا أسواقا لترويج منتجاتهم .. وانهم لينهبون خاماتنا ويسرقون جهدنا ويقدمون كل ذلك لأهليهم ولأبنائهم . ويعطوننا بدلا منها وعودا خلابة ، وكلاما كله ضلال وتضليل .

واليكم أمريكا مثلا : ان كل الصحف تقول انها ستعطينا قروضا . ستساعدنا على تنفيذ مشروعاتنا الانتاجية » .

« انها تعمل على رفع المستوى الصحى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى فى الأمم التى تحتاج الى ذلك » .

« وها نحن أولاء بعد أربعة عشر شهرا من قيام الثورة لم نر شيئا ، ولم نصدق شيئا ، فانها كلها وعود وكلها خداع وكلها بهتان » .

« فلابد من الاعتماد على أنفسنا ، ولا يجوز أن يتسرب الى افهامنا أن عدونا سيساعدنا وهو يعمل دائما على اضعافنا » .

« والسبب فى ذلك واضح ، فان أمريكا مرتبطة تمام الارتباط بحليفتها انجلترا . وللاثنين عدو مشترك هو روسيا .

« وان أمريكا أيها المواطنون لن ترضينا لتغضب انجلترا . فلا تصدقوا ابدا ان امريكا ستساعدنا ، فانها وحليفتها انجلترا خطتهما واحدة وسياستهما مرسومة . فاذا كنا نريد بناء وطن قوى ، ونريد ان يكون لنا أبناء أحرار فلا بد من الثقة بأنفسنا والاعتماد عليها كل الاعتماد » ..

ويأتى ايدن الى القاهرة وقد بدأ فعلا جلاء الانجليز وتحرير الوطن ، ويعرض صراحة على عبد الناصر أن تدخل مصر حلفا عسكريا مع انجلترا ولكن عبد الناصر يرفض ويقول له لماذا الحلف وفى مواجهة من .. فى مواجهة الاتحاد السوفيتى ..

ولكن من أين يأتى العدوان علينا ، ومن من .. هل نحن نتوقعه ، من الانجليز الذين يعيشون فى أرضنا أم من الاتحاد السوفيتى الذى يبعد عنا بثلاثة آلاف ميل .. ويسأل الرئيس جمال عبد الناصر ايدن (١) :

هل تنوى بريطانيا فى يوم من الأيام أن تقوم بهجوم عسكرى ضدنا .

●● **ويرد مستر ايدن :**

بريطانيا ؟ تهجم عليكم عسكريا ؟ هل هذا معقول ؟ ذلك شىء غير متصور !.

●● **ويقول الرئيس جمال :**

اذن فلماذا ترفضون رأينا فى الدفاع عن الشرق الأوسط ؟ اننا نريد أن يدافع الشرق الأوسط عن نفسه ضد أى اعتداء ، وأكرر لك ضد أى اعتداء ، وأنتم — ولقد أكدت لى هذا بنفسك الآن — لا تنوون الاعتداء علينا ، بل وترون ذلك أمرا غير معقول وغير متصور ، واذن فما الذى يضيركم من أن يدافع الشرق الأوسط عن نفسه ضد أى اعتداء !

ليس فى نيتكم أن تعتدوا ، فاذا جاء اعتداء فسوف يكون من غيركم ، واذا جاء علينا الاعتداء من غيركم فسوف نكون نحن الذين نطلب منكم العون ، ونرجو المساعدة فما هو اصراركم اذن على أن يكون الدفاع عن الشرق الأوسط بأحلاف عسكرية تشتركون فيها معنا ؟

(١) مجلة آخر ساعة ٢٠ فبراير ١٩٥٥ .

ان الناس ينظرون الى هذه الأحلاف على انها استعمار جديد.

قد تقول لى : وماذا يهم ما يقوله الناس ؟

وأنا اقول لك ان الذى يقوله الناس اهم الف مرة من التوقيعات التى قد تستطيعون الحصول عليها من بعض الحكام فى المنطقة . هل تتصور توقيع أى حاكم على أى حلف عسكرى يساوى شيئا اذا كان شعب هذا الحاكم نفسه لا يقر ولا يرضى بهذا الحلف العسكرى .

ما أسهل أن يوقع الحكام بامضائهم ؟ ولكن الصعوبة ساعة التنفيذ — انك فى ساعة الأزمة — ستكون فى حاجة الى ان يتعاون معك شعب بأكمله وليس حاكما بمفرده .. هب أن أى حاكم أعطاك فى بلاده قاعدة فما قيمة هذه القاعدة اذا كانت وسط شعب لا يريدها أن تكون ؟ انها قاعدة بلا فائدة بل أكثر من ذلك ، ستكون هذه القاعدة عبئا يتطلب الحماية لنفسه ، ولن تكون سلاحا يبسط الحماية على غيره !

والأخطر من ذلك انه فى مقابل كل قاعدة على الأرض يمنحك اياها توقيع حاكم من الحكام بالرغم من ارادة شعبه ، ستكون هناك عشرات القواعد تحت الأرض تعمل لصالح عدوك ! وعلى الأقل تعمل ضدك .

أين هى روسيا ؟

لو قلت للناس الآن تعالوا نوقع حلفا عسكريا مع بريطانيا ضد روسيا ، لنظر الى الناس بذهول وقالوا :

أين هى روسيا ، ان روسيا على بعد ثلاثة آلاف ميل من هنا !

وسوف يقول لى الناس أيضا :

ان بريطانيا هى التى استعمرتنا ، وبريطانيا هى التى احتلت مصر وما زالت تحتل الأردن والعراق وليبيا ، فهل تريد منا أن ننسى

الخطر القائم على أرضنا فعلا ، ونتطلع الى خطر محتمل على بعد ثلاثة آلاف ميل منا ؟

وسوف يكون الناس على حق ان هم قالوا لى ذلك ولن أجد ردا أتمكن به من اقناعهم . ولكنى سأتمكن من اقناعهم اذا قلت لهم :

« ان بريطانيا خرجت من بلادكم ، ونحن الآن أحرار ، لقد حققنا استقلالنا بعد كفاح طويل ، وهذا الاستقلال الآن أمانة فى رقابنا ويجب أن نحميه ، نحميه ضد أى اعتداء من أى معتد » .

« وسوف يقتنع الناس بهذا الكلام ، وأنا واثق أن الشرق الأوسط كله سيهب كرجل واحد لينظم الدفاع عن نفسه ضد أى عدوان » .

« ولقد قلت لى فى بداية حديثنا : « ان بريطانيا لن تعتدى على الشرق الأوسط واذن فان هذا الدفاع لن يكون ضدكم ، وانما سيكون ضد غيركم ممن تسول له نفسه الاعتداء علينا » .

« أنت تؤكد لى أن نية الاعتداء علينا مبيتة عند الروس . ليكن .. واذن فسوف يكون دفاعنا عن أنفسنا ضدهم اذا هم هجموا علينا » .

* * *

فى هذه الفترة كان عبد الناصر يقود أولى معاركه لتأكيد الاستقلال الذى حصل عليه وضد قيام أحلاف عسكرية وضد حلف بغداد الذى بدأ يتكون فى عام ١٩٥٤ .. باتفاقيات بين بعض الدول العربية ..

فقد كان ما يهدف اليه الغرب هو تطويق المنطقة بسلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات تربطها به دائما ، مستخدما ومركزا على ما يسمى « بالخطر الشيوعى » وكان عبد الناصر واضحا .. فالخطر الشيوعى لا يحيق بنا ، بل اننا نحن على استعداد لأن

نتحالف مع الشيطان لرد أى عدوان يقع علينا فيقول « ليفهموا ايضا ان الدفاع عن الشرق الأوسط يعنى دول هذه المنطقة اكثر من غيرهم ، ولن يستطيع شعب يرزح تحت نير الاستعمار أن يدافع عن استمرار هذا الاستعمار فى وطنه بحجة تخويفه من اعتداء آخر قد يتعرض له هذا الشعب ، وقد لا يتعرض له » .

« اننا نريد جلاء ناجزا كاملا غير مشروط ، ومتى استأصلنا شأفة الاستعمار من بلادنا ، فليطمئن الغرب الى أننا سنكون أحرص منهم مئات المرات بل آلافها على حريتنا واستقلالنا ، فاذا تعرضنا لاعتداء أيا كان مصدره فسنقف جميعا وقفة رجل واحد للذود عن حريتنا ..

« وفى هذه الحالة لن نتردد فى محالفة الشيطان نفسه ـ كما قال زعيمهم تشرشل فى الحرب الماضية ـ لرد هذا العدوان » (١) .

ويخصص عبد الناصر خطابه كاملا فى افتتاح الموسم الثقافى للقوات المسلحة ـ لشرح موقفه كاملا من الأحلاف العسكرية الاستعمارية بشكل واضح ومفصل . ويروى قصة الأحلاف ، والاجتماعات واللقاءات التى تمت بشأنها فيقول المعلم (٢) .

« بعد أن نعرف ما يجرى فى العالم يجب أن نعرف ما يجرى فى منطقة الشرق الأوسط . وسنجد فى هذه المنطقة روحا تحريرية ، نجد هذه الروح فى الشعوب وان لم توجد فى بعض الحكومات » .

« وعندما نرجع الى عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ نجد أن الدول الغربية حاولت أن تسد هذه الثغرة بايجاد طريقة لتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط ، ولكن لم تستطع أية حكومة من الحكومات الموجودة فى هذه المنطقة فى ذلك الوقت أن تقبل هذا العمل ، أى اتفاق الدفاع المشترك لسبب واحد هو أن الكراهية التى كانت شديدة بعد

---

١ ـ ١٧ مارس ١٩٥٣

٢ ـ ٢١ مارس ١٩٥٥

فلسطين ونكبة فلسطين ، كانت تؤثر على العرب ، فقد اعتبروا ان الغرب وقد تعاونوا معه دائما ، لكنه لم يوف بعهده ، كما تعاونوا معه فى الحرب العالمية الأولى ، وبعد الحرب العالمية الأولى والدعوة التى أعطاها الغرب للشريف حسين وللعرب الذين عملوا مع الغرب وساعدوه ، كل وعود الغرب نقضها ، وكانت النتيجة أن المنطقة العربية لم تحصل على استقلالها ، ولكنها أصبحت مستعمرات قسمت بين انجلترا ، وبين فرنسا » .

« وبعد الحرب العالمية الثانية ، بقيت الحالة على ما هى عليه ، وكل ما حدث من جديد هو تحرير سوريا ولبنان ولعلكم قرأتم كيف تحررتا ، فقد أراد الغرب اخراج فرنسا من النفوذ الدولى ، فوجد الجماعة الكبار أنها فرصة مناسبة فكان الاستقلال ، ولم يكن الغرض هو تحرير البلدين ، ولكن الغرض هو تقلص النفوذ الفرنسى واعتبار فرنسا دولة من الدرجة الثانية أو الثالثة » .

« وبعد أن تحررت لبنان وتحررت سوريا .. »

« جاء ضياع فلسطين واعطاؤها لاسرائيل .. ومن أجل ذلك لم يتمكن العرب من تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة » .

« كانوا يعتبرون أن مصر هى العامل الأساسى فى هذا الموضوع ، وان مصر اذا وافقت على الدفاع المشترك الذى وضعوه ، قد ينظم الدفاع عن هذه المنطقة .. فى صالح الغرب » .

« انهم يرون وجوب تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة ، وقد أوضحنا لهم وجهة نظرنا فى أثناء المفاوضات ، وقلنا اننا لا نستطيع أن نقبل ميثاق الدفاع عن الشرق الأوسط مرة أخرى .. والحقيقة أن المسألة ليست كلاما يقال ولكنها كانت أساس أكبر من هذا ، فهذا الدفاع كله موجه ضد الشيوعية » .

« وقد اعتبروا أن الشيوعية خطر ، ولكنى لا زلت أعتقد أن الاستعمار أو السيطرة علينا من الجانب الآخر يمثل خطرا أكبر » .

« ونحن دولة عاشت تحت نير الاستعمار لمدة ٧٥ سنة فى احتلال بريطانى ، وقبل الاحتلال البريطانى كان الاستعمار التركى لمدة ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة ، وتخلصنا من الاحتلال البريطانى باتفاقية لاحتلال القاعدة لمدة سبع سنوات ، يعنى أن هناك التزاما علينا ، فاذا حدثت حرب فانهم سيأتون لاحتلال القاعدة . ولكن هذا الالتزام نعتبره التزاما بسيطا ، أما فى حالة التحالف أو تنظيم الدفاع عن الشرق سنرتبط بالتزامات أخرى . لست أدرى هل موقفى اليوم يمكننى من استقباء السيادة اذا قبلت القيام بهذا الالتزام أم لا ؟ »

« اننى أعتبر أن مصر فى وقتها الحالى ، وهى تبدأ مرحلة من مراحل التحرير ، **يجب أن تتخلص من كل نفوذ أجنبى تخلصا كاملا** حتى تستطيع أن تقف على أقدامها . لا تدخل أبدا نتيجة الضغط . **لا تدخل** وهى شاعرة أنها ليست قوية .. فنحن من الناحية الاقتصادية لسنا أقوياء » .

« هناك أناس يقولون انه من الناحية الاقتصادية علينا أن نعتمد على نواح خارجية ، وأنا أرد على هذا قائلا اننا اذا أردنا أن نبنى اقتصادنا القومى على أساس سليم ، يجب أن يعتمد علينا اعتمادا كليا » .

« ان المعونة الأمريكية التى حصلنا عليها فى العام الماضى وهى ٤٠ مليون دولار ، وقد وجهناها **لا على أنها أساس من أسس الاقتصاد** ، بل الى نواحى الخدمات ولشق الطرق واصلاح الموانى ، وجهناها الى تقصير المدة اللازمة لتوصيل المياه النقية الى القرى ، فنحن لم نبن عليها أبدا اقتصادنا القومى » .

« نحن اليوم وضعنا يختلف ، لأننا نمر بفترة حاسمة من تاريخنا ، ونعتبر أن هذه الفترة الحاسمة اذا لم توجه التوجيه السليم ، فلن نستطيع تحقيق هدف الثورة الخاص بالوصول الى

مجتمع اشتراكى يرتفع فيه مستوى المعيشة ويقوى فيه الوطن اقتصاديا وانتاجيا » .

« **قلنا فى حديثنا أثناء المفاوضات اننا مستعدون للدفاع عن الشرق الأوسط . ولكن على أى أساس ؟.. قلنا لهم انه يجب أن ينبثق الدفاع عن المنطقة . يجب أن يكون الدفاع عن هذه المنطقة بسواعد أبنائها** . لدينا ميثاق الضمان الجماعى . هذا الميثاق تشترك فيه الدول العربية ، ونحن مستعدون لتقوية هذا الميثاق ، اعطونا أسلحة فقط ، فاذا حصل اعتداء علينا فنحن ندافع ، وستجدون فى هذه المنطقة قوات عربية جديرة بهذه المهمة . **بدون أى تحالف مع الغرب وبدون أى ضغط من الغرب** ، وبهذا تطمئنون من مواجهة الخطر الآخر اذا كنتم تريدون دفاعا ضد الخطر الشيوعى . فنحن أيضا لا نرضى بالخطر الشيوعى . ولكنا نخشى السيطرة الغربية كما نخشى الخطر الشيوعى ، وعلى هذا الأساس يجب أن ينبثق الدفاع عن هذه المنطقة من دولها وبسواعد ابنائها، بدون أى تدخل أجنبى » .

« اذا وجدتم فى التسليح تحقيقا لأية مصالح من مصالحكم فيسروا لنا ذلك » .

« فى ابريل سنة ١٩٥٣ ، جاء الى هنا وزير خارجية أمريكا ، وتكلمنا معه فى هذا الشأن » .

« **وقلنا اننا مستعدون للسير خلف قيادة مشتركة منا، وجيش موحد منا** ، لأننى عندما أدخل فى قيادة مشتركة مع انجلترا وأمريكا فسأكون بينهما فى صورة أناس يتقاضون مرتبات فى القيادة ، ولكن الأساس الذى سيبنى عليه العمل فى القيادة المشتركة سيقوم على كلامهم النافذ ، وبعدها يصبحون هم كل شىء ، ويعيدون من جديد حكاية البعثة ، العسكرية البريطانية ، وانتم تعلمون ماذا كانت تصنع هذه البعثة فى الجيش المصرى »

« سيكون لهم كل النفوذ : انهم يأتون بالمال ويأتون بالسلاح ، ويضعون الخطة ، وسيقول الباقون « حاضر يافندم » وبهذه الطريقة سنفقد شخصيتنا فقدانا كاملا . »

« من اجل ذلك رفضنا الدفاع المشترك . »

« قالوا ان ميثاق الضمان الجماعى حبر على ورق . قلنا نحن على اتم استعداد لتقويته اذا كنتم ستعطوننا أسلحة يدافع بها الميثاق عن المنطقة . لا تحاولوا أن تجرفوا دول هذه المنطقة فى طريقكم ، فاننى شخصيا أعتقد أنه لو ان دول المنطقة او بعضها مشى فى هذا التيار ، سيؤثر على قوة المنطقة كلها . »

« ولكن كل ما يهمهم فى هذه الناحية هو سد ثغرة . الثغرة الموجودة من باكستان وتركيا وهى أصلا أفغانستان وايران . وانهم يعتبرون منطقة ايران غير عميقة اذا لم تنضم اليها العراق . »

« اذن فهم يهتمون بالدفاع ، ونحن نهتم بحريتنا . لقد استعمرنا المستعمرون واحتلوا أراضينا ، وكل ما نريده اليوم هو ان نخلق لنا شخصية مستقلة وقوية . ليست تابعة ، حرة ، توجه سياستها الداخلية كيف تريد وكذلك توجه سياستها الخارجية تحقيقا لصالحها . »

« أنا لا أريد أن أسأل غيرى ماذا أصنع فى أى موضوع ؟..

« اننى اعطى مندوبى فى هيئة الأمم مبادىء أساسية ، وأقول له اعمل على هذه المبادىء ولا اخاف ولا أتردد فى أن أقول رأيى بحرية .

فمبادئنا فى هيئة الأمم ، كما اعطيناها للدكتور محمود عزمى هى كما يلى :

— نحن ضد الاستعمار والسيطرة الأجنبية .
— نحن مع تقرير المصير .
— نحن مع حرية الشعوب

« وهذا هو طريقنا الذى نستطيع السير فيه ، ونحن لا نستطيع السير فيه ما دامت هناك سيطرة علينا . »

« اننا — الآن — نستطيع أن نقول رأينا بحرية فى مشاكل العالم ، فمثلا عندما عرضت مشكلة قبرص ، قلنا رأينا فيها بحرية، قلنا اننا مع مبدأ تقرير المصير ، فلو كنت تحت السيطرة والارتباط لا بد أن أذهب فأسأل السفير الانجليزى وأقول له : ان مصالحنا متفقة مع بعضها وسياستنا الخارجية مرتبطة ببعضها ، فماذا أقول ؟ فيقول هو : ان قبرص نريدها أن تبقى فى وضعها الحالى تحت السيطرة البريطانية فاذهب هناك لأعطى صوتى مع بريطانيا » .

« هكذا تسير تركيا اليوم . »

« اننا نرى أننا بهذا الوضع ، ندخل فى معركة كبرى ، وهدفنا هو أن تكون لنا شخصية حرة مستقلة . »

« تيتو فى يوغوسلافيا حاول أن يصل بالطريق الآخر ، فظل سائرا مع روسيا حتى عام ١٩٤٨ ، وفعلا استطاع أن يحصل لبلاده على انعاش اقتصادى ، ثم أراد مخالفة السياسة التى كانت تأتيه من روسيا . فلم يسمحوا له ، فخالفهم ، وانقطعت بذلك جميع الارتباطات التى عقدتها يوغسلافيا مع روسيا وحدث انهيار فى يوغسلافيا واستطاعت يوغسلافيا أن تخرج من تلك الأزمة بصعوبة وبدأ تيتو يوازن الأمور فى بلاده . »

« ونحن فى هذه المنطقة ، ننظر الى المسألة من ناحيتين :
١ — مصر ، وهى تريد أن تقى نفسها ضد أى غدر .

٢ — أن نحافظ على كيانها وعلى شخصيتها وعلى استقلالها وعلى حريتها ، ولا اسمح بوضع بلادى تحت أى نوع من انواع السيطرة . »

« كنا نعتقد أننا نستطيع تحقيق الغرضين معا بمعنى أن انظم دفاعى كمصرى مع ميثاق الضمان الجماعى العربى ، واذا كان الغرب يجد فى ذلك مصلحة له يسر تسلحنا ، وأحافظ على استقلالى وشخصيتى فى جميع النواحى الداخلية والخارجية بدون اية سيطرة أجنبية . »

« فاعتبر الغرب أن هذا التصرف لا يحقق هدفهم ، وهو تكملة الحلقة حول روسيا »

« اتصلنا بالدول العربية ، ذهب صلاح سالم الى العراق ، وقابل ملك العراق ، وقابل ولى عهد العراق ، وقابل رئيس وزراء العراق ، وتحدث اليه فى تقوية ميثاق الضمان الجماعى والكتلة العربية واتحاد الاخوة الخ .. »

« وبحكم العادة والمجاملات قالوا له كلاما جميلا واقيمت المآدب والاستقبالات اللطيفة ، ونعم وحاضر ، حقيقة أننا نريد تقوية ميثاق الضمان الجماعى . »

« وجاء صلاح من العراق على أساس أن العراق موافق على تقوية ميثاق الضمان الجماعى واعتبرنا هذا نصرا باهرا اذ كيف وصلت العراق الى هذا المستوى وهى تحت حكم نورى السعيد . »

« وجاء نورى السعيد الى مصر ، وبدأنا نتكلم معه فى تقوية ميثاق الضمان الجماعى . فقال : نعم هذه خطوة عظيمة ، ولا بد ان نخطوها ولا بد أن تسيروا فيها ونحن معكم يدا بيد . »

● قلنا له : وكيف يقوى ميثاق الضمان الجماعى ؟ . »

« **قال** : أرى أن نستدعى سفيرى بريطانيا وأمريكا ونقول لهما اننا نريد تقوية ميثاق الضمان الجماعى . فما هى الوسائل وما هى اقتراحاتكم ؟.

« ● **قلت له** : أنا أعرف وسائلهم ومقترحاتهم فقد مضى على عامان وأنا أتكلم معهم فى هذا الموضوع ، واذا سألتهم اليوم فان ذلك يعتبر بداية للمفاوضات والمباحثات الجديدة الخاصة به ، وكل الذى أريده الآن هو معرفة وجهة نظرك . »

« **وبعد حيرة ومراوغة قال** : تقوية ميثاق الضمان الجماعى هى ان توسع هذا الميثاق ، كمجموعة من الدول العربية . »

« ● **قلت له** : وكيف نوسع هذا الميثاق ؟ »

« **قال** : نضم الباكستان . »

« ● **قلت** : وماذا نستفيد من الباكستان ؟ »

« **قال** : ضدنا الخطر الشيوعى ونحن نريد الوقوف فى وجه الخطر الشيوعى . »

« ● **قلت** : وماذا تفيد الباكستان وعندها خمس فرق عسكرية والمفروض ان الجبهة الخلفية هى التى تنقذ الأمامية ، وليس الوراء هو الذى ينقذ الصدر »

« **قال** : بلاش الباكستان . نضم تركيا . »

« ● **قلت** : فرضا انه حدث هجوم شيوعى . وانت تريد ضم تركيا . فهل تعتقد أن تركيا بالخمس عشرة فرقة التى عندها يمكن أن تستغنى عن عسكرى واحد وتبعث به اليك أم أن تركيا ستحتاج اليك لانك خلفها ؟ »

« **قال** : بلاش تركيا .. »

« ● **فلما قلت له** ان الباكستان وتركيا لا تستطيعان نجدتك »

« **قال** بلاش تركيا .. احنا نعمل تحالف مع من ينجدوننا . لنتحالف مع امريكا وانجلترا وبلاش فرنسا نعمل تحالف مع امريكا

وانجلترا وايران وباكستان ، معهم جميعا ونوسع ميثاق الضما
الجماعى وبهذا نضمن التسليح ونكون عمليين و .. و .. وا
فكرة القومية العربية التى تتكلم فيها هذا الكلام الكثير ، ايش
الأردن وايش سوريا ، وايش العرب .. وهذا كلام لا أومن به . »

« ● **فقلت له** : ان هذا الطريق لا نستطيع السير فيه ، **وانن**
نعتبر أن اشتراك أية دولة من الدول الكبرى فى هذا الدفاع ، قد
يحد من موجة التحرر التى نسير فيها اننا نريد أن نأخذ وضعنا ،
نريد تقوية شخصيتنا ، نريد دفاعا ينبثق من هذه المنطقة . »

« ثم كتب بلاغا ذكر فيه اننا اتفقنا على جميع النقط .

« ● **فقلت له** : لا يمكن ان يصدر بلاغ باتفاقنا . واصدرنا
البلاغ الغامض الذى لا معنى له وقد نشر وقرأتموه . »

« وسافر نورى السعيد .. وذهب يتباحث هنا وهنا ،
ولنورى السعيد فى هذه العملية تاريخ طويل ، تاريخ وليد فلسفة
خاصة عبر عنها فى كتاب أرسله لمستر كايزى وزير الدولة البريطانى
سنة ١٩٤٢ ، وفيه يعتبر دول الهلال الخصيب وهى الأردن وسوريا
والعراق ، هى الدول التى يمكن أن تتكون فيها وحدة ، تتألف منها
الجامعة العربية ومصر لا تدخل فى نطاق العرب . »

« بقينا نحن فى مصر على نظريتنا وعلى فلسفتنا فى الدفاع ،
وحاولنا بكل الطرق أن نقنع ، ولكن الآخرين ـ الغرب ـ حاولوا
بكل الطرق تكملة الدرع الشمالى الذى يرونه ناقصا . »

« تحدثوا معنا فى المساعدات العسكرية والمساعدات الاقتصادية
وقالوا : اننا سنعطيكم كل هذا .

« اننا نقبل المساعدات العسكرية ، ولكن لا تملى علينا
شروط .. »

« **اننا غير مستعدين** للتوقيع على الشروط التى تربطون بها

الدول . تساعدوننا عسكريا ونحن طبعا لن نستخدمها الا فى الدفاع الشرعى ، قالوا سنعطيكم أسلحة أمريكيـة بدون توقيع الشروط

« ● **قلنا لهم** : نريد سلاحا بالثمن اذا كنتم تريدون مساعدتنا فأنتم قد وضعتم أسعارا مختلفة للاسلحة . فقـالوا سنعطيكم أسلحة بعشرين مليون دولار فى عام ١٩٥٤ — ١٩٥٥ » « وحتى الآن تمخضت العملية الطويلة العريضة عن كلام حلو . »

« ● **قلنا لهم** : مستعدين نشترى .

« ولكننا لم نصـل معهم الى نتيجة سوى أن هنـاك أسلحة ستأتى ، وقد قلت لكم هذا منذ عامين ، ذهبنا الى هناك ، وطالت المفاوضة ، ولكنا لم نصل الى شىء . »

« ان النفوذ اليهودى والنفوذ الصهيونى له هناك تأثير كبير جـدا ، واننى كنت أعتقد أنهـا ستكون معجزة من المعجزات أن نحصل على أي شىء . »

« قلنا ومازلنا نقول ان تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة ، لن يتم مطلقا الا اذا أعطيت الدول العربية كمنطقة دفاعية الفرصة الكاملة للتسليح والفرصة الكاملة لاقامة جيش عربى خالص يدافع عنها طبقا لميثاق الضمان الجماعى . »

« ثم فوجئنا بالبيان العراقى الصادر فى ١٢ يناير ١٩٥٥ » .

« وكان هناك اجتماع لوزراء خارجية الدول العربية فى ديسمبر الماضى ، وتقابلت معهم واحدا واحـدا ، **وتحدثت معهم فى انشـاء جيش عربى يدافع عن العرب ويكون جيشنا ونحن الذين نسيره** فوافقوا جميعا على هذا الرأى ، وكان أكثرهم حماسة له شهبندر وزير خارجية العراق وطلب منا أن تعقد العراق اتفاقية جلاء مع بريطانيا على غرار الاتفاقية المصرية وأن تشمل ايران وتركيا بدلا من تركيا ، يعنى فى حالة وقوع اعتداء على تركيا أو ايران ، تعود القوات البريطانية الى احتلال مطارى الحبانية وشيبة بالعراق . »

« ● **قلنا له** اننا لا نمانع .

قال : وبعد ذلك نقوى ميثاق الضمان الجماعى ، ان نورى السعيد مؤمن برأيكم وبفكرتكم ، وانه لن يتحالف مع باكسـتان ولا مع ايران ولا مع أحد ، وكل أمله الآن تقوية الميثاق العربى ، وكان ذلك يوم ١٢ ديسمبر ١٩٥٤ واتخذنا قرارات توصى الدول العربية جميعها بعدم عقد أى تحالف والاعتماد على الميثاق العربى ووقع عليها جميع الوزراء . »

« وبعد ذلك أعلن الحلف التركى العراقى فى ١٢ يناير ١٩٥٥ فى بغداد ، ووجهت الدعوة الى الدول العربية الأخرى . »

« الحقيقة ان هذا الموضوع نعتبره الحل الوحيد لمشكلات العرب جميعا فى هذه المنطقة ، وخصوصا أن مشكلات العرب معلقة ولكن ارتماؤنا فى الأحضان على هذه الصورة . سيجعلنا نفقد شخصيتنا ونفقد استقلالنا الا فى نواح معينة محددة داخليـة ومحليـة وسيجعل بلادنا ميدانا من ميادين القتال لندافع عن أنفسنا . »

« ان الغرب سيحارب هنا بالقنابل الذرية وأنا القاطن هنا ، وأنا الموجود بهذه المنطقة كيف أستطيع أن أدافع عن نفسى ؟ وكيف احمى نفسى عندما تأتينى الطائرات بالهيدروجينية أو بالقنـابل الذرية وأنا المقيم فى هذه المنطقة فماذا أصنع ؟ . »

« كل هذه مسائل لا بد أن نفكر فيها ، كل هذه مسائل تكلمنا فيها قلنا لهم انكم ستدافعون عن هذه المنطقة بالطائرات والقنابل الذرية ، افرضوا انكم لم تنجحوا هل تتركونا هكذا فى الميدان .. قلنا لهم ان الحل الوحيد لهذا ان توجد منظمة للدفاع عن هـذه المنطقة منظمة عربية خالصة قوية وليس لها أى ارتباط بالغرب . وبهـذا يفكر العـدو بدل المرة عشر مرات قبل أن يهاجم هـذه المنطقة . لان هذه اذا تركت فراغا ، ستغرى بالهجوم . أما اذا

كانت هذه المنطقة فيها قوة من أبنائها قد تجعل المهاجم يتردد في الهجوم . »

« نحن هنا كعرب نستطيع أن ننشىء ١٥ فرقة ولكن هذه النظرية لم تقبل . »

« ودخلت العراق فى الحلف التركى ، واعتبرت أن التحالف قد يكون ضمانا لها ضد أى غزو وعندما جلست أتناقش مع **باش أعيان** وافقنى على رأى مصر ، ثم قال الحق انهم ضغطوا علينا . »

« ● **قلت له :** ولماذا رضختم واستجبتم وأنت كنت رجلا من المستقلين وكانت لك جبهة قومية قبل أن تكون وزيرا ولكن الان لماذا تغيرت الدنيا ؟ . »

« **قال :** نحن واقعيون .. كنا قوميين واصبحنا واقعيين ، والحق أننا تحت ضغط . »

« وبهذا يعمل **الغرب على ايجاد سياسة انفصالية** ، فى هذه المنطقة أو سياسة تباعد لأنهم يدركون أن وجود المصريين هناك سيكون عاملا من عوامل اضعاف النفوذ . »

« فقد رحبنا باستقبال البعوث ، وارسلنا مدرسين هناك ، ولكن هذا طبعا يجد مقاومة .

« فاذا ما وجهنا النظر الى جنوب مصر .. الى السودان .. نجد أن هناك حربا كسبنا فيها الجولة الأولى ولكن جميع هذه القوى الاستعمارية المتنافرة تعمل ضدنا فى السودان لسبب من الأسباب هو انه معروف جيدا أن مصر اذا وصلت الى الملاكال والى جنوب السودان فاتحاد افريقيا الوسطى والمستعمرات الموجودة ستتأثر فعلا بالروح المصرية التحررية يعنى بعبارة أوضح بالنسبة لافريقيا **يعتبر الاستعمار وصول المصريين الى جنوب السودان ودخولهم اواسط افريقيا ، سيكون خطرا . »**

« وما زالت حتى الآن الحرب مريرة بيننا وبين جميع القوى فى السودان وكل مساعداتهم وكل مقاومتهم تهدف الى تقوية الانفصاليين على أساس أن السودان يكون مستقلا والحقيقة ان السودان لم يستقل بهذه الطريقة لأن الانفصاليين ارتبطوا دائما بالانجليز واذا استقل السودان بواسطتهم فسيكون هناك النفوذ البريطانى . »

« اننا نخوض معارك مريرة فى الجنوب ومعارك مريرة فى الغرب وفى الشرق تقوم اسرائيل ونحن لا نخوض هذه المعارك حبا فى الهجوم ، ولكنها جميعا بالنسبة الينا معارك دفاعية . »

« وسرنا على طريقنا ، نعنى بمبدأ الدفاع عن العرب بمساعدة العرب ما دامت العراق قد خرجت فليكن تحالف جديد من بقية الدول العربية ، ليستمر المبدأ فى طريقه وتوجد قوة عربية لها كيانها تعمل طبقا لهذا المبدأ . »

« اذا كنا والله نريد أن تكون لنا شخصية مستقلة ، ونبينها فى الفترة العصيبة التى نعيش فيها ، فلا بد أن يكون عودنا صلبا قويا . اذا كنا قد قمنا بثورة تدعو الى التحرر وتدعو الى الاستقلال فالمقصود هو أن نتحرر داخليا وخارجيا ، ويكون لنا كيان ويكون لنا تأثير على المحيط الموجود حولنا . اذا أردنا أن نصل الى هذا فلا بد أن نصمد ونصمد .

« أما اذا أردنا أن نخضع للسيطرة ونسير وراء الأوهام والكلام الجميل البراق ، فسنفقد شخصيتنا وقوميتنا ونسير الى ما لا نحبه وما لا نرضاه . »

« ولكن ثورتنا لا ترضى بهذا ، **ولهذا فنحن نحارب فى المحيط العربى . وفى المحيط الافريقى وفى هذه المنطقة كلها** ، وبكل أسف **اننا لا نحارب القوى الأجنبية فقط ، بل على بالعكس فنحن نحارب أعوان الاستعمار الموجودين فى هذه المناطق ، فطالما هناك اعوان**

الشعوب وجهدها ، فان التمييز بين الناس على أساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين قيمة جهودهم » .

« ان الرق كان الصورة الأولى من صور الاستعمار والذين ما زالوا يباشرون أساليبه يرتكبون جريمة لا يقتصر اثرها على ضحاياهم ، وانما يلحقون الأذى بالضمير الانسانى كله ، وبما احرزه من انتصارات » (١) .

ويرفض الفكر الناصرى ايضا الحرب .. يؤمن بالسلام وبانه ضرورة حيوية ، لا يتوانى للعمل من اجلها .

« لقد رفع شعبنا فى احلك ظروف المعارك القاسية التى ارغم على خوضها شعاره الخالد (السلام لا الاستسلام) ايماءة واضحة الى انه يقبل التعاون الدولى ولكنه يقاوم السيطرة » .

« والسلام لا يمكن ان يستقر فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتا مخيفا .. ان السلام لا يمكن ان يستقر على حافة الهوة السحيقة التى تفصل بين الامم المتقدمة والأمم التى فرض عليها التخلف .

« ولكن الصدام المحقق بين التخلف والتقدم هو الخطر الثانى الذى يهدد السلام العالمى بعد الخطر الأول الذى يكمن فى نشوب حرب ذرية مفاجئة » ..

« فالتعاون الدولى من اجل الرخاء هو الأمل الوحيد فى تطور سلمى يقرب ما بين مستويات الأمم ويزرع المحبة بينها بدلا من سموم الكراهية » .

« ان التعاون الدولى من اجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التفكير الانسانى الذى يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين عن العصر الاستعمارى » .

« انه يشمل فتح الأسرار العلمية للجميع فان احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية » .

(١) الميثاق

« كذلك هو يشمل الدعوة الى توجيه الذرة للسلام حتى تستطيع ان تخدم قضية التطوير وتضىء جوانب التخلف المظلم » .

« كذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة التى توجه الى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من ان تترصد لها وتتربص بها » .

« كذلك هو يشمل الدعوة الى مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية بحيث لا تستخدم بواسطة الأقوياء لتحطيم محاولات غيرهم من أجل التقدم » (١) .

والعمل من اجل السلام هو الذى قاد عبد الناصر الى رفض التجارب الذرية .. والى المشاركة فى مؤتمرات نزع السلاح ..

وهو يرى « ان شعبنا يعرف قيمة الحياة لأنه يحاول بناءها على ارضه ، وان صدق دعوته للسلام تنبع من حاجته الماسة اليه ، وان السلام هو الضمان الأكيد لقدرته على الاستمرار فى معركته المقدسة من اجل التطوير .. وان العمل من اجل السلام هو الذى سلح شعبنا بشعار عدم الانحياز والحياد الايجابى » .

* * *

فى ابريل عام ١٩٥٥ ذهب عبد الناصر الى باندونج .. وهو يحمل بيده غصن زيتون يلوح به للسلام العالى ، ويرفعه فى وجه المستعمرين ، وأعداء الشعوب ..

ولعب عبد الناصر دورا هاما ، فى مؤتمر باندونج وكان قيادة ناجحة وبارزة ومؤثرة فيه ..

وفى باندونج كان هدف المؤتمر ان يدرس القضايا التى تهم شعوب آسيا وافريقيا وخاصة القضايا السياسية والاجتماعية ،

(١) الميثاق

ويبحث المصالح المشتركة ، ويدعم تعاونها ثم يبحث ماذا تستطيع هذه الدول أن تقدم من أجل السلام العالمى ..

ولأول مرة يخرج عبد الناصر الى مؤتمر عالمى ، ولكنه فى هذا المؤتمر الأول كان واضحا وحاسما ..

شرح عبد الناصر دور شعب بلاده فى مقاومة النفوذ الاجنبى فى الشئون الاقتصادية والسياسية .. والمعارك التى خاضها على مدى أقل من ثلاث سنوات من أجل الحصول على الاستقلال وتأكيده ..

وأجاب بعد ذلك على تساؤل هام هو :

لماذا تتعدى مصر خارج حدودها لكى تساهم فى حل مشكلات غيرها ..

« فنحن فى عالم .. لا يستطيع أن يعيش أحد فيه بمفرده ، فى عزلة عن غيره .. قوى العدوان أيها الاخوة ، تتقاسم فيما بينها الأدوار والغنائم .. قوى السلام لا بد أن تتضامن فيما بينها ، لكى لا تتحول واحدة بعد واحدة فرادى ومعزولة ، لتصبح بعض غنائم قوى العدوان (١) » .

« وفى تلخيص بسيط وسريع .. فان سياستنا كما يلى .. »

« صداقة مع الكل .. واذا وقع الخلاف ، فهو على أساس من المبادىء ..

« وايجابية فى الحركة تنبذ التوقف .. من ايمان بأن السلام لا يتجزأ ، والحرية لا تتجزأ ، والرخاء لا يتجزأ .

« ثم دارك لحقيقة أن مجتمع الدول .. كما حدث من قبل لمجتمع الأفراد يحتاج فيه الكل الى الواحد ، بقدر ما يحتاج الواحد الى الكل (٢)

١ ـ عيد النصر بور سعيد ١٩٦٦
٢ ـ مجلس الامة نوفمبر ١٩٦٥

« ان المسافات تلاشت بفضل ثورية وسائل المواصلات ، ويكاد العالم كله ان يصبح كيانا واحدا ، لا تنعزل بعض أجزائه عن الأخرى . وبالتالى فلم يعد ممكنا احتكار الرخاء لبعض سكانه ، وترك البقية منه لتحصد الشقاء .

« ان شعوب الأرض جميعا ساهمت فى صنع حضارة الانسان واذا كان النور قد خبا فى بعض النواحى ، فان شعلته لم تنطفىء .. وانما انتقلت من مكان الى مكان .. ولقد حدث نهب لثروات الشعوب .. بل لقد حدث انتقال الثروات بطرق لا تحتاج منا الى مزيد شرح أو تفصيل .. واذا كنا نريد أن نقيم الآن سوقا للحساب .. نتبين فيها من أعطى ومن أخذ .. وكيف ؟ .. فلنذكر جميعا وليذكر الأغنياء بالذات أن مصادر غناهم لا تنبع من داخل حدودهم السياسية وحدها » .

« واذن فلقد شاركت شعوب الأرض كلها وتشارك فى صنع الرخاء .. وبالتالى فان احتكار هذا الرخاء لا يقيم سلاما .. لا يمكن أن يقوم أو يدوم سلام على الأرض ، مع التباين المروع فى مستويات المعيشة بين الشعوب » (١) .

« اشير .. الى المصاعب التى تواجهها الدول النامية من جانب الاحتكارات الاقتصادية ، حيث الرغبة دائما فى ابقاء هذه الدول مصدرا للمواد الخام بأرخص الأسعار ، وسوقا للمصنوعات الجاهزة بأغلى الأسعار ، الأمر الذى يحدث تناقضا اقتصاديا واجتماعيا خطيرا ، خصوصا اذا ما أضيف امتياز التقدم العلمى فى خدمة الاحتكارات ، وبذلك يصبح الفقراء أكثر فقرا والأغنياء اكثر غنى (٢) .

« ان الفوارق المؤلمة فى مستويات معيشة الشعوب لن يكون من شأنها الا وضع العالم على فوهة بركان لا يهدأ ولا يستقر .. ولا ينام » .

١ ـ مؤتمر عدم الانحياز ١٩٦٤
٢ ـ الكرملين اغسطس ١٩٦٥

« ان هناك فوارق مروعة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة .. ويضاعف من الاحساس بهذه الفوارق ان شعوب الدول المتخلفة ترى - وهى على حق فيما تراه - ان رخاء غيرها قد اخذ منها بوسائل النهب الاستعمارى المروعة .. »

« نحن هنا فى الجمهورية العربية المتحدة ، وكثيرون منكم .. اذا لم نقل معظمكم .. نواجه هذه المأساة .. التى تعرضنا لها قرونا طويلة .. نزحت فيها ثرواتنا الوطنية المدخرة ، واستنزفت ببشاعة منظمة .. واذا كنا نرتفع بمشاعرنا وآمالنا عن الحقد .. فاننا نرى ان ابسط مقتضيات العدل تحتم ان يلقى الساعون الى التقدم ، تعاونا اصيلا من جانب السابقين الى هذا التقدم . »

« ان مطلب العدل الاجتماعى هو القوة المحركة للحوادث الآن فى كل وطن واحد .. وهذا المطلب ، مطلب العدل ، يوشك أن يؤدى نفس الدور فى مجتمع الدول .. فى عالم يتحول برغم اتساعه الى كيان واحد ، تلاشت منه المسافات بفضل التقدم الثورى فى وسائل المواصلات .. »

« ولا نريد أن ينتهى تقسيم العالم الى كتلة غربية وكتلة شرقية .. لتقوم تقسيمات أخرى أكبر وأخطر .. »

« كتلة من الفقراء .. وكتلة من الأغنياء .. كتلة من المتقدمين .. وكتلة من المتخلفين .. »

« كتلة فى الشمال من الكرة الأرضية من حقها الرخاء .. وكتلة فى الجنوب ليس لها غير الحرمان .. كتلة من البيض .. وكتلة من الملونين .. »

« لا يستطيع الفقر والغنى أن يعيشا بسلام جنبا الى جنب .. ولا يستطيع التقدم أو التخلف أن يعيشا بسلام جنبا الى جنب .. »

ولا يمكن للرخاء والحرمان أن يعيشا بسلام جنبا الى جنب .. »

« نحن فى عالم واحد .. ونحن جنس بشرى واحد .. مهما اختلفت الألوان .. » (١) .

ان عبد الناصر يرفض السيطرة الأجنبية .. والمبادىء عنده كل لا تتجزأ ، كما ان السلام كل لا يتجزأ .. وايجاد كتلة ثالثة بين الكتلتين الكبيرتين يمكن ان يرفع من شأن هذه الدول الصغيرة .

ومن خلال معاناته فى ظل حياته فى وطن مستعبد .. اتخذ موقفا فى مناصرة كل المستعبدين على الأرض .

من اجل السلام العالمى اذن تحرك عبد الناصر الى مؤتمر باندونج ولكن السلم العالمى فى رأيه لا يتحقق الا بشروط خمسة حددها فى خطابه فى المؤتمر هى :

● **الشرط الأول :**

« نجاح الجهود التى كانت هيئة الأمم تبذلها - ما زالت تبذلها لتنظيم وتحديد وتخفيض القوات المسلحة والتسليح . وكذلك القضاء على الأسلحة ذات التدمير الشامل . »

« ان مصر ، وكافة الدول الممثلة فى هذا المؤتمر وغير الممثلة سواء . لتدرك تمام الادراك ، ويؤلمها أشد الألم ما تتكلفه اعباء التسليح من نفقات وجهود توشك أن تقصم ظهر الاقتصاد العالمى ويعوق النهوض الاجتماعى ، وتأمل بحماسة وحرارة وقف هذا التسلح فورا ، حتى يفيق العالم من كابوس الفزع المريع الذى يقض مضجعه من جراء هذا التسليح . »

---

١ - مؤتمر عدم الانحياز ١٩٦٤

« وثمة علاقة وثيقة بين رفع مستوى معيشة الشعوب وخفض نفقات التسليح . ولا شك فى أن العلوم والخبرة الفنية الحديثة ، اذا استخدمت لأغراض سلمية ، سوف تتيح للجنس البشرى من الرفاهية قدرا لا يعادله أى قدر توفر فى أى زمان ومكان . فالطاقة الذرية مثلا اذا استخدمت فى أغراض سليمة تهىء للشعوب ـ ولا سيما فى البلاد المتخلفة حيث يعيش السواد الأعظم فى فاقة وعوز فرصا لا نظير لها للرخاء الاقتصادى .

● **الشرط الثانى**

« لتحقيق السلم العالمى هو تمسك هيئة الأمم المتحدة بالميثاق ومبادئه ، فيجب أن تكون كافة القرارات والاجراءات التى تتخذها هذه المنظمة العالمية أساسها الميثاق ولو روعى هذا لما نزل بشعب فلسطين ذلك الظلم البين ولما وقع عليه هذا الاعتداء الذى لم يسبق له مثيل .

« اسمحوا لى أن أبدى بعض الملاحظات مع موضوع يثير فى نفسى الحزن والأسى ، ذلك ان شعب فلسطين طرد من وطنه وشرد ليحل مكانه شعب دخيل فرض عليه فرضا وكل هذا يحدث على مرأى من هيئة الأمم المتحدة ، بل بمساعدتها وموافقتها .

« لست أعرف فى تاريخ الشعوب حدث من قبل هذا الخرق الوحشى الاثيم للمبادىء الانسانية ، هل من ضمان يكفل للشعوب الصغيرة أن الدول الكبيرة التى ساهمت فى تلك المأساة ، لا تسمح لنفسها بتكرار حدوث مثل هذا الاعتداء على شعب آخر برىء وادع لا حول له ولا قوة ؟ »

« واقسم انه لا يستطيع انسان أن يتصور أن ظلما بيتا كهذا يمكن حدوثه فى القرن العشرين ، عص النظام والعدالة العالمية على مرأى من هيئة الأمم المتحدة ، جامعة القانون الدولى والعدالة الدولية » .

« ● **هناك شرط آخر** لقيام السلم العالمى لا يقل عن سابقه الا وهو احترام الدول لالتزاماتها الدولية ، فبمقتضى ميثاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان لم تعد معاونة الدول لبعض الأفراد أو لجماعة تتضمن مبدأ معينا سواء أكان هذا تفرقة عنصرية أم سموا مستندا على انتماء الى أصل عريق مسألة داخلية ، كما تذهب بعض الدول فى ادعائها ، بل أصبحت مسألة دولية تهم العالم أجمع . والتمييز فى أية صورة من صوره لا يعد اخلالا بالالتزام الدولى انما هو أمر يخل بالعلاقات الودية بين الدول . »

« ومما يؤسف له ان التفرقة العنصرية ما زالت قائمة فى جنوب افريقيا ، وقد وصفت هذا الموضوع لجنة الأمم المتحدة بشأن مسألة الأجناس فى اتحاد جنوب افريقيا بالفقرة الآتية :

« ان نظرية التفريق العنصرى والسياسية التى قامت استنادا اليها ، نظرية باطلة علميا وتهدد السلم والأمن العالمى بالخطر كما انها تتنافى مع عزة الانسان وكرامته . »

« ● **هناك شرط آخر أحب أن أشير اليه فكثيرا ما تفعله الدول ولا سيما الكبيرة منها** الا وهى الاعيب الضغط السياسى التى بها تعمل الدول الكبيرة على استخدام الدول الصغيرة كأداة لتحقيق اغراض الأولى ، هذا يجب وقفه فورا ، اذا أردنا أن نضع حدا للتوتر الدولى الموجود فى الوقت الحاضر » .

« ان فرض الدول الكبيرة سياسة معينة لتحقيق مصالحها الخاصة له أثره الضار على الدول الصغيرة فهو يعزلها ويفرق فيما بينها . كما يضعف الروابط والتعاون الذى قد يكون قائما بينها ، وبذا تقع السيطرة الأجنبية فان على الدول الصغيرة أن تقوم بدورها الاتشائى فى سبيل تحسين العلاقات الدولية وتخفيف حدة التوتر الدولى »

● « وثمة شيء آخر ولكن ليس بأخير ، ذلك هو موضوع تصفية الاستعمار الذى طالما كان سببا فى الاحتكاك بين الدول وما يستتبعه من قلق فانه منذ أن اتسعت رقعة الاستعمار اتسعت معه مشكلة نظام الحكم الاستعمارى الأجنبى الذى كان دائما مثار الحروب . »

« ولقد شاهدنا منذ سنين وما زلنا نشاهد ارتفاع موجة القومية لا فى بلادنا والمناطق المجاورة لها فحسب ، بل فى عدة أقطار آسيوية وافريقية ولقد علمتنا تجارب الحياة ان القومية اذا احبطت ترتبت عليها عواقب وخيمة ونشأت عنها مشاكل عويصة ، وان الدول اذا تناولتها فى حكمة وهوادة وواقعية ، أثمرت ثمرا طيبا ، من الصداقة والتفاهم والمحبة ، وانا لنرجو أن نضع ذلك دائما نصب أعيننا بشأن بقية بلاد العالم التى ما زالت شعوبها متعطشة الى ارواء قوميتها ، ولكنها لم ترتو بعد ولم تشبع رغبتها فى هذا الصدد . »

« وأرانى فى غير حاجة الى القول بأننا نعيش الآن فى عصر جديد يختلف عن العصور الماضية فلقد استيقظ فى الشعوب وعى جديد ، لا يمكن معه وقف تيار القومية والنهوض . »

« على أى أساس يستطيع انسان أن يستسيغ أن أقطار شمال افريقية التى ظلت قرونا مستقلة ومقرا للعلم والعرفان والحضارة العريقة تنحط مرتبتها الى حد أن تصبح مناطق لا تتمتع بالحكم الذاتى ؟! »

« هل تتفق هذه السياسة مع السلم والتعاون بين الشعوب ؟ »

« ان أكثر الحروب وما جرته من ويلات للبشرية كانت تعزى فى الغالب الى أن القرارات التى اتخذت وان كانت فى ذاتها صحيحة سليمة الا أنه لم يختر لها الوقت المناسب . »

« الا أن التباطؤ والأحداث تسير واغفال الحاجة الملحة الى تكييف الأمور منذ العهد الجديد الذى ترجع بدايته الى سنة ١٩٤٥ ، وتجاهل التقدم الانسانى لا للشعوب التى ترتكب الخطأ فحسب بل

للانسانية جمعاء ، وهذا أحد أسباب القلق الذى يسود العالم فى عصرنا الحالى . »

« ان التعاون بين الشعوب الآسيوية والافريقية ليس عاملا على تخفيف حدة التوتر الدولى القائم فحسب ، بل هو تعاون تلك الدول ـ التى تمثل أكبر قارتين وسكانهما أكثر من نصف سكان العالم ـ على التقدم وتحقيق مستوى معيشة أرفع ، وتحقيق هذا الغرض كما لا يخفى ، لازم لهدف تال هو السلم العالمى فليس معنى السلم مجرد : لا حرب بل انه يستوجب جهودا متضافرة متواصلة لتهيئة جو من الاستقرار السياسى والنمو الاقتصادى . والعدالة الاجتماعية ، وكليهما مقومات لا غنى عنها لانشاء مجتمع عالمى سليم

« ان التعاون الذى اجتمع مؤتمر باندونج من أجل تنميته لن يحقق هدفه ويأتى بالنتائج التى تطلبها الشعوب منه الا اذا تحقق مبدأين :

« ● أولا ـ يجب على كل دولة أن تحترم الاستقلال السياسى لأية دولة أخرى ، وان ترعى العدالة الاقليمية فيها ، وألا تتدخل فى شئونها . »

« ● ثانيا ـ لكل دولة الحق أن تختار ما تراه صالحا لها من النظم السياسية والاقتصادية . »

« ويقينى انه ما دامت هذه الأغراض والمبادىء رائدنا فسوف يحقق لنا هذا المؤتمر الوصول الى اتفاق على ما يعرض فيه من مقترحات وخطوات عملية من شأنها ايجاد التعاون المنشود بين بلادنا ثقافيا واقتصاديا ، واجتماعية . » (١)

---

١ ـ مؤتمر باندونج ابريل ١٩٥٥

مهام لكل الناس .. من أجل السلام

يعود عبد الناصر من باندونج ليؤكد موقفه هناك بأخطر اجراء قام به فى تلك السنوات من عمر الثورة، وهو الاجراء الذى وصفه دلاس وزير خارجية أمريكا فى ذلك الوقت بأنه ((أخطر حدث دولى منذ حرب كوريا بل منذ الحرب العالمية الثانية)) .

هذا الاجراء هو كسر احتكار السلاح ..

كان لابد للثورة أن تقيم الجيش القوى ، الجيش القادر على الحرب ، والمزود بأحدث الأسلحة ..

ومنذ سنة ١٩٥٢ بدات مصر تطالب امريكا بان تمدها بالسلاح ...

ووضعت أمريكا شروطا لذلك .. طالبت بما أسماه الزعيم حق التفتيش . ووضعت شروطا أخرى غريبة منها :

- بعثة عسكرية تقيم .. لتسيطر ، وتتحكم ..
- السلاح لا يستخدم ضد الغرب .. ولا ضد اسرائيل ..
- الدفع بالدولار ..

كان كسر احتكار السلاح من أخطر الاجراءات التى قام بها عبد الناصر والتى تؤكد فكره فى رفضه أن ندخل ضمن مناطق النفوذ باصرار .. وكان هذا الاجراء فى نفس الوقت خطوة كبير نحو التقارب مع الكتلة الشرقية ...

وبهذا يسطر الفكر الناصرى خطأ بارزا ظل ايضا يتأكد فى الممارسة ويشير الى أن موقف الاستعمار واحد ، وانه مترابط ، ومتعاطف ، وضد الشعوب .

« طلبنا السلاح من انجلترا .. فرفضت ؛ طلبناه من امريكا فرفضت .. طلبناه من فرنسا فرفضت . »

دول الغرب كلها تسير فى خط واحد ، تحركها مصالحها .. لا يحركها افراد .. قد يوجد أفراد يتعاطفون مع دول أخرى ، ويرفضون بفكرهم منطق الاستعمار ، ويتطلعون الى العدل .. ولكن هؤلاء الاشخاص سيظلون داخل هذه الدول ضعاف وتضيع اصواتهم فى زحام المصالح .. فما يحرك الاستعمار هو مصالحه .. ومصالحه المباشرة هو أن يستغل الدول ويستنزفها ..

وقصتنا مع السلاح قصة طويلة .. يشرحها عبد الناصر ، ويشرح الأسباب التى أدت اليها فى الخطاب الذى أعلن فيه كسر احتكار السلاح .. وأننا تعاقدنا فعلا مع تشيكوسلوفاكيا لتوريد اسلحة حديثة الى جيشنا (١) .

« لقد أعلنا سياسة مصر فى مناسبات عدة .. أعلنا أن مصر بعد أن قامت بثورتها فى ٢٣ يوليو ستسير فى سياستها المستقلة قدما الى الأمام وقد تخلصت من السيطرة ، ستسير قدما الى الأمام وقد تخلصت من السيطرة ، ستسير قدما الى الأمام وقد تخلصت من النفوذ الأجنبى .. هذه كانت آمالنا وكانت آمالكم .. اننا عملنا ما فى وسعنا أيها الاخوان حتى نحافظ على هذه الآمال .. اننا عملنا كل ما نستطيع حتى نحافظ على هذه الأهداف .. ولقد قابلنا فى سبيل ذلك مصاعب ، مصاعب كثيرة .. ومصاعب كبيرة » ..

« فانكم تعلمون أن الأسلحة الثقيلة تتحكم فيها الدول الكبرى .. وانكم تعلمون أن الدول الكبرى لن ترضى أبدا أن تمول الجيش بالأسلحة الثقيلة الا بشروط ، والا باشتراطات .. وانكم تعلمون أننا رفضنا هذه الشروط ورفضنا هذه الاشتراطات لأننا نحرص على الحرية الحقيقية ، ونحرص على السياسة المستقلة ، ونحرص على

(١) معرض القوات المسلحة ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥

أن تكون لمصر سياسة مستقلة قوية حتى نخلق من مصر شخصية جديدة مستقلة تخلصت فعلا من الاستعمار ، وتخلصت فعلا من الاحتلال تخلصت فعلا من السيطرة .. السيطرة الأجنبية بكل معانيها » ..

« كنا نسعى فى هذا السبيل .. واليوم يا اخوانى نسمع ضجة من لندن .. ونسمع ضجة من واشنطن على تسليح الجيش المصرى وانا احب أن أقول لكم اننا حاولنا طوال السنين الثلاث الماضية ان نسلح الجيش بأسلحة ثقيلة بكل وسيلة من الوسائل .. لا بغرض العدوان ، ولا بغرض الاعتداء ، ولا بغرض الحرب .. ولكن بغرض الدفاع ، بغرض الأمن .. بغرض السلام » ..

« اننا اردنا أن نقوى جيشنا حتى نؤمن انفسنا وحتى نؤمن قوميتنا .. وحتى نؤمن عروبتنا .. اننا اردنا أن نسلح جيشنا حتى نشعر دائما بالأمن والسلام وبالطمأنينة ، ولم نكن نقصد ابدا أن نقوى هذا الجيش للعدوان .. أو ان نقوى هذا الجيش للحروب ، ولكن الجيش الذى هو سياج هذا الوطن ، ولكن الجيش الذى هو حامى هذا الوطن يقف دائما على أهبة الاستعداد ليدافع عن شرف الوطن هذا هو غرضنا ، وهذا هو هدفنا ، وقد كنا ننادى بذلك دائما طوال السنين الثلاث الماضية » ..

« اننا لا نريد سلاحا للعدوان .. اننا نريد سلاحا حتى نطمئن وحتى نشعر بالسلام ، وحتى لا نشعر بالتهديد » ..

« انى يا اخوانى أشعر بالضجة من هنا ، وأشعر بالضجة من هناك ، أشعر بهذه الضجة حينما استطعنا أن نحصل للجيش على حاجته من الأسلحة .. بدون شرط وبدون قيد .. حتى نحقق الهدف الذى قامت هذه الثورة من أجله .. أن يكون لمصر جيش وطنى قوى يحمى الاستقلال الحقيقى ويحمى الحرية الحقيقية » .

« وانى احب يا اخوانى أن أقول لكم فى هذه المناسبة قصة

تسليح الجيش .. فحينما قامت الثورة التجأنا الى كل الدول والتجأنا الى كل ميدان من اجل تسليح هذا الجيش » ..

« التجأنا الى انجلترا ، والتجأنا الى فرنسا ، والتجأنا الى امريكا ، والتجأنا الى باقى الدول من اجل تسليح الجيش .. من اجل السلام ومن اجل الدفاع ، فماذا اخذنا ؟ الحقيقة اننا لم نأخذ الا مطالبات ، فقد ارادوا ان يسلح الجيش بعد ان نوقع على وثيقة ، وبعد ان نوقع على مواثيق .. واننا اعلنا أننا اذا اردنا أو صممنا أن نسلح جيشنا من اجل حريتنا ، ومن اجل شخصيتنا المستقلة .. من اجل حياة ثورتنا .. ومن اجل عزة وطننا .. ومن اجل كرامة مصر .. واعلنا اننا لن نسلح الجيش على حساب استقلالنا .. اننا لن نسلح الجيش على حساب حريتنا » ..

« وطلبنا السلاح ، فماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة يا اخوانى قصة طويلة .. قصة مريرة .. واننى اذكر فى هذا الوقت .. اذكر وانا اتحدث اليكم اننا فى بعض الأحيان قد أرقنا ماء وجوهنا .. ولكنا لم نتخل ابدا عن مبادئنا .. اننا ارقنا ماء الوجوه .. ونحن نطلب السلاح ، ونحن نستجدى السلاح ، ولكننا فى نفس الوقت صممنا على المحافظة على المبادىء .. وصممنا على أن نحافظ على مثلنا العليا وماذا كانت النتيجة ؟ لم نستطع ابدا يا اخوانى أن نحقق هذا الهدف الأكبر الذى قامت هذه الثورة من أجل تحقيقه وهو اقامة جيش وطنى قوى » ..

« فان فرنسا كانت تساومنا دائما ، تساومنا على شمال افريقيا .. وتقول لنا دائما اننا نعطيكم السلاح على شرط الا تنتقدوا موقفنا فى شمال افريقيا .. على شرط أن تتخلوا عن عروبتكم ، على شرط أن تتخلوا عن انسانيتكم .. على شرط أن نرى المذابح التى تحدث فى شمال افريقيا ونسكت عليها ، ونغمض العين عن عروبتنا ، وكيف نتخلى عن انسانيتنا ؟ اننا لا يمكن أبدا أن ننفصل عن عروبتنا ، واننا لا يمكن ان ننفصل عن انسانيتنا .. »

« **ولكن امداد فرنسا لنا بالسلاح كان دائما سيفا فوق رقابنا ،** وكنت دائما يا اخوانى أهدد بقطع السلاح ، وكنت دائما يا اخوانى أهدد بتموين اسرائيل بالسلاح مع قطع السلاح عن مصر » ..

● « **هذه هى قصة فرنسا . وأقول لكم الآن قصة أمريكا .. منذ قامت الثورة ونحن نطالب بالسلاح .. ونحن نوعد بالسلاح وماذا كانت النتيجة ؟** كانت الوعود ، وعودا مرتبطة بشروط ، نأخذ السلاح على أساس أن نوقع على ميثاق أمن متبادل ، نأخذ السلاح على أساس أن نوقع على حلف من الأحلاف ، ورفضنا أن نوقع وثيقة الأمن المتبادل ، ورفضنا أن نوقع على حلف من الأحلاف ، ولم نستطع أبدا يا اخوانى أن نأخذ من أمريكا قطعة من السلاح » ..

● « **وماذا كانت قصة انجلترا ؟** كانت انجلترا تقول لنا انها مستعدة لتموينا بالسلاح وكنا نقول لها اننا نقبل هذا شاكرين ، وماذا كانت النتيجة .. لقد مونتنا انجلترا بمقادير من السلاح لا تحقق هدفنا الذى قامت هذه الثورة من أجله ، وماذا كانت النتيجة أيها الاخوان ، كان الجيش المناوىء لنا يمون بالأسلحة من دول متعددة من العالم .

« **ان جيش اسرائيل قد استطاع أن يأخذ أسلحة من انجلترا ، ومن فرنسا ، ومن بلجيكا ، ومن كندا ، ومن ايطاليا ، ومن دول اخرى متعددة** ، وكان هذا الجيش يستطيع أن يجد دائما من يمونه بالسلاح .. وكنا نحن نقرأ فى الصحف الأجنبية ، سواء فى الصحف الأمريكية أو الصحف الفرنسية ان جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة .. وقد قرأت فى الشهر الماضى يا اخوانى كثيرا من المقالات تحمل هذا المعنى : ان جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم مصر . ان جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم العرب .. ان جيش اسرائيل متفوق فى السلاح .. ان جيش اسرائيل متفوق فى العتاد !

« **هذا ما كانوا يقولونه فى صحفهم فنقول لهم اذا كنتم تشعرون بهذا فلماذا تمنعون عنا السلاح** .. كنت أقول لهم هذا فماذا كانت النتيجة ؟ لقد تذرعت فرنسا بشعورنا نحو شمال افريقيا .. ومنعت عنا السلاح وحينما رأينا هذا ، حينما رأينا هذا التحكم .. وحينما رأينا هذا النفوذ الذى يتحكم فينا ، وفى رقابنا قررنا أن نطالب جميع دول العالم بأن تمدنا بالسلاح بلا قيد ولا شرط ، وقدمت هذا وأنا أؤكد لهم أن هذه الأسلحة لن تستخدم فى العدوان ، ان هذه الأسلحة ستستخدم فى الدفاع ، اننا ليست لنا أية نوايا عدوانية .. ولكن نوايانا نوايا سلمية .. اننا نريد أن يكون لنا جيش حر قوى مستقل ، يسند هذا الوطن فى أهدافه الحرة المستقلة .. اننا نريد أن يكون لنا جيش قوى ، لا للعدوان ولكن للدفاع .

« **قدمت هذا يا اخوانى باسم مصر الى أمريكا ، الى انجلترا .. الى فرنسا ، الى روسيا ، الى تشيكوسلوفاكيا ، الى باقى الدول وانتظرت الرد فماذا كانت النتيجة .**

« وصلتنى ردود من بعض هذه الدول بأننى يمكن أن أسلح الجيش بالأسلحة ولكن بشروط ورفضت هذه الشروط .. فهذا هدف من أهدافنا ، وقد قلت لكم اننا قد نستجدى السلاح ، وقد نطلب السلاح .. وقد نريق ماء وجهنا من أجل السلاح .. ولكننا لن نتخلى أبدا عن مبادئنا ..

« **وانتظرنا حينما وصلنا رد على هذا الخطاب من حكومة تشيكوسلوفاكيا تقول انها مستعدة أن تموننا بالسلاح حسب حاجتنا وحسب حاجة الجيش المصرى على أساس تجارى بحت ، وان هذا التعامل يعتبر كأى تعامل تجارى آخر ، فقبلنا فى الحال هذا الاتفاق .**

« **ووقعت مصر فى الأسبوع الماضى اتفاقية تجارية مع تشيكوسلوفاكيا من أجل تموينا بالسلاح** .. وهذه الاتفاقية تسمح

لمصر بأن تدفع الثمن منتجات مصرية مثل القطن ومثل الارز وقبلنا هذا العرض شاكرين ..

« واننا بهذا يا اخوانى نحقق هدفا من اهداف هذه الثورة وهو اقامة جيش وطنى قوى ، وانا اليوم يا اخوانى وانا اتكلم اليكم اشعر بالضجة التى قامت هنا وهناك .. قامت ضجة فى لندن ، وقامت ضجة فى واشنطن ، قامت هذه الضجة من أجل استمرار التحكم .. ومن أجل استمرار النفوذ .

« اننا سنكافح من أجل القضاء على هذا التحكم ، وسنكافح من أجل القضاء على هذا النفوذ .. اننا سنكافح من أجل تحقيق أهداف هذه الثورة .. واننا سنكافح من أجل اقامة جيش وطنى قوى يستطيع أن يحقق لهذه الثورة الأهداف الكبرى التى قامت من أجلها .. ويستطيع ان يحقق أواصر السلام .. نعم يا اخوانى السلام ، السلام الذى نادينا به فى باندونج .. السلام الذى نادينا به فى مناسبات عدة ..

« اننا حينما نبنى هذا الجيش انما نبنيه من اجل السلام وانما نبنيه حتى نطمئن على مصائرنا ، نبنيه حتى لا تكون مصر دولة من اللاجئين .. اننا نبنيه ضد العدوان .. اننا ضد اى اطماع فى أرض هذا الوطن ..

« هذا هو يا اخوانى هدفنا الأكبر .. هذا يا اخوانى هدفنا الأعظم واننى حينما أسمع متحدثا يقول ان هذا فتح للنفوذالروسى أو فتح للنفوذ الأجنبى فى الشرق الاوسط أو فى مصر .. اننى حينما اسمع هذا أنظر الى الماضى البعيد .. وأقول ان هذه الاتفاقية التجارية التى وقعناها بلا قيد ولا شرط لا تعتبر فتحا للنفوذالروسى ولا للنفوذ الأجنبى .. ولكنها يا اخوانى تعتبر قضاء على النفوذ الطويل الذى تحكم فينا وعلى النفوذ الطويل الذى سيطر علينا .

« اننا يا اخوانى حينما نستطيع أن نسلح جيشنا بلا قيد ولا شرط نقضى على التحكم .. التحكم الذى كنت اشعر به ركنتم تشعرون به تحت اسم التسليح .. وتحت اسم الامداد بالسلاح .. نهؤلاء الذين يتكلمون عن النفوذ الأجنبى يعرفون اننا نقصد القضاء على النفو النفوذ الأجنبى ..

« ان مصر .. مصر المستقلة .. مصر الثائرة . مصر القوية . لن تمكن لنفوذ اجنبى فى بلادنا ، وانهم يعلمون اننا لم نقبل نفوذهم وانهم يعلمون اننا لم نقبل سيطرتهم ، وانهم يعلمون ان مصر اليوم .. مصر الثائرة التى ثارت فى ٢٣ يوليو قد آلت على نفسها أن تقضى على النفوذ الأجنبى قضاء مبرما .. وانها قد آلت على نفسها ان تقضى على الاستبداد الأجنبى وعلى التحكم الأجنبى .. انها قد آلت على نفسها أن تسير قدما الى الأمام حرة حرية حقيقية لها سياسة خارجية تنبعث من نفسها وتنبعث من ضميرها لا تنبعث من معسكر من المعسكرات ..

« انهم يعلمون هذا .. وانهم حينما يتكلمون عن النفوذ انما يتذكرون نفوذهم . هذا النفوذ الذى انتهى .. وهذا النفوذ الذى مضى .. ونحن سندافع عن حريتنا .. سندافع عن استقلالنا .. وسنكافح من أجل استقلالنا ، والله يوفقكم .

* * *

كسر احتكار السلاح كان السبيل الوحيد لايجاد جيش وطنى قوى بعيدا عن مناطق النفوذ .. جيش يستطيع أن يحمى الاستقلال . وهو احد المبادىء التى قامت من أجلها الثورة ووضعته ضمن اهدافها الستة الاولى ولكن الاستعمار لم يكن يريد أن تحمى مصر استقلالها . ولا أن تقيم الجيش الوطنى القوى .

الاستعمار يريد دائما أن تبقى البلاد التى استعمرها فى حالة من الضعف ، لا تمكنها الا من الاعتماد عليه هو نفسه . ليحميها .. ويحل مشاكلها ، ليطعمها ، ويمولها ، ويضع برامج لتنميتها .. برامج هى غالبا لا تزيد عن رصف طرق .. وعلاج أمراض ، ومراكز ابحاث يعمل فيها خبراؤه يستكشفون ، ويدرسون ، ويكون أبناء هذه الشعوب هم الفئران التى تجرى عليها التجارب ليستفيد العلم وينمو فى الدول الكبرى التى تستعمر .

ولقد رأينا ذلك فى المعونات الامريكية ، رأيناه فى النقطة الرابعة ، ورأيناه فى برنامج فولبرايت ، وفى غيرها من المشروعات التى قامت برأسمال غربى امريكى ، واحيانا ضمن اطار بعض ما تقوم به الأمم المتحدة من برامج للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للشعوب . وكان أبرزها وأشدها وضوحا موقف البنك الدولى للانشاء والتعمير من قضية تمويل بناء السد العالى .

* * *

هل كان يمكن أن يسلح الغرب مصر ، أو الدول العربية حتى تقوى ، وتدافع عن نفسها ، وترفع الظلم الواقع على شعب عربى طرد من بيوته وقراه ومدنه ، وتحول الى شعب من اللاجئين ، والعائدين والنازحين .. هو الشعب الفلسطينى .

ان السلاح الذى كانت تريده مصر لخلق جيش قوى يحمى استقلالها . ويحمى بناءها ضد أعدائه . ابرز أعداء البناء الجديد هو الاستعمار ذاته ..

كان تسليح مصر فى نظر الغرب يعنى أنها ستواجه بالسلاح القاعدة الاستعمارية التى زرعها الاستعمار فى قلب الوطن العربى ..

هل يمكن أن يمد الغرب الدول المتحررة بالسلاح الذى يمكنها من مواجهة قواعده .. ذلك أن فوق طاقة التصور ..

ففى الوقت الذى كان الغرب فيه يرفض أن يعطى مصر سلاحا بالثمن ، وكان يضع عقبات ومعوقات عديدة تحول دون تسليح الجيش المصرى ، وتقويته ، وهو من أهم ما قامت من أجله الثورة المصرية ، ومما قوى تنظيم الضباط الأحرار وزاده تماسكا بعد الهزيمة العسكرية فى حرب ١٩٤٨ ، أن أحس الضباط بالذات أن من ابرز أسباب النكبة قلة السلاح ، فضلا عن فساده ، وهو أمر اتفق عليه الاستعمار ، واعوانه وكان بينهما لقاء حوله .

أن يوجد حكم متحرر الى جانب قاعدة استعمارية يعنى أمرا واحدا ، هو أن يظل كل منهما متربص بالآخر .. الحكم الوطنى المتحرر يحس بالقاعدة كشوكة فى جانبه والقاعدة الاستعمارية ـ اسرائيل ـ تعرف أن الحكم الوطنى لن يهدأ حتى يواجهها مواجهة سافرة لكى يؤمن نفسه ، وينطلق يحقق أهداف شعبه ..

والقاعدة الاستعمارية التى زرعها الغرب فى قلب الأمة العربية هى بطبيعتها ذات أهداف ، وخطط ، وأبعاد .. هى نفسها تريد أن تتسع ، وفى خطتها تستولى على ما حولها من الدول .. كلها .. كلها ...

اذن فسوف يظل الموقف مشدودا ...

الدولة الجديدة فى مصر .. تريد أن تخلق جيشا قويا .

الجيش القوى يعنى مواجهة لهذه القاعدة التى خلقت لا لتوجد فقط ، بل لتنمو وتتدعم .. وتكبر .. وتبتلع ما حولها .. أرضا ، واقتصادا .. بشرا ، وانتاجا ولتمارس مخططا استعماريا رسم لها تنفذه عندما يلزم الأمر .

وبرغم ان الاستعمار فرض على المنطقة تخلفا جعلها متأخرة عن ملاحقة التطور الحديث فى العالم ، فانه فعل العكس فى قاعدته فهو يعاونها ويدعمها ، ليدعى أنها البؤرة الحضارية وسط هذا المحيط المتخلف ، ولتخفيف من حولها بهذا التقدم الذى يمكن لها من تحقيق اغراضها بالحرب مرة ، وبالسلم مرات عديدة ..

كان من المنطقى اذن ، وفى ظل كل هـذه الظروف ، أن لا يمد الاستعمار مصر بالسـلاح الذى يمكنهـا من خلق القوة الدفاعية والرادعة .. فى الوقت الذى تنهال فيه الاسلحة على اسرائيل .. بالثمن وبغير الثمن وبالنقد من المعونات التى تصلها من نفس دول الغرب ، وبالتقسيط من هذه الدول أيضا ..

ولكن المنطق الاستعمارى يثير هنا مسألة جديدة هى التوازن .. التوازن فى التسليح من أجل الحفاظ على السلام .. والحفاظ على السلام هنا يعنى الحفاظ على حالة الاستعداد للحرب .. ويعنى الحفاظ على بقـاء النفوذ الأجنبى .. والارتباط به فى التسليح

كل ذلك باسم أسطورة ميزان القوى ، والرغبة فى السلام (١) ، « أما أسطورة ميزان القوى ، وأما أسطورة السلام فلها قصة غريبة .. وهى تعنى قبل كل شىء .. الابقاء على القـاعدة الاستعمارية ، والحفاظ عليها ..

« وهذه قصة طويلة .. لها قصة مريرة .. انها خدعة كبرى يريدون أن يموهوا بها على الرأى العام العالمى » .

« وانى أحب اليوم أن أعلن باسم مصر للرأى العـام العـالمى حقيقة هذا القول ، حقيقة هذه الخـدعة الكبرى ، لقد كانت حادثة ٢٨ فبراير الماضى ، والاعتداء اليهـودى المدبر الذى وصفه مجلس الأمن بأنه اعتداء وحشى على جنود آمنين مطمئنين . لقد كان هـذا الاعتداء نقطة تحول أيضا ، لقـد كان هـذا الاعتـداء الذى دبره بن جوريون والذى شـكر من أجـله أفرادا من الجيش الاسرائيلى لتنفيذهم هذا الاعتداء الوحشى » .

« لقد كان هذا الاعتداء هو ناقوس الخطر وانا نحمد الله على هذه المصيبة التى حلت بنا فانها تمكننا من أن نستطيع أن نتلافى مصائب أكبر .

(١) ٢ اكتوبر فى الكلية الحربية ١٩٥٥

« لقد كان هذا ناقوس الخطر ومنذ ذلك اليوم بدأنا نتنبه ومنذ هذا اليوم بدأنا نبحث ومنذ هذا اليوم بدأنا ندقق فى تعرف السلام وفى معنى السلام .. وبدأنا ندقق فى معنى توازن القوى فى هـذه المنطقة فماذا وجدنا أيها الاخوان ؟ لقد وجـدنا أن هنـاك تحيزا لعدوكم ، تحيزا لاسرائيل واننـا استطعنا أن نحصل على معلومات اكيدة تثبت أن من يقولون انهم يريدون فى هـذه المنطقـة توازنا فى القوى ويريدون فى هذه المنطقة السلام .. يعملون على منع السلاح عنا ، ويعملون فى نفس الوقت على تموين اسرائيل بالسـلاح ، وقد استطاعت المخابرات المصرية أن تحصل على وثيقة رسمية فرنسية تقول ان أمريكا وان انجلترا تمـدان اسرائيل بالسـلاح وتقول هذه الوثيقة الفرنسية ان أهم معـدات القوات العسـكرية الاسرائيلية الثقيلة مصدرها أمريكى بريطانى وها هى على سبيل المثـال بعض المعدات التى حصلت عليها اسرائيل من بريطانيا :

« ٢٠ طائرة متيور ، ٥٠ طائرة موستانج ، ٢٠ طائرة موسكيتو ، ٧ طائرات نقـل ، ١٠٠ عربة مصفحة شرمان ، ١٥ عربة مصفحـة تشرشل ، ١٠٠ مدفع عربة فاج هاون ، ٧٠ مدفع ميدان .

« وقالت أيضا هذه الوثيقة الرسمية الفرنسية أن هناك صفقات تعقد بين بريطانيا واسرائيل لبيعها طائرات متيور ودبابات من طراز سنيتوريون . وقالت أيضا أن أمريكا سلمت من جانبها الى اسرائيل ١٢ طائرة ب.ت ١٧ ، هذا ما حوته الوثيقة الفرنسية وهى طبعا لم تحو ما سلمته فرنسا نفسها الى اسرائيل ، وقد قرأنا فى الأسبوع الماضى فى احـدى جرائد اسرائيل وهى جريدة دافار على وجـه التحديد أن فرنسا تعاقدت مع اسرائيل على أن تسلمها ١٠٠ دبابة وتعاقدت أيضا على أن تسلمها عددا من طائرات المستير النفاثة .

« هذا يا اخوانى هو التوازن كما يفهمونه ، وهذا هو السلام كما يفهمونه .. التوازن هو أن تسلح اسرائيل ويمنع السلاح عن مصر وعن العـرب .. التـوازن هو أن تقول صحفهم ان جيش اسرائيل

يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة .. التوازن هو أن تقول صحفهم سواء فى أمريكا أو فى انجلترا أن اسرائيل تستطيع أن تحشد فى الميدان ٢٥٠ الف جندى أكثر مما تستطيع الجيوش العربية جميعا أن تحشد .. التوازن هو أن تقول صحف أمريكا وهى تشعر بهذا بالافتخار وبالزهو ان جيش اسرائيل عنده الكثير من العدد وعنده الكثير من العتاد وعنده الكثير من السلاح .

« هذا هو التوازن الذى يموهون علينا به اليوم ، وهذه يا اخوانى هى الخديعة الكبرى التى يحاولون اليوم أن يخدعوا الراى العام العالمى بها .

« وانى أريد أن اقول لكم ان هذا لن ينطلى علينا أبدا .. لقد سلحوا اسرائيل ومنعوا عنا السلاح لماذا ؟.. لأنهم يريدون أن نكون ضعفاء تحت رحمتهم ونطلب اليهم دائما أن ينجدونا وأن يدافعوا عنا .. وان يجعلونا تحت محايتهم وتحت تصريحهم الثلاثى لا

* * *

الحياد الايجابى وعدم انحياز موقف الزم ما يكون لدول آسيا ، وافريقيا ، وأمريكا اللاتينية .. لدول العالم الثالث كله ..

واذا كانت معظم دول أمريكا اللاتينية لا تزال تقع تحت الضغوط أو السيطرة أو النفوذ الامريكى واذا كانت معظم دول آسيا موزعة بين دول تدخل ضمن الكتلة الشرقية ، وأخرى خاضعة للنفوذ الامريكى ..

واذا كانت بعض دول أفريقيا استقلت ، وبعضها الآخر مازال يواصل كفاحه من أجل الاستقلال ..

فان سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز هى سياسة المستقبل بالنسبة لهذه الدول كلها ، وان كان المناخ السياسى فى العالم يجعل دول أفريقيا بالذات أقرب الدول التى عليها تتبع سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

ان عدم الانحياز ليس موقفا سلبيا فمعنى عدم الانحياز والحياد الايجابى هو ان سياستنا تقرر وفق مصلحتنا وفق ما يمليه عليه ضميرنا .. هذا هو الفرق بين الحياد الايجابى ، وبين الحياد السلبى ، وهو يبنى أساسا على ان اى دولة ليست منفصلة عما يدور فى العالم ، وأن كل مشكلة تؤثر فيها لذلك فانه يجب أن يكون لها راى وموقف فى مشكلات العالم المعاصرة . وابرزها الاستعمار والتحرر ، وحق تقرير المصير ، ونزع السلاح ، والتفرقة العنصرية وغيرها ، وذلك باعتبار أن الدولة تدرك أنها لا يمكن أن تعيش فى عزلة وان ما يدور فى العالم ينعكس عليها ، لأن اى كسب للسلام هو كسب لشعوب العالم جميعا لذلك لا بد أن تتفاعل الدولة مع الأحداث التى تدور من حولها .. ومعنى ذلك أن دول الحياد عليها ان تعمل باستمرار لتأكيد هذه المبادىء متفاعلة مع بعضها .. وأن يكون لها دور فى توجيه سياسة العالم فى السلم نحو التعاون المشترك .. وتجنيبه ويلات الحروب ، وأبعاد شبحه ، وتخفيف حدة التوتر الدولى ..

ولقد أدى الى هذا الموقف الذى لعب عبد الناصر دورا أساسيا فيه ظروف العالم ، والتقدم الهائل الذى حققه بحيث أصبح من العسير حصر أى نزاع فى منطقة معينة ، وفى داخل حدوده ، وفى نفس الوقت اصبح من العسير ايضا ان يقف تأثير أى نزاع فى منطقة ولا يتعداها الى غيرها ..

ان الحرب العالمية ادت الى انقسام العالم الى معسكرين كبيرين مختلفين فى الاتجاهات والافكار والاهداف يتربص كل منهما بالآخر ويقف أمامه . لذلك كان لا بد من نزوغ قوة ثالثة تقف بينهما تسهم فى تسيير أمور العالم ، وتساند قضايا التحرر وتعمل للتخلص من بقايا الاستعمار والتبعية ، قوة مصلحتها الاساسية فى ان تتحرر ، وأن تدعم السلام وأن تواجه الاستعمار الذى كان طبيعيا بعد الثورة الصناعية الهائلة أن يحشد مزيدا من طاقاته لكى يمتص المواد الخام اللازمة لتشغيل مصانعه الضخمة من الدول

الصغيرة ، والمستعمرة ، والحديثة الاستقلال .. وأصبح واضحا أن الغزو الاستعمارى لم يعد يقف عند حدود الدول الكبرى . امريكا وانجلترا ، وفرنسا ، بل لقد رأينا دولا أوربية أخرى تبذل جهدها لكى يستمر استعمارها ، أو غزوها .. والصورة البارزة لذلك هى البرتغال ، وبلجيكا ، وغيرها .

لذلك كان موقف الناصرية واضحـــا « فنحن نؤمن بحتمية انتصار الحرية ، ونؤمن بوحدة انتصار الحرية ، ونؤمن بأن الحرية غير قابلة للتجزئة ، بمعنى اننا لانستطيع أن نؤيد الحرية فى مكان ولا نؤيدها فى مكان آخر .. واجبى أن أؤيد الحرية ، فى كل مكان ، وواجبنا كشعب قاسى من الاستعمار وقاسى من العدوان أن نستنكر العدوان فى أى مكان » (١) .

ومن اجل ذلك يأخذ عبد الناصر مبدأ الحياد الايجابى ..

ويشرحه عبد الناصر ، ويفرق بينه وبين الحيـــاد السلبى التقليدى الذى عاشه العـــالم من قبل مؤتمر باندونج ، وخروج الكتلة الثالثة الى العالم تحمل مبدأ جديدا .

يقول عبد الناصر « ان الحياد السلبى لا يهمه بأى حال من الاحوال ما يحدث فى اى جزء من اجزاء العالم » .

« أما الحيـــاد الايجابى فهو يعنى أننا لا ننحاز ولا نتحيز فى سياستنا او فى احكامنا وانما تكون سياستنا مبنية على مقتضيات الامور . ثم على ما يمليه علينا ضميرنا وبهذا نستطيع ان نعلن راينا مؤيدا لحرية الشعوب ولحق الشعوب فى تقرير المصير . وايضا سياستنا مبنية على مبدأ آخر وهو اننا نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا ولكن من مصلحتنا أن نكون فى سلام وصداقة مع جميع الدول واننا فى هذا ليست لنا اى اهداف او نوايا فى معاداة اى دولة وهذه كانت سياستنا دائما مع الولايات المتحدة الامريكية كما نسعى الى صداقة جميع الدول على اساس من المساواة ومعاملة

(١) عبد الناصر بيور سعيد ١٩٦٤ .

الند للند . ولكنا حينما قابلنا الضغط من اجـــل أن نشترك فى منظمات للدفاع عن الشرق الأوسط على غير رغبتنا . كان علينا أن نجابه هذه الضغوط وكان علينا أن ندافع عن حقنا فى اختـــيار السياسة التى تلائمنا . وحينما سحب تمويل السد العالى بطريقة اعتبرت طريقة مهينة لنا جابهنا هذا كعمل موجه الى كرامتنا وموجه من اجل تقويض الأوضـــاع فى داخل بلدنا . . جابهنـــا هـــذا بالعمل الذى يحفظ علينا كرامتنا . هـــذه كانت سياستنا دائما بالنسبة للولايات المتحدة كما هى بالنسبة لجميع الدول » .

* * *

ولكن اذا كانت هـــذه هى مبادؤنا ، فماذا يكون الموقف اذا اعتدى علينـــا .. فماذا يكون موقفنـــا من المعتدى ، وهل معاداته تعنى كسرا لمبدأ الحياد الايجابى الذى اختارته الناصرية منهاجا لها ..

الفكر الناصرى يرى انه اذا اعتدى على اية دولة ، فلهـــا أن تدافع عن نفسها ، وأن تحمل السلاح لتأكيد حريتها فى مواجهة خصمها ، والمعسكر الذى ينتمى اليه ..

وهذا لا يعنى خرقا لمبدأ الحياد الايجابى ، ولكنه قد يكون من الافضل أن يسمى ذلك بأنه تأكيد لمبدأ الحياد الايجابى ذاته

« ما هو التعايش السلمى ؟ ! (١) »

« التعايش السلمى هو الا يعتدى احد علينا لأن اى واحـــد يعتـــدى علينا لا نستطيع أن نتعايش سلميا معه ولابد ان نرد العدوان .

« التعايش السلمى شىء يقال كهدف واذا اعتدى احد علينا كما اعتدت علينا بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥٦ فكيف اقول اننا لن نحاربهم ؟. »

« التعايش السلمى معناه جهود من جميع الناس من اجل ان يعيشوا فى سلام على أن يكون هذا السلام قائما على العدل طبعا . »

(١) فى المؤتمر الصحفى الدولى اكتوبر ١٩٦٣ .

« سياسة الحياد الايجابى سياسة قائمة على احترام حيادنا ولكن نفرض أن معسكرا هاجمنا هل نقول لن نحاربه لاننا حياد ايجابى ؟ »

« ينتهى فورا بالنسبة للدول التى تهاجمنا . سياستنا تجاهها كحياد ايجابى ويصبح علينا أن نرد العدوان ونستخدم حقنا المشروع فى الدفاع عن بلدنا .

« اذا سياسة التعايش السلمى هى سياسة ننادى بها ونعمل من أجلها على أساس الا نتعرض للعدوان واذا تعرضنا للعدوان لا يمكن أن يكون بيننا وبين من اعتدى علينا تعايش سلمى » .

* * *

معركة بناء السد العالى طويلة ومريرة ، وهى أحد معارك الناصرية ضد الاستعمار ..

وكانت المواجهة الصريحة بتأميم قناة السويس .

« قدم لنا مشروع السد العالى فى ١٩٥٢ ووضعناه موضع الدراسة وقابلتنا عقبة التمويل وتبين أن المشروع صالح وينتهى بعد عشرة سنوات . واتصلنا بالبنك الدولى وطلبنا منه ، ونحن المشتركين فيه ، المساهمة فى التمويل . وقال أن فيه عقبات فهناك الانجليز واسرائيل فعندما تنهون خلافكم معهما نستطيع تمويل المشروع . وليس عندكم نظام برلمانى فنطلب منكم عمل استفتاء على هذا المشروع »

« بعد مفاوضات من أجل السد العالى سحبوا تمويل السد العالى وردينا عليهم بعد ٣ أيام من سحب تمويل السد العالى او أربعة (١) »

« ثم بعد هذا حينما أجمعنا على بناء السد العالى لم نتردد فى تأميم قناة السويس لنسترد اموالنا ونبنى السد العالى .. والسد العالى الذى أراد له الاستعمار الا يظهر الى الوجود .. انه اليوم

(١) مارس ١٩٦٥ .

حقيقة واقعة . (١) »

« السد العالى علشان ينبنى خضنا معارك .. تأميم قنال .. التهديد .. الحصار الاقتصادى ، تجميد أموالنا .. العدوان الثلاثى .. الحرب النفسية .. المؤامرات . (٢) »

وبدأت معركة ثانية مع الاستعمار .. فى هذه المرة معركة حربية مسلحة .. ولكن القائد . كان مستعدا لها ومن خلفه جموع الشعب كله .

« حينما أممنا قناة السويس ، كنت أعلم أن تأميم القناة يدخلنا فى حرب مع بريطانيا وفرنسا ، ولكن كان علينا أن نستخلص حقنا المغتصب وكنا نعتقد أننا قد نتعرض للعدوان ورغم هذا كنت على ثقة من أن هذا الشعب سيقاتل فى سبيل الحرية والكرامة وفى سبيل المبادىء التى آمن بها .. والشعب لم يتوان ولم يتأخر .. حينما واجهنا الانذار البريطانى والفرنسى بأنهم يطلبون تسليم بور سعيد والاسماعيلية والسويس فى ١٢ ساعة والا فسيتدخلوا فى الحرب اللى كانت بقالها ٢٤ ساعة ما بينا وبين اسرائيل .. رفضنا هذا الانذار .. بعد كده بدأ العدوان علينا فى اليوم التالى ، وكنا نواجه معركة مع اسرائيل ، وفى نفس الوقت فى انتظار عدوان .. أما فى بور سعيد أو فى الاسكندرية او عن طريق ليبيا لان القوات البريطانية موجودة فى ليبيا ولم نشعر أبدا باننا قد نخسر هذه المعركة أمام دولتين من الدول الكبرى هى فرنسا وبريطانيا ومعهما اسرائيل . (٣) »

وكانت حرب السويس معركة أخرى من معارك دول العالم كله التى ترفض التبعية ، وتصر على حريتها .

ولعل أبرز ما اسفرت عنه حرب السويس أن الشعوب الصغيرة التى تصر على نيل حقوقها كاملة ، وتواجه اكثر الدول شراسة يمكن لها أن تحقق هدفها وأن تنتصر ، ولقد كان ذلك واضحا من

(١) ٢٦ يوليو ١٩٦٥ .
(٢) مؤتمر الاتحاد الاشتراكى مارس ١٩٦٥ .
(٣) مارس ١٩٦٥ .

خلال التجربة التى اثبتت قدرة قوى التحرر الوطنى على الصمود والنصر . فلقد كان صمود الشعب المصرى ، وكفاحه وتماسكه عاملا اساسيا فى المعركة ضد الاستعمار المسلح الذى غزا بلادنا وكان وقوف الدول الصديقة الى جوارنا عاملا ثانيا ..

ولقد ادى الانتصار العظيم فى السويس الى الكشف الواضح امام العالم لدور اسرائيل كدولة عميلة للاستعمار ، وقاعدة للأمبريالية العالمية ، يمكن ان تحركها لضرب قوى التحرر فى المنطقة كما ارادت لها ذلك .. واثبتت تجربة السويس ان الكفاح المسلح هو الوسيلة الأولى للتحرير ، ولتحقيق الحرية ولصيانة الاستقلال.

وفى نفس الوقت فان التجربة المصرية قد ازدادت عمقا من خلال المعركة ، وهذا العمق ، هو الذى جعلها بعد ذلك تشق طريقها نحو التحول الاجتماعى بخطى ثابتة ..

على ان انتصار الشعب المصرى فى السويس كان النهاية الفعلية والحتمية لعصر القرصنة الاستعمارية ، والغزو الاستعمارى ، بعد ان تيقظ ضمير العالم .. فلم يترك هذا الشعب يقف وحده .. ولقد نبه هذا الموقف كثيرا من شعوب العالم الى اهمية الدور الذى يلعبه عبد الناصر وشعبه فى مواجهة الاستعمار وكانت التجربة نموذجا لدول اخرى أعطاها املا ، ووضع امامها عملا يمكن ان تقوم به ..

وخرجت الناصرية من هذه المعركة وقد اصبحت نداء عالميا يعرفه الجميع ، ويتردد صداه فى انحاء العالم ، ويصوغ عبد الناصر تجربة شعبنا المجيدة فى ابان محنة السويس والنتائج التى استخلصها منها فى الميثاق الناصرى فيقول :

« ان شعبنا بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بارغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين فى عام واحد هو عام ١٩٥٦ الفاصل فى نضالنا الوطنى » .

« ان الاستعمار الذى جلا عن أرضنا ، طبقا لاتفاق تم تنفيذه فى يونية سنة ١٩٥٦ ، ما لبث أن عاد فى أكتوبر من نفس العام متصورا انه قادر على اخضاع ارادة شعبنا واذلاله واجباره على

الركوع خضوعا لارادة المستعمرين » .

« ان شعبنا الذى عقد العزم على حماية استقلاله ، ورفض كل الحيل الاستعمارية التى حاولت أن تجره الى مناطق النفوذ ، وقاد مقاومة هائلة فى الشرق الأوسط كله ضد حلف بغداد حتى أسقط . لم يتردد فى مواجهة العدوان المسلح الثلاثى الذى أقدمت عليه اثنتان من دول العالم الكبرى زحفتا عليه من القاعدة الاستعمارية التى خلقتها المؤامرات الرامية الى ارهاب الأمة العربية وتمزيقها وهى اسرائيل »

« ان الاستعمار فى معركة السويس كشف نفسه وكشف قواعده وكشف أعوانه . »

« ان الاستعمار انقض على شعب مصر بالسلاح لأن الشعب المصرى حاول ان يحقق استقلاله ويبنى تقدمه من أحد موارده الوطنية الذى طال استغلال الاستعمار له واحتكاره لكل عائده وقيمته » .

« ان الشعب المصرى باسترداد قناة السويس ضرب الاستعمار واحتكاراته فى الصميم » .

«واثبت صلابته بتحمله العنيد لتبعات اصراره ، الى حد قبول المعركة المسلحة فى وجه قوى زاحفة جرارة » .

« ان الشعب المصرى بثباته الرائع وبقتاله المرير ضد الغزو استطاع أن يهز الضمير العالمى ويحركه بصورة لم يسبق لها مثيل فى التطور الدولى » .

« ولقد كان التحول الرائع فى المعركة نقطة فاصلة فى حركات التحرير » .

« ان الشعب المناضل الذى كان يواجه الطغاة الكبار وحده ، لم يعد وحيدا » .

« وانما انقلب الموقف راسا على عقب نتيجة للمقاومة الوطنية الباسلة » .

« ان الذين تجمعوا ضد شعبنا ليعزلوه وجدوا انفسهم فى عزلة

عن الدنيا كلها ، بينما وقفت شعوب العالم كلها مع شعبنا تشد أزره وتلوح له بأيديها تحية له وتضامنا معه » .

« ان الهزيمة المريرة التى منى بها الاستعمار فى حرب السويس أنهت عصر المغامرات الاستعمارية المسلحة » .

« ان نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم تحققت بفضل نضال شعبنا » .

« ان الاستعمار الذى ما زال متمسكا بأهدافه غير أسلوبه » .

« ان شعبنا كان بالمرصاد لكل محاولات التنكر والتخفى وواصل مطاردته لها وتجميع قوى الشعب ضدها » .

« ان الشعب المصرى استطاع وسط مهرجان النصر العظيم أن يدرك أنه لم يحصل على الحرية فى معركة السويس ، وانما هو فى معركة السويس استخلص ارادته لكى يصنع بها الحرية ثوريا » .

« ان المعركة المجيدة مكنته من أن يكتشف قدراته وامكانياته ، وبالتالى أن يوجه هذه القدرات والامكانيات ثوريا لتحقيق الحرية » .

« ان النصر ضد الاستعمار ، بالنسبة لهذا الشعب العظيم ، لم يكن نهاية المطاف وانما كان بداية العمل الحقيقى ، وكان مجرد مركز أكثر ملاءمة لمواصلة الحرب من أجل الحرية الحقيقية وضمانها مزدهرة على أرضه الى الأبد » .

« ان السؤال الذى طرح نفسه تلقائيا غداة النصر العظيم فى السويس هو :

« لمن هذه الارادة الحرة التى استخلصها الشعب المصرى من قلب المعركة الرهيبة ؟ »

« وكان الرد التاريخى الذى لا رد غيره هو أن هذه الارادة لا يمكن أن تكون لغير الشعب ، ولا يمكن أن تعمل لغير تحقيق أهدافه » .

« ان الشعوب لا تستخلص ارادتها من قبضة الغاصب لكى تضعها فى متاحف التاريخ ، وانما تستخلص الشعوب ارادتها وتدعمها بكل طاقاتها الوطنية لتجعل منها السلطة القادرة على تحقيق مطالبها .

ضمانات للنصر على الاستعمار

ضمانات ستة تضعها الناصرية كحل لمشاكل الدول المتخلفة فى مواجهة الكتلة الاستعمارية ، وعلى هذه الدول أن تسعى جادة لكى تحققها (١) .

● **أولا ـ انه من المحتم الآن أن تخف قعقعة السلاح ، وأن تترك فرصة للمفاوضات الهادئة على أعلى المستويات فانه لا خيار الآن بين أمرين . اما المفاوضات واما الحرب** ، وانه يبدو لنا من الضرورى الآن أن يتم اجتماع للأقطاب فى أسرع وقت ولا ينبغى أن يؤثر فينا أن محاولتنا فى نيويورك لم تستطع تحقيق اجتماع على مستوى القمة فى ذلك الوقت بين الرئيس الأمريكى والرئيس السوفييتى .

« فان المفاوضات هى الطريق الوحيد المأمون فى مثل هذا الجو الملبد بالغيوم الآن .

« بل ان المفاوضات هى الطريق الوحيد للسلام القائم على العدل ولا يمكن أن يقوم السلام على قواعد الصواريخ ذات الرءوس الذرية .

● **ثانيا ـ** انه من المحتم الآن أن تبذل كل الجهود لتمكين الامم المتحدة من أداء رسالتها .

« وبعد كل التغييرات التى طرأت على العالم منذ انشاء هذه المنظمة الدولية فى سنة ١٩٤٥ فانه لا بد لهذه المنظمة أن تلائم ما بين طبيعتها وما بين طبيعة العالم المتحرر . وفى هذا الصدد لا بد أن يمتد التغيير البناء الى الجهاز الادارى للأمم المتحدة ذاتها

---

(١) مؤتمر بلغراد سبتمبر ١٩٦١ .

باعتباره أداة تنفيذ ارادتها . كذلك لا بد أن يمتد التغيير الى توزيع القوة فى مراكزها المختلفة ولست أتصور أن تبقى مناطق فى العالم دون تمثيل فى مجلس الامن كما لا أتصور أن يبقى بلد كالصين الشعبية بعيدا عن نطاق الأمم المتحدة فى حين أن ربع سكان الأرض يعيشون داخل حدوده . ولا بد للأمم المتحدة بعد ذلك من ان تمارس دورها الذى كانت تحكم به الشعوب التى أقامتها وان تكون مجالا للعمل من أجل السلام ومن أجل التقدم .

« وانه لمن المؤسف أن نرى هذه المنظمة الدولية التى كانت تمثل أملا عريضا للبشرية تتحول أحيانا الى ميدان للصراع بين الكتل أو تجرى المحاولة لاستعمالها كأداة فى يد الاستعمار ثم يصل الأمر بها الى حد أن قراراتها لا تصبح لها فى بعض الظروف من فرص الحياة الا بقدر ما توفره لها سياسة القوى الكبرى » .

« وليس أدل على ذلك من أن قرارات الأمم المتحدة بشأن حقوق شعب فلسطين ما زالت بعد سنوات طويلة من الزمان حبرا على ورق لأن سياسة بعض القوى الكبرى فى منطقتنا أرادت ان تفرض لاسرائيل تحديا لكل قانون ولكل عدل . بل ان المأساة تبدو فى أبعادها الحقيقية اذا ما ذكرنا الواقع التاريخى لما حدث سنة ١٩٤٨ وهو أن الأمم المتحدة والهدنة التى فرضتها فى فلسطين كانت بالذات الستار الذى تسلل العدوان تحته وفى حماه الى تحقيق أغراضه والى احتلال الأرض التى اغتصبها من أصحابها الشرعيين » .

● **ثالثا ـ انه من المحتم الآن اتاحة أكبر فرصة للتقدم أمام الشعوب التى لم تستكمل نموها الاقتصادى والاجتماعى .**

« وينبغى لنا أن نذكر انه لا يمكن ان يكون هناك استقرار فى عالم تتفاوت فيه مستويات الحياة بين الشعوب على هذا النحو الفاضح الذى نراه الآن . ان العالم الذى نعيش فيه عالم واحد ومصيره فى السلام أو الحرب مصير واحد ، ولقد شاركنا جميعا

فى صنع حضارات الانسان وانتقلت عناصر النور من قارة الى قارة الى مدى التاريخ ومن هنا فان لكل منا نصيبا فيما انتهت اليه الحضارة الانسانية كلها من التقدم كذلك ساهمنا جميعا فى صنع الرخاء لدى الذين تتاح لهم فرصته اليوم . ومع أنى لا أريد أن أثير احقادا قديمة فان التقدم الصناعى على سبيل المثال فى عدد كبير من بلدان أوربا كان قائما على الثروات التى جرى نزحها بطريقة منظمة من آسيا وافريقا وما من جدال أن احتمالات الأمم فى التقدم سوف تزداد اذا ما توقف الاندفاع نحو التسلح خصوصا فى المجال الذرى منه واذا اتجهت الطاقات الهائلة فى هذا المجال الى خدمة مشاكل التطوير كذلك ما من جدال الى أن احتمالات هذه الأمم تزداد اذا ما تحقق أن الجهود الرائعة فى أجواء الفضاء الآن سوف تصرف لخدمة السلام لتساعد بكل امكانياتها على توفير الرخاء .

« ولا بد فى هذا السبيل من تنظيم عملية المساعدة على التطور بعيدا عن اعتبارات الحرب الباردة وبعيدا عن نوازع الاستعمار الجديد .

« ولعلنا هنا نستطيع أن نجد الوسائل الكفيلة بدعم هذه العملية التى نراها أمرا حيويا .

● **رابعا ـ انه من المحتم الآن وقد تصدت الدول غير المنحازة لمسئولية العمل من أجل السلام أن تواصل هذه الدول ما بدأت وان تضع من الجهود المنسقة وراء أهدافها ما يكفل تحقيق هذه الأهداف** وذلك عن طريق التعاون المستمر والتشاور المتصل وتنسيق الجهود داخل الأمم المتحدة وخارجها وليس يكفى أن نبدأ وانما المهم ان نستمر حتى نصل الى هدفنا الذى هو فى نفس الوقت هدف الانسان طوال التاريخ وعلى امتداد الأرض . »

« وعلينا ان تبقى حركتنا من أجل السلام طليقة قادرة ، وعلينا ان نبقيها على أوسع الجبهات وفيما عدا الاتصال المستمر بيننا فان

علينا أن نشجع دائما وان نمنح تأييدنا القلبى لكل المحاولات الجماعية البناءة الرامية الى تدعيم السلام عن طريق حماية الحرية ودفع التطور .

كذلك علينا ان نكون دائما على اتصال بالمعسكرين المتصارعين فان عدم الانحياز ليس معناه أن نعتزل المشاكل وانما عدم الانحياز ان نساهم ايجابيا فى دعم التفاهم ، وان نقيم جسورا مفتوحة لمرور الأفكار والآراء عبر الأخاديد السحيقة التى تصنعها الأزمات .

● **خامسا ـ انه من المحتم علينا أن تكون جهودنا مباشرة ومركزة فيما يتعلق بكل الأهداف التى نستطيع فيها بقوانا الذاتية أن نتحرر** . وفى هذا المجال فانى أعنى بالذات تصفية الاستعمار باعتباره أصلا من اصول الشر وسببا من أسباب التوتر والقلق المخيف فى عصرنا .

« واننا نستطيع بتوحيد جهودنا وتنظيمها ان نوجه الى هذا الخطر ضربات ساحقة تساعد الشعوب التى ما زالت تعانى من قبضته عليها ، أن تخلص نفسها وأن تخلص الانسانية كلها منه ومن آثاره » .

« وفى هذا الصدد فانه يخيل الى أننا نستطيع ان نقوم بما هو اكثر من المجهود الأدبى ، وكذلك الحال فيما يتعلق بالتفرقة العنصرية التى نملك أن نواجهها كما هو اكثر من الاحتجاج » .

● **سادسا ـ انه من المحتم علينا فى حركتنا نحو أهدافنا أن نحرك معنا كل القوى المستعدة للخير فى العالم** وان نذكر دائما ان الهدف الذى نسعى اليه يجمعنا مع كل ذوى النوايا الطيبة فى العالم على سعته .

إسرائيل .. قاعدة استعمارية ـ وعنصرية

الفكر الناصرى يقاوم اسرائيل على أساسين من المبادىء العامة ، التى استخلصهما من محصلة نضال الشعب . ورؤيته لما حوله .. وتحليله لما يدور فى العالم ..

● ان اسرائيل قاعدة عنصرية .

● واسرائيل قاعدة استعمارية دخيلة زرعها الاستعمار فى قلب الوطن العربى لخدمة اهدافه .

« ففى الواقع فان اسرائيل الى جانب ما تحتويه من عدوان عنصرى ، فهى أيضا عدوان استعمارى ، بل انه لولا العدوان الاستعمارى ، ما تمكن العدوان العنصرى من الاعتداء الذى اغتصب به ما اغتصب من الأرض الفلسطينية العربية (١) « وان ما حدث فى فلسطين خطير ، يوازى فى خطورته ما يحدث امامنا الآن فى روديسيا الجنوبية ، ان لم يزد عنه خطورة فالاستعمار اغتصب متخفيا وراء الحركة الصهيونية المتحالفة معه ، قطعة من قلب الأمة العربية وطرد شعبها ، واقام عليها وسط الأرض العربية قاعدة عدوانية مسلحة ، تهدد مطالب الحرية العربية . مطالب الوحدة العربية .. مطلب التقدم العربى (٢)

واذا كانت مواقف عبد الناصر بالنسبة لاسرائيل ، والصهيونية

---

(١) مؤتمر القمة العربى الثالث

(٢) مؤتمر عدم الانحياز أكتوبر ١٩٦٤ .

العالمية معروفة ، ومدعمة بكل الاساليب التى لا تسمح بالافاضة فيها ، الا انه لا بد للدارس لفكر عبد الناصر أن يتعرض لاسرائيل باعتبار انها القاعدة الاستعمارية التى غرست فى قلب الأمة العربية واستخدمت بصفة مستمرة ضد كل مد تحررى فى المنطقة لاعتراض طريقه والقضاء عليه . او على الأقل تعطيله .

ولما كانت الجمهورية العربية هى قلب الامة العربية وقلعة نضالها الاولى ، فان اسرائيل قد استخدمت لمواجهة كل مد ثورى فيها ..

حدث ذلك سنة ١٩٥٦ عقب تاميم القناة .. لم تكن اسرائيل فى هذه المعركة سوى أداة لتنفيذ مؤامرة لعرقلة البناء الاجتماعى .

وفى سنة ١٩٦٧ كانت أداة مرة ثانية لمواجهة المد الثورى التحررى فى المنطقة العربية ، والذى ينطلق من القاهرة ..

واسرائيل فى الفكر الناصرى جزء من الحركة الصهيونيةالعالمية التى تسعى الى أن تسيطر على العالم على اساس عنصرى ، فاليهود هم شعب الله المختار ، وعليهم أن يخلفوه على الأرض .. والحركة الصهيونية تحولت الى حركة سياسية منذ القرن التاسع عشر ، ولقد ساعد على تحقيق هذا الحلم مؤثرات وعوامل دولية عديدة ، منها ما سمى باضطهاد اليهود فى العالم ، ونمو الراسمالية العالمية التى جعلت اليهود يتطلعون الى مزيد من الاستثمارات فى بلاد اخرى ، ومنها ايضا ظهور المد القومى ، وبروز فكرة القوميات ، فاستغل اليهود كل هذه العوامل من أجل انشاء وطن قومى لهم ، وساعدهم فى نهاية المطاف الوعود التى حصلوا عليها من الدول الاستعمارية قديما ، وهى التى مكنتهم من الأرض ، ثم الدعم المادى والعسكرى الذى ظلوا يحصلون عليه باستمرار من الدول الاستعمارية حديثا فهو الذى يدعم وجودهم ، ويعطيهم مقومات الحياة ويبقى على دولتهم ويحافظ عليها .

ولم يكن غريبا أن تنشأ الحركة الصهيونية فى احضان الاستعمار الذى التقت مصالحه مع مصالحها ، لذلك راينا كيف

تحمست الدول الاستعمارية لمطالب الصهيونية العالمية التى تتلخص فى ثلاثة اهداف .

انشاء وطن قومى لليهود ، تكوين صندوق لجمع الأموال التى تساعد على الهجرة الى فلسطين ، وجعل اللغة العبرية لغة دولية لليهود فى كل انحاء العالم .

فالمصالح مشتركة ، ووجود قاعدة متقدمة للغرب المستعمر فى هذه المنطقة الحساسة من العالم امر حيوى بالنسبة له .

وتاريخ اسرائيل منذ كانت فكرة خيالية عقد لها مؤتمر فى « بال » بسويسرا سنة ١٨٩٧ حتى يومنا هذا يحكى قصة الترابط الوثيق بينها وبين الاستعمار .

فتصريح « بلفور » مثلا فى راى تشرشل « ينبغى الا ينظر اليه كوعد اعطى لدوافع عاطفية **بل كاجراء عملى اتخذ فى مصلحة مشتركة** ، وذلك فى آونة لم تكن هذه القضية تحتمل اغفال اى عنصر لمساعدة مادية او معنوية »

ويوضح هذه الحقيقة بن جوريون فى دراسة له عن بعث اسرائيل ومصيرها فيقول : ان دولة اسرائيل هى جزء من الشرق الأوسط من **حيث العامل الجغرافى فقط وهو فى جوهره عامل جامد اما من حيث العوامل المصيرية الحاسمة ، مثل الطائفية والحركية والابداعية والانمائية فان اسرائيل جزء من اليهودية العالمية** »

والمساعدات التى حصلت عليها اسرائيل من الولايات المتحدة وحدها لدعمها تزيد هذه الحقائق تأكيدا فقد بلغت المنح التى قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل من سنة ١٩٥٠ حتى ١٩٥٩ حوالى ٤٠٣٥ مليون دولار ، وعندما تقرر بعد ذلك تحويل المنح الى مساعدات منحت سنة ١٩٥٩ فائض اغذية قيمته ٢٠٠ مليون دولار ، وقروضا قدرها ٣٦٩ مليون دولار ومساعدات فنية قدرها ٣٥ مليون دولار واجهزة علمية قيمتها ١٠ مليون دولار ، واستثمارات امريكية قدرها ٩٥ مليون دولار ، وحصيلة بيع السندات الاسرائيلية قدرها ٣٤٧٫٦٤١٫٥٠٠ دولار عدا الاعفاءات من الضرائب والرسوم

التى تمنحها الحكومة الأمريكية على ما يحصل من اليهود .

ويوضح عبد الناصر هذه الحقيقة فى عيد الوحدة ١٩٦٧ فيقول:
« ان اقتصاد اسرائيل يعتمد على الأموال التى يتيحى من أمريكا ومن المانيا ومن بريطانيا ، السلاح الذى عند اسرائيل يبيجى من أمريكا مجانا ، أو بثمن رمزى ، تتسلح اسرائيل كل هذا لكى تكون قاعدة للاستعمار فى قلب الوطن العربى ، وحاجز يمنع تحقيق الوحدة فى العالم العربى .

* * *

ان المنظمة الصهيونية العالمية ، تمثل أحد الاحتكارات العالمية بما تملكه .. وما تملكه فى اسرائيل وحدها يمثل نسبة كبيرة فهى تملك ٨٦٪ من الاراضى الزراعية ، وترعى المنظمة ٤٨٠ قرية زراعية ، وكانت تملك حتى سنة ١٩٦٨ حوالى ٦٠ مؤسسة اسرائيلية كما تملك أكبر شركات البناء فى اسرائيل « امسكو » وهى مساهمة فى أكبر شركة اسرائيلية لبناء منشئات الرى « ميكوروت » وشركة العال للنقل الجوى ، وشركة البواخرا الكبيرة لاسرائيل .

والقروض الامريكية لاسرائيل تمثل ١٦ر٥٪ من رؤوس الاموال الاجنبية وتقدم المانيا الغربية ٢١ر٤٪ من مجموعها ..

ولقد تضاعف حجم المساعدات الامريكية لاسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ .

كل ذلك بينما يبلغ عدد سكان اسرائيل ٢ر٩ مليون نسمة ومساحة الحدود الغير شرعية لها من عام ١٩٤٨ تبلغ ٢٠ الف كيلو متر مربع

فالاقتصاد الاسرائيلى يخضع أولا للحركة الصهيونية العالمية المرتبطة بالاستعمار الغربى ..

والتمييز العنصرى فى اسرائيل حقيقة .. ليس فقط لانها دولة

تقوم اساسا على العنصرية فانها تميز بين العرب واليهود ، بل بين اليهود الشرقيين والغربيين .

« ان الكثير من اليهود الشرقيين مفعمون حقدا ضد اليهود الاوربيين (١) .

ودور الولايات المتحدة بالنسبة لاسرائيل لا ينحصر فقط فى المعونات التى تقدمها ، ولكنه يتمثل أيضا فى الدعم المادى ليس عن طريق القروض والاعانات بل باستثمار رأس المال فى تنمية القطاع الراسمالى عن طريق المشروعات وتملك الولايات المتحدة ٣٧ر٥٪ من المؤسسات التى تنتج ٤٣ر٥٪

● الراسماليون الأجانب الغربيون يتمتعون فى اسرائيل بمزايا عديدة بموجب القانون الخاص بتشجيع رأس المال الأجنبى الذى صدر فى سنة ١٩٥٠ والذى يعفيهم من الضرائب والرسوم الجمركية .

● هناك شركات امريكية كاملة وضخمة تسيطر على الاقتصاد الاسرائيلى .

× **أما الدعم المعنوى** فقد بدا منذ وضع حجر الأساس لدولة اسرائيل فقد ظهر أن السياسة الأمريكية تستعد لوضع قدمها فى الشرق الأوسط عن طريق اسرائيل وخاصة فى فترة التنافس الانجلو امريكى .. لذلك ايدت الولايات المتحدة على الفور وعد بلفور سنة ١٩١٧ .

وقد اسهمت الولايات المتحدة بعد ذلك فى تجريد انجلترا من انتدابها على فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد سارت سياسة الدعم المعنوى وتأييد الوجود الاسرائيلى والدفاع عنه بعد ذلك الى حد اصبح واضحا ومكشوفا وبارزا بعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

---

(١) مجلة نيوزويك .

الصناعى مبهورة بانجازات التكنولوجيا التى تجسدها وتستثمرها اسرائيل .

وهذا الزعم ايضا يتهدده وقد تهدده فعلا قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وانطلاقتها نحو بناء مجتمع صناعى يستفيد بانجازات العصر رغم كل ما شاب المسيرة من سلبيات ويطرح نفسه خاصة على مستوى العالم الثالث فى صورة مد تحريرى وتقدمى راسخ الجذور على ارضه منفتح الفكر على عالمه وعصره ومن هنا كان تركيز اسرائيل ومن ورائها قوى الامبريالية العالمية على محاولة تحطيم هذا النظام بكل وسائل التحطيم بمحاولة احتوائه او التخريب عليه من الداخل أو اشغاله والاثقال عليه وأخيرا بالمواجهة المسلحة ضده للقضاء عليه فى ضربة خاطفة مركزة واحدة ظلت اسرائيل تعد لها وتدعم من أجلها على مدى عشر سنين .

رابعا ـ اسرائيل استعمار سكنى فى الدرجة الاولى .. لكنها جمعت اسوا ما فى النماذج المعروفة والكلاسيكية لهذا النمط من انماط الاستعمار كما أنها أضافت الى هذا ما هو أسوا منه : هى كاستراليا والولايات المتحدة انتظمت قدرا محققا من ابادة الجنس (مناحم بجين مثلا يصف مذابح الأسر العربية على يد عصابات الارهاب الصهيونى بأنها عمل رائع من أعمال الاستراتيجية العسكرية) وهى كجنوب أفريقيا تعرف قدرا محققا من العزل الجنسى ، ولكنها تختلف عن الجميع من حيث انها طردت كل السكان الأصليين خارجها تماما ليتحولوا الى لاجئين معلقين على حدودها .

هذا الالتقاء والتداخل العميق بين مصالح الصهيونية والامبريالية العالميتين هو مفتاح الوجود ـ والمصير الاسرائيلى برمته وهو الذى يفسر كثيرا من مظاهر الغرابة والتفرد فيه ، فالاستعمار العالمى هو الذى خلق اسرائيل بالسياسة والحرب وهو الذى يمدها بكل وسائل الحياة من أسلحة وأموال ثم هو الذى يضمن بقائها ويحميها علميا .

اسرائيل اذن استعمار من الدرجة الثانية صنو استعمار من الدرجة الاولى وهى الآن اقتصاديا مؤسسة للاحتكارات والاستثمارات الغربية والامريكية بدرجة دولة كما انها استراتيجيا قاعدة عسكرية وترسانة مسلحة للغرب وحاملة طائرات أمريكية ثابتة والأسطول السادس الأمريكى وجد لحمايتها كأنه اسرائيل العائمة والمصالح هنا متبادلة خاصة على نطاق العلاقة الخاصة بين اسرائيل والولايات المتحد كما ان اسرائيل تقوم بدور (كلب الحراسة) بالنسبة لمصالح أمريكا فى المنطقة العربية ولاستمرار هذه المصالح بين الاحتكارات الأمريكية بعيدا عن قدرة العرب على تأميمها أو حتى استثمارها لصالح شعوبهم وتقوم ايضا بدور وكيل الاستعمار المتلصص على أسواق العالم الثالث وموارده خاصة فى القارة الافريقية كذلك فان الصهيونية العالمية تمارس على الولايات المتحدة والمعسكر الغربى من ثم شتى الضغوط لحساب اسرائيل .

وبمثل ما ظل هيوبرت همفرى مساعد الرئيس الامريكى السابق لندن جونسون يتملق اسرائيل واصفا اياها بقلعة الحضارة ومنارة التقدم فى الشرق الأوسط بمثل ما نجد (أشكول) رئيس وزراء اسرائيل السابق يقول : اننا فى ساعات الخطر نتطلع باطمئنان الى الولايات المتحدة .

وهنا علينا أن نتذكر قول (وايزمان) انه كان قد اتفق مع دوائر الاستعمار الاوربى على تسليم اليهود فلسطين « خالية من العرب » .

كما أن علينا أن نلمح السلوكية الصهيونية داخل الأرض المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ وهى التى تسير باستمرار باتجاه نسف البيوت بدعوى الاشتباه فى ايوائها لعناصر المقاومة الفدائية وهى أيضا ومنذ انشاء اسرائيل لا تنفك عن محو وتغيير معالم الأرض المحتلة واطلاق أسماء عبرية مستمدة أو منحوتة من تراث التعصب الصهيونى وادبياته على معالم اسلامية ومسيحية وكأنما لم يكفها

هذه العملية من الفرد الجنسى شبه الكامل بل هى تعمد الى اعادة حرث الأرض . لتجتث منها جذور الوجود العربى من أساسه .»

خامسا : ان اسرائيل تجسيم للاستعمار المتعدد الأغراض من استعمار سكنى ومن استعمار استراتيجى عسكرى ومن استعمار استغلالى اقتصادى ومن استعمار توسعى يعلن أطماعه الاقليمية بلا أى مواربة تحقيقا لامبراطورية صهيون الموعودة من النيل الى الفرات وهنا ـ كما يبين الدكتور فايز صايغ ـ ترتبط الدعائم الثلاث التى تقوم عليها دولة اسرائيل وهى العنصرية ـ التوسع ـ العدوان .. فالكيان عنصرى يهدف الى التوسع ووسيلة التوسع منطقا هى العدوان والارهاب . »

« ان اسرائيل من البداية الى النهاية استعمار من الدرجة الاولى والثانية معا : استعمار بالاصالة والوكالة فى نفس الوقت ونقصد بذلك أن اسرائيل قامت وأقيمت بفعل ولحساب نفسها والصهيونية العالمية ، وكذلك قامت واقيمت بفعل ولحساب الاستعمار العالمى .. فهى بالنسبة للاستعمار العالمى قاعدة متكاملة آمنة عسكريا .. ورأس جسر ثابت استراتيجيا ووكيل عام اقتصاديا أو عميل خاص احتكاريا . »

* * *

كل هذه الحقائق تنبه اليها الفكر الناصرى .. لذلك يقول عبد الناصر :

ان اسرائيل بالنسبة لنا مسألتين : الأولى العدوان الذى تم على حقوق شعب فلسطين ، وأرضه .

والثانية : هى تهديدها مباشر وخطرها التوسعى .. ولسنا فى حاجة الى اثبات ذلك ، فان أحداث ١٩٥٦ تتولى عنا كل الاثبات (١) . »

« وصلة الاستعمار باسرائيل لا تحتاج الى اجتهاد او استنتاج .. أمريكا وانجلترا .. أقاما اسرائيل ، وحميا اسرائيل »

(١) حديث لجريدة الاوبزيرفر ٥ يوليو ١٩٦٤ .

ويشرح عبد الناصر بعد ذلك ما تمثله اسرائيل كقاعدة للانقضاض على عمليات البناء فى العالم العربى ، وفى نفس الوقت بشرح قصتها كاملة منذ سنة ١٩٤٨ من الأحداث الواقعية ومن واقع كلمات زعماء اسرائيل أنفسهم ..

فاسرائيل كقاعدة استعمارية ، لا تقنع بأن تكون مجرد رأس جسر للاستعمار فى المنطقة على حد التعبير الذى أطلقه عبد الناصر عليها ، بل انها تسعى الى التوسع واحتلال أرض جديدة ، وما حدث فى يونيو ١٩٦٧ لم يكن نهاية أهداف اسرائيل التوسعية .. وهذا ما حاول عبد الناصر توضيحه خلال عام ١٩٧٠ بالذات فى خطابين طويلين أحدهما فى عيد العمال والاخر فى آخر **مؤتمر قومى حضره ، وقد يكون من المفيد فى هذه الدراسة** أن ننقل أجزاء كبيرة من خطابه فى عيد العمال بمدينة شبرا الخيمة حيث يشرح عبد الناصر قصة اسرائيل بما تمثله من عدوان منذ بداية التفكير فى انشائها حتى العدوان الأخير وتدبيرها لمؤامرة العدوان فى كل مرة لايقاف تيار التحرر وزحف البناء والتقدم .

ويشرح أيضا مساعدة الغرب وعلى رأسه أمريكا لها ، والمعاونات المتكررة التى تحصل عليها أمريكا بالذات **فيقول عبد الناصر :**

« المصنع وما يمثله من طاقة البناء هو ما نمثله نحن وما تمثلوه أنتم الشعب الطيب الذى عمل دائما من أجل السلام ومن أجل البناء .. والصواريخ والنابالم والقنابل الزمنية الموقوتة هو ما يمثله العدو ومن هم وراء العدو ، ومن يمدون العدو بأسلحة الدمار ، قنابل الدمار .. هذا هو موقفنا وذلك موقفه ..

« نحن نبنى طاقة الحياة والأمل والحرية والعدو يفجر القوى المدمرة للقتل والحريق والخراب .. هذه هى معركتنا مع عدونا ومع من هم وراء عدونا .

« هذه هى حقيقة الصراع بيننا وبين العدو وليس ذلك جديدا على صراع امتنا مع العدو .. ليس جديد طرأ بعد معارك ٥ يونيو

تحتل فلسطين . وكانت بريطانيا هى الدولة المنتدبة . وسعت بريطانيا وسعت امريكا . وسعت الدول الاستعمارية كلها الى الحصول على قرار من الامم المتحدة بتقسيم فلسطين وصدر القرار فى سنة ٤٧ . وفى سنة ١٩٤٨ وقبل ١٥ مايو قبل أن تخرج القوات البريطانية من فلسطين وقبل أن تنتهى مسئولية بريطانيا كدولة عينتها الامم المتحدة للانتداب على فلسطين قامت العصابات الاسرائيلية التى كانت مجهزة فى هذا الوقت بالسلاح والعتاد .. والتى كانت تحصن مستعمراتها تحت نظر الانجليز وبموافقة الانجليز قامت بالاعتداء على العرب وطردهم من منازلهم . بل اكثر من هذا قامت هذه العصابات الاسرائيلية بمهاجمة المدن التى كانت تدخل ضمن القطاع العربى فى مشروع التقسيم الذى اقرته الامم المتحدة .

« قبل ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ قامت العصابات الاسرائيلية بالهجوم على يافا وعلى عكا وعلى مناطق اخرى من المناطق التى كانت تدخل ضمن الجزء العربى بعد تقسيم فلسطين . وقامت بعمليات ارهاب كبيرة وذلك بمهاجمة المدن وبمهاجمة القرى التى يسكنها العرب بمدافع الهاون والمدافع الرشاشة حتى يثيروا الرعب والذعر فى نفوس الفلسطينيين فيتركوا بيوتهم وارضهم ويتركوا بلادهم . وقد خرج كثير من اهل فلسطين نتيجة هذه الغارات الوحشية التى كانت مخططة ومنظمة من قادة اسرائيل وزعماء اسرائيل واصبحوا بعد هذا لاجئين .. وفى هذه الايام وفى سنة ٤٨ أيضا هاجموا القدس واحتلوا اجزاء من القدس . ولم تكن القدس فى هذه الايام تدخل ضمن الجزء الذى قررته الامم المتحدة لاسرائيل .

« اذن من الذى بدأ الهجوم فى سنة ٤٨ ، لقد بدأت العصابات الاسرئيلية الهجوم على الشعب الفلسطينى وتدخلت الدول العربية لانقاذ الشعب الفلسطينى من عدوان العصابات الاسرائيلية ولكن اسرائيل اليوم تغالط العالم كله وتقول ان الدول العربية هى التى

بدأت العدوان سنة ١٩٤٨ .. وتقول أن الدول العربية التى طلبت من شعب فلسطين أن يترك فلسطين ويخرج ليكون شعبا من اللاجئين وتحاول بكل الوسائل وقد استطاعت بمساعدة قوى الاستعمار ومساعدة الصحافة التى تسيطر عليها الصهيونية العالمية وبمساعدة الصحافة التى تسيطر عليها الدول الاستعمارية أن تجعل جزءا كبيرا من الرأى العام العالمى يصدق ما تقوله اسرائيل .. استطاعت بأموالها ونفوذها وبكل وسيلة من وسائلها أن تفهم الناس بل تقنع الرأى العام العالمى أو جزء كبيرا منه ان اسرائيل كانت ضحية للعدوان العربى واستطاعت أن تمحو فى هذه الايام كل ما قامت به العصابات الاسرائيلية قبل ٤٨ وفى سنة ٤٨ ..

« وانا اقول هنا أيضا واذكر الجميع انه بعد الهدنة وبعد انتهاء الحرب احتلت اسرائيل منطقة ايلات وكانت فى هذا الوقت تسمى منطقة ام الرشراش بعد اتفاقية الهدنة سنة ٤٩ . هذا هو منطق العدو وهذا هو أسلوب العدو وفعلا وحقا لم تكن اسرائيل لتستطيع أن تفعل أى شىء من هذه الاشياء وما كانت تقدر أن تعمل اى عمل الا بالمساعدة الوثيقة والمساعدة الغير مشروطة من الولايات المتحدة الامريكية ومن حكام الولايات المتحدة الامريكية .

« بعد سنة ٤٩ وبعد اتفاقية الهدنة ماذا حدث .. كانت هناك لجنة من الامم المتحدة تسمى لجنة المصالحة تتكون من أمريكا وتركيا وفرنسا كأمناء وكانت هذه اللجنة موكول اليها تنفيذ قرارات الامم المتحدة التى صدرت فى سنة ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ ولكن هذه اللجنة اجتمعت مرة واحدة .. اجتمعت فى لوزان وحضرت اسرائيل وحضر العرب ولكن اسرائيل رفضت أمام هذه اللجنة ان تنفذ اى قرار من قرارات الامم المتحدة واستطاعت اسرائيل أن تنفذ كلمتها بانها انسحبت من الاجتماعات .. ومنذ هذا اليوم هذه اللجنة التى سميت لجنة التوفيق لم تجتمع أبدا .. ولو كانت الولايات المتحدة الامريكية التى تمثل العضو الاساسى فى هذه اللجنة تريد لحقوق شعب فلسطين التى نصت عليها قرارات الامم

المتحدة أن تنفذ لكانت هذه اللجنة قد اجتمعت مرات ومرات طوال العشرين عاما الماضية .

« ولكن أمريكا لم تكن تريد لحقوق شعب فلسطين ان تتحقق ولكنها كانت تريد دائما لاسرائيل أن تثبت وجودها وان تتوسع على حساب الامة العربية وعلى هذا لم تجتمع هذه اللجنة ابدا ولكنها موجودة فقط فى سجلات الامم المتحدة .

« وعلينا أن نتذكر أيضا ونحن نتكلم عن موقف العدو وعن أسلوب العدو وعن القوى التى تساند هذا العدو الذى يحاربنا ويحتل جزء من أراضينا ، يجب ان نتذكر كيف استطاعت اسرائيل أن تستولى على المناطق المنزوعة السلاح ، والتى تقرر أن تكون منزوعة السلاح فى اتفاقيات الهدنة سنة ٤٩ .. وافقت اسرائيل ووافقت الدول العربية على بعض مناطق منزوعة السلاح فى سنة ٤٩ وكانت هذه الاتفاقة بموافقة ووجود الأمم المتحدة .. ولكن بعد ٤٩ وحتى ١٩٥٥ استمرت اسرائيل تحتل هذه المناطق وتحولها من مناطق منزوعة السلاح الى مناطق بها قوات عسكرية من اجل تهديد الدول العربية المحيطة باسرائيل . واذا انتقلنا بعد هذا الى سنة ٥٦ تقول اسرائيل ويقول قادة اسرائيل اننا قمنا باستفزازات سنة ٦٧ حينما أغلقنا خليج العقبة فلنترك مؤقتا سنة ٦٧ ولنقف قليلا عند اعتمادات القوات المسلحة وكان همنا بعد قيام الثورة أن نبنى بلدنا وأن نحول بلدنا من بلد متأخر وبلد متخلف الى دولة متقدمة فى الصناعة وفى الزراعة كنا نريد ان نكرس كل شىء من أجل اعمال البناء وكنا نريد أن نوجد عملا لكل فرد من ابناء هذا الوطن وعلى هذا الاساس سرنا نعمل لنصفى الاستعمار البريطانى ولنبنى الوطن الحر العزيز الكريم الذى نريده ، ولكن فجأة فى سنة ١٩٥٥ فوجئنا بغارة اسرائيلية على مدينة غزة فى فبراير سنة ١٩٥٥ وكان الغرض من هذه الغارة أن تفرض علينا اسرائيل التسليم . وكان فرض هذه الغارة والغارات التى تلت هذه الغارة ، نفكر جميعا بعد سنة ٥٥ ومن أول فبراير سنة ١٩٥٥ بدأت الغارة على غزة ثم

استمرت الغارات الاسرائيلية على قطاع غزة وعلى القوات المصرية المرابطة على الحدود وكانت اسرائيل تعلن استراتيجيتها واضحة ولم تكن تنكر انها تريد أن تفرض التسوية التى تريدها .

« ومعنى فرض التسوية هو فرض الاستسلام أو فرض التسوية بالسلاح أى أن تفرض اسرائيل آراءها وما تريده على الأمة العربية جميعا .

« وبعد هذا أردنا أن نحصل على السلاح من بريطانيا وأردنا أن نحصل على السلاح من أمريكا ولكن لم ترض بريطانيا أن تبيعنا السلاح الذى أردناه ورفضت أمريكا رغم وعودها فى هذه الايام أن تمدنا بأى نوع من انواع السلاح الذى طلبناه . طلبنا دبابات أعداد قليلة ، وطلبنا طيارات أعداد قليلة ولكن لم نتمكن فى سنة ١٩٥٥ وكانت اسرائيل فى هذه الايام تحصل على السلاح أساسا من بريطانيا ومن فرنسا وكانت النتيجة الطبيعية لندافع عن نفسنا أن نعقد صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٥ وكان لابد لنا أن نقوى قواتنا المسلحة من أجل الدفاع عن بلادنا وكان من الواضح فى سنة ١٩٥٥ ان اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل يعملون على التخطيط وعلى الترتيب لكسر القوة العربية من أقوال زعماء اسرائيل ومن مذكرات زعماء اسرائيل التى نشرت بعد سنة ١٩٥٦ وبعد سنة ١٩٦٧ كانت اسرائيل تخطط دائما للحرب الوقائية وكانت خطة اسرائيل التى تمكنها من أن تحافظ على ارادتها . وقال ديان فى مذكراته بعد حرب ١٩٥٦ أنهم قرروا فى سنة ٥٥ أن يهاجمونا مهما كان الأمر ولكن كانت هناك مشاكل كثيرة وكانت هناك مشاكل صعبة وكانوا يريدون أن يعتمدوا على احدى الدول الكبرى حتى تساندهم وتمدهم بالسلاح حيث يقومون بشن الهجوم .

« وكانوا يبحثون من من الدول الكبرى تساعدهم وتساندهم .. وبدءوا مع فرنسا فى هذا الوقت .. وكانت فرنسا تشعر أنها لابد ان تقوم بعمل ضدنا فى مصر لان مصر فى هذه الايام كانت

تساعد الثورة الجزائرية وكان الاستعمار يلفظ انفاسه الاخيرة فى المنطقة واحس الاستعمار ان الوقت قد جاء لتخدمه الاداة التى كان قد صنعها لتخدمه اسرائيل .

« وفى سنة ١٩٥٦ كانت هناك احداث سياسية كبيرة كبيرة نريد ان نبنى .. نبنى السد العالى حتى نحصل على فائض من المياه لنزيد الرقعة المزروعة فى بلادنا .. كنا نريد أن نبنى السد العالى حتى نحصل على عشرة مليارات كيلووات ساعة من الكهرباء لنتمكن من تصنيع بلادنا ونحول هذا الوطن من بلد متخلف الى بلد متقدم .

« وقالت أمريكا وبريطانيا وكلنا نعلم فى هذه الأيام انهما على استعداد لتمويل مشروع السد العالى ولكن فجأة أعلنت أمريكا .. كما أعلنت بريطانيا .. كما أعلن البنك الدولى سحب تمويل السد العالى .

« وهنا بدأت الأحداث السياسية تتوالى فى سنة ٥٦ كان قرار تأميم قناة السويس من أجل تمويل بناء السد العالى ومن اجل تمويل بناء الصناعات .

« وبعد هذا أيها الاخوة بدأ التآمر .. بدأ التآمر سنة ١٩٥٦ بدأ التآمر .. انجلترا كان عندها ما يبرر العمل ضدنا .. انجلترا قد تقول وتبرر للعالم أنها تدخلت فى سنة ٥٦ قامت بالعدوان على مصر لأن مصر أممت قنال السويس .. وكانت لانجلترا مصالح كبيرة فى قنال السويس .. وكانت انجلترا تملك الجزء الاكبر من أسهم قنال السويس .

« وفرنسا دخلت .. وقد تقول فرنسا وتبرر انها دخلت الحرب واعتدت علينا فى سنة ١٩٥٦ بسبب مساندتنا لحرب التحرير الجزائرية .

« اما اسرائيل فبماذا تبرر دخولها الحرب سنة ١٩٥٦ .. لقد كشفت كل هذه القصص الان مافيش حاجة بقت سر .. كل حاجة مكتوبة دلوقت فى الكتب .. اتقال انه تم اجتماعات سرية بين

فرنسا وبين اسرائيل .. حضر هذه الاجتماعات بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل .. وحضر هذه الاجتماعات مندوب عن الحكومة البريطانية وان بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل طلب من فرنسا فى هذه الايام أن تعمل له مظلة جوية فوق اسرائيل اثناء العدوان الاسرائيلى على مصر ، وحتى تحمى اسرائيل من أى عمل مضاد من القوات الجوية المصرية .. وأن فرنسا تعهدت بأن تعطيه قوات جوية يدافع بها عن اسرائيل وتعطيه أيضا قطع بحرية ليدافع بها عن الشواطىء الاسرائيلية .

« دخلت اسرائيل .. دخول اسرائيل فى هذه الحرب .. ما الذى كان يبرره .. ليه دخلت اسرائيل هذه الحرب .. ايه اللى حصل سنة ٥٦ ؟

« لما دخلت اسرائيل الحرب أرسلنا الجيش الى سينا سنة ٥٦ لمواجهة العدوان ووقفت القوات الاسرائيلية على الحدود امام المقاومة فى أبو عجيلة والمناطق الاخرى .

« ولكن بعد ٣ أيام الحرب بدأ العدوان الانجليزى الفرنسى على بلادنا وبدأت الغارات الجوية .. قررنا سحب القوات من سيناء وسحبنا القوات من سيناء الى غرب قنال السويس حينما انسحبنا من سيناء لنواجه القوات الانجليزية والفرنسية التى بدأت العدوان علينا وحينما دخل الجيش الاسرائيلى الى سيناء هذه البقعة انطاعرة من أرض وطننا .

« كان اول ما فعله بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل فى ذلك الوقت هو اعلان ضم شبه جزيرة سيناء الى اسرائيل ولكن لم يتمكن بن جوريون أن يحافظ على هذا القرار لقد خرجوا وانسحبوا من الارض المحتلة واضطروا للخروج ولكنهم فى هذه الايام كشفوا عن نواياهم .. خرجوا لأن الحملة البريطانية الفرنسية عجزت عن قهر ارادة الشعب المصرى ولان الانذار السوفيتى خلق موقفا دوليا خطيرا ولان الولايات المتحدة الامريكية لم تكن قد استشيرت فى العملية ووجدت نفسها على غير استعداد أمام مسئوليات قد تكون وخيمة العواقب .

« خرجت اسرائيل .. وانسحبت اسرائيل فى سنة ١٩٥٧ ولكن اسرائيل وقادة اسرائيل من يومها كانوا يستعدون لمعركة اخرى .

« من اقوال زعماء اسرائيل وقادة اسرائيل ومذكرات اسرائيل المنشورة والتى صدرت بعد سنة ٦٧ قالت انهم كانوا يريدون هذه المعركة فى المدة ما بين ٦٦ و ٧٠ ليه ..

« كانوا يريدون هذه المعركة قبل ان تستكمل مصر بناء قواتها المسلحة .. قبل ان تدخل مصر فى مرحلة الانطلاق .. قبل ان يتم بناء السد العالى .. قبل ان تتم خطط التصنيع .. قبل أن تتم خطط تطوير الصناعة واستصلاح الاراضى الجديدة .

« كانت اسرائيل تريد المعركة قبل أن تكون قد اتممنا ما نريد من أجل تقوية بنائنا الداخلى وبنائنا الصناعى وبنائنا العسكرى .

« وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول ان ٥ يونيو والهجوم الاسرائيلى فى ٥ يونيو ٦٧ كان مؤامرة مرتبة لم تكن المسألة مسألة خليج العقبة .. ولكن كان الهدف الاصلى الاساسى هو الهدف الذى لا يصنعه للعدو ولا يحققه له الا القتل والخراب .. الا الصواريخ والنابالم والقنابل الموقوتة تحملها طائرات الفانتوم الامريكية ..

« قبل ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ استطاعت اسرائيل أن تحصل من الولايات المتحدة الامريكية على كل المعدات اللازمة للحرب الالكترونية كل المعدات التى استطاعت الولايات المتحدة الامريكية أن تنتجها استطاعت اسرائيل ان تحصل عليها وأن تبقى هذا سرا لا يعرفه أحد ..

« وكان من الواضح لن هذه الأسرار التى تشملها الحرب الالكترونية وهى أساليب جديدة فى الحرب لا تعرفها الكثير من الدول عدد قليل قوى من الدول .. دولتين أو ثلاثة بس تستطيع أن تلم بأسرار معدات الحرب الالكترونية ».

« واستطاعت اسرائيل أن تحصل من أمريكا قبل ٥ يونيو على كل معدات الحرب الالكترونية التى تساعدها لا فى الدفاع فقط ولكن فى الهجوم على الدول العربية .

« اذن ٥ يونيو كان مؤامرة مرتبة وكانت اسرائيل فى هذا تسنعين بالأسلحة من الدول الغربية وتستعين بالمعدات الالكترونية من امريكا .. والوقائع بين ١٤ مايو سنة ٦٧ و ٨ يونيو ٦٧ قد تختلف فيها التفسيرت وقد تختلف فيها الاجتهادات .. ولكن ما حدث بعد ٨ يونيو سنة ٦٧ يكشف حقيقة النوايا الاسرائيلية ويبين بحقيقة ساطعة يبين بالصدق ولا يبين بالاجتهادات أو التفسيرات ».

وبهذا ينتهى عبد الناصر من توضيح فكره كاملا بالنسبة لاسرائيل وأسباب العدوان الأخير الذى قامت به اسرائيل على البلاد العربية ، واستطاعت بمعاونة قوى الاستعمار والامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أن تستولى بالقوة على أراض عربية فى مصر وسوريا الى جانب الجزء الباقى من فلسطين ..

وكان موقف عبد الناصر بالنسبة لهذا الأمر واضحا ، فنحن لا نترك بابا للسلام الا طرقناه ، ونحن لا نريد الحرب ولكن الحرب قريبة منا .. ولعل الكلمات القليلة التى أطلقها عبد الناصر فى عام ١٩٦٧ وبعد العدوان مباشرة تلخص كل موقفه بالنسبة لهذه القضية ، فهو يبلور القضية فى **« أن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة »** ويعلن أن ذلك ايمانه ، وقضيته ، وأنه حق وعدل أن تسترد الأرض المحتلة ، وان الحق والعدل لن يتحققا فى هذا العالم ما لم تدعمهما القوة ..

كان نضال عبد الناصر من أجل الحرية منذ بداية ثورته فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يؤكد هذه الكلمات التى أعلنها بعد الهزيمة العسكرية مباشرة ، والتى كررها لآخر مرة فى آخر خطاب القاه أمام المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ .

حتى تحقق الحرية السياسية

استخلص عبد الناصر من خلال مسيرة الثورة عدة أسس ظل يسير الفكر الناصرى عليها ينميها ، ويدعمها ، وكانت الممارسة تكشف صدقها وواقعيتها ، ويمكن أن تتحدد هذه الأسس التى تشكل موقف الناصرية من الاستعمار بأنواعه .. وتحدد أيضا موقفها بالنسبة للسياسة الخارجية عموما التى هى « انعكاس صادق وأمين للسياسة الداخلية » فى عدة مبادىء هى :

■■ **ان الاستعمار هو العدو الأول للشعوب** ، وانه يمارس ضغوطه السياسية والاقتصادية والاجتماعية عليها مستعينا بنفر من أعوانه ، يحكمون ، ويسيطرون على الاقتصاد ، على السياسة .

والشعوب التى تريد أن تتحرر عليها أن تحارب الاستعمار وأعوان الاستعمار الذين يستمدون نفوذهم من وجوده ، ويكونون خطرا على الشعب الذى يريد أن يتحرر لأنهم عادة يكونون الفئة المسيطرة على كل مقدرات البلاد ، ويعتمدون فى استمرار سيطرتهم على استمرار نفوذ الاستعمار ، وهم قادرون على خداع الشعوب ، وتمويه الحقائق وتزييفها حتى لا يعرف الشعب حقيقتهم ويكشفهم ويلفظهم ..

لقد كان قرار عبد الناصر الأول هو تجريد الاقطاع من سلاحه ، وهو الأرض التى يملكها .. ليس فقط لأن هذا القرار ينصف الفلاح ، ويحقق نوعا من العدالة الاجتماعية ، ويقضى على الاقطاع ، وهى المبادىء التى رفعتها الثورة كبرنامج منذ يومها الأول . فلم يكن الغرض من قانون الاصلاح الزراعى الأول هو تحقيق أهداف

الثورة وتنفيذ مبادئها فقط ، بل أن البدء به أولا وقبل المواجهة الصريحة للاستعمار كان يعنى أن على الثورة بمثل ما واجهت الملك وطردته ، وبمثل ما أبعدت عن الحياة السياسية الذين أفسدوها فان عليها أن تواجه أعوان الاستعمار قبل الاستعمار ذاته ، وتجردهم من ملكياتهم الزراعية الواسعة التى تمثل نفوذا كبيرا ، وأداة رئيسية للسيطرة على الريف حيث تعيش الغالبية العظمى من افراد الشعب المصرى ..

ونظرة الى تاريخ الملكية الزراعية فى مصر طوال السنوات السابقة على الثورة يعطينا ابرز دليل على التلازم بين الاقطاع ، وبين الاستعمار (١) .

والعائلات التى طبق عليها قانون الاصلاح الزراعى الأول الذى يحدد ملكيتها بمائتى فدان ، هى فى معظمها العائلات التى تعاونت مع الاستعمار ، أو حصلت على الأرض منه أو عن طريقه .

ويكفى ما قاله عنهم الجنرال « اللنبى » ونقله « ويفل » فى كتابه **« انه من الممكن أن يجلو الانجليز عن مصر ، وهم مطمئنون الى أنهم خلقوا طبقة من الكبراء يمكن لانجلترا أن تستأمنهم على سياستها فى هذه البلاد فهم فى نظر الانجليز درع يدافع عن سياستهم كما يدافع عنها الأسطول البريطانى »** .

فقانون الاصلاح الزراعى الأول — وان كان يعتبر خطوة اصلاحية ، وطريقا لتحقيق بعض من الاهداف التى قامت من اجلها الثورة . وتنفيذا لمبادئها ، الا أن اصدار هذا القانون بهذه السرعة ، وفى الأيام الأولى للثورة ، يعنى ، أنه بالاضافة الى ذلك خطوة أساسية نحو القضاء على الاستعمار مبتدئا بالقضاء على نفوذه ، وعلى أعوانه من الاقطاعيين .

« وبعد النصر الثورى العظيم صباح ٢٣ يوليو ، وفى طريق

---

(١) انظر قصة الملكية الزراعية فى مصر فى الفصل الخاص بالملكية من هذا الكتاب .

الشعب الى التقدم الثورى داست الجموع المنتصرة بأقدامها بقايا العهد الملكى الدخيل . ودكت حصون الاقطاع ، واجتثت جذور الرجعية » .

« لقد كانت تلك كلها هى الركائز التى يثبت الاستعمار عليها وجوده فوق أرضنا ، وبانقضاض شعبنا عليها وتدميرها فان الوجود الاستعمارى فقد حلقات اتصاله بأرض الوطن الطاهرة ومن ثم كانت الخطوة الباقية هى ارغام قواته على الرحيل وراء البحر بعد ان طوت أعلامها وابتلعت كبرياءها » (١)

■■ **ان الخطر الحقيقى الذى يواجه الشعوب المحتلة بقوات الاستعمار** ، أو تخضع لنفوذه السياسى أو الاقتصادى ، هو **خطر الاستعمار نفسه** .. ويمتد هذا الخطر ليكون أيضا خطر الكتلة المتحالفة معه والمرتبطة به .

ولكن الاستعمار يخفى هذه الحقيقة عن الشعوب ويوقعهم تحت وهم الخوف من أخطار تهددهم ، وبالذات من الخطر الشيوعى الذى يصوره الاستعمار بانه شبح يخيف به الشعوب التى تريد الحرية ..

أخطار بعيدة عنهم . ولا وجود لها .. وهو بخلقه هذه الحالة ، يحاول خداع الشعوب ، واخفاء حقيقة مطامعه وآماله .. ليبدو فى صورة الحمل البرىء الذى يعمل على انقاذ الشعوب من أوهام يجسدها الى حد التلويح بشبح الحرب العالمية التى توشك على الوقوع .

والشعوب فى تطلعها نحو حريتها ، ونضالها من أجل الحصول عليها ، فانها ينبغى أن تعى جيدا ، أن أشد ما يهددها هو الاستعمار الجاثم على أرض بلادها ، والا تخشى خطرا « **ليس لها تجربة مريرة معه مثل الاستعمار الغربى** » وتقدم من أجل ذلك تنازلات ، تجرها الى أن تظل محكومة بالاستعمار ، فى عزلة عن الكتلة الشرقية اما خوفا منها بتأثير الدعايات الاستعمارية المضادة .. التى ظلت

١ ـ الميثاق .

تلح بحربها النفسية ضد هذه الكتلة ، وتغرس مفاهيم خاطئة عنها .. او حتى خوفا من الاستعمار المتربص الذى يشك فى كل اتصالات ، وفى كل لقاء مع دول لا ترتبط مصالحها بمصالحه ، او حتى مع الدول التى ترتبط به ، ما لم يكن هذا الاتصال عن طريقه وبموافقته .

وفى نفس الوقت فانه يسعى بالوقيعة بين هذه الشعوب الصغيرة المضطهدة والتى تتطلع الى التحرر ، والاستقلال .. وبين الكتلة الشرقية .. كما يسعى بالوقيعة بينها وبين جيرانها .. حتى ولو كانوا يرتبطون به .. فهدفه ، وغاياته أن ينفرد بكل دولة على حدة ، لكى تنسى الشعوب الخطر الحقيقى الذى يواجهها ، وهو خطر الاستعمار نفسه ..

■■ **الاستعمار اذا خرج من الباب ، فانه يحاول دائما أن يعود من الشباك ..**

يحاول أن يعود اما بواسطة أعوانه الذين يتآمرون ـ من الداخل ـ سعيا الى اعادته ليستردوا نفوذهم وسطوتهم أو يعود فى صورة شركات ومشروعات تعطى عائدها ليس للوطن ، ولكن لأصحابها من المستعمرين ، وتعمل على امتصاص خيرات البلاد لحساب هذه الشركات ، انه يلجأ عادة لهذه الوسائل بعد أن يفشل فى الغزو من الداخل والخارج وبعد أن يستنفد محاولاته لربط الشعوب التى أرغمته على الخروج منها ... بأحلاف معه ..

والدول الصغيرة عندما تدخل فى أحلاف مع دول كبرى ، فانها بذلك توقع صك تبعيتها ، فالدول الكبرى هى التى ستقرر ، وهى التى سترسم وتخطط ، ولا رأى للشعوب الصغيرة سوى أن تجر الى معارك ترفضها مصالحها، وربط الشعوب بالأحلاف الاستعمارية يعنى تمزيق وحدتها ، وغرس قواعد فى قلبها تضرب منها القوى التحررية فى الداخل ، وتستخدمها ضد الشعوب الأخرى التى تريد أن تتحرر ..

« ولقد كانت الأحلاف فى هذه المنطقة بالنسبة لنا هى الباب الذى حاولوا أن يفرضوا علينا السير فيه ، وأن ندخل منه الى مناطق النفوذ ، ولكننا رفضنا .. ولنأخذ مثلا لذلك ما قاله ايدن فى ابريل ١٩٥٥ فى مجلس العموم البريطانى ، لقد قال : اننا متأكدون الآن بعد عقد حلف بغداد ، أن لنا صوتا قويا فى الشرق الأوسط .. وكانت هذه فى مفهومنا فكرة خاطئة ، ولقد قلت لمستر ايدن عندما قابلته .. انه سيكون حلفا يعتمد على الرجعية ولكنه سيعتبر فى نظر جميع شعوب المنطقة نوعا جديدا من السيطرة ، نوعا جديدا من الاستعمار ، وأن جميع ابناء الشعب العربى سيكافحون للقضاء على هذا النوع الجديد من الاستعمار والسيطرة (١) » .

الأحلاف هى سجن كبير يحيل الشعوب الى ادوات فى يد الغرب ومع ذلك فهى الصيغة الاستعمارية التى تتلاءم مع روح العصر ، اذ تحقق أهداف السيطرة ، والتحكم بوسائل تبدو فى مظهرها بالنسبة للشعوب أقل حساسية اذا قيست بالاستعمار القديم الذى يعتمد على القوات العسكرية فى احتلال الأرض .. ولكن هذه الصيغة فى نفس الوقت اكثر فاعلية بالنسبة للاستعمار ..

■■ **يعمد الاستعمار الى خلق كيانات دخيلة فى مناطق متفرقة من العالم** ، تكون عونا له ، وصونا لمصالحه ، ومدافعة عن مشروعاته ، وتسند أهدافه التوسعية ، فضلا عن هدفها الأكبر وهو وجودها كقواعد دائمة وركائز متينة للاستعمار .

« خطر القواعد العسكرية ما زال قائما ، ومائلا ، اقربها .. القاعدة العدوانية الرئيسية لتهديد العالم العربى كله .. اسرائيل (٢) »

(١) ٢١ مارس ١٩٦٠ فى حديث مع الصحفيين الامريكيين .
(٢) ٢٧ ابريل ١٩٦٥ فى حفل تكريم الرئيس تيتو .

« **واللى بيحصل النهارده فى فلسطين ، هو نفس اللى بيحصل فى جنوب افريقيا ، هو نفس اللى بيحصل فى مناطق افريقية ، يريد المستوطنون انهم يستولوا على كل شىء .. ثم يتخلصوا من المواطنين الأصليين الافريقيين بالقتل . اسرائيل قاعدة الاستعمار ، أوجدها الاستعمار فى هذه المنطقة لتكون دائما ركيزة له ..** » (١)

■■ **لم تعد صيغة الاستعمار المعروفة والتقليدية بالجيوش التى تغزو وتحتل** هى الصورة الشائعة للاستعمار « فان الهزيمة المريرة التى منى بها الاستعمار فى السويس أنهت عصر المغامرات المسلحة بالنسبة لكل شعوب العالم .. ولكن الاستعمار ما زال متمسكا بأهدافه ، وان كان قد غير أسلوبه » (٢)

لقد بدأ يتنكر .. ويتخفى ، بعد أن غير مكانه ، ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب مباشرة ، واصبح مخبؤه **الطبيعى بحكم** الظروف داخل قصور الرجعية ..

فالاستعمار بأسلوبه الجديد يعطى استقلالا نظريا للدولة المستعمرة ، ويصنع لها برنامجا ، وبرلمانا ، وحكومة ، ولكنه يفرض عليها الحماية .. ويحولها الى سوق لمنتجاته ، ويمنع عنها منتجات الدول المنافسة له أو ينقل خامتها اليه .

وهو مستعد فى سبيل ذلك الى أن « يمول » الدولة واجهزتها .. ويستخدم راس المال الأجنبى ، لتوسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة . وهو أيضا يسعى لتصدير الفكر ، والحياة ، والاقتصاد الراسمالى وتفتيت البلاد المستعمرة الى دويلات متناحرة ، منقسمة مختلفة .. ذلك ان الشكل العسكرى للاستعمار أصبح قرصنة يرفضها ضمير العالم ، ومنظماته ، ولكن ضمير العالم الحر لم يرفض بعد أساليب الاستعمار الجديد لأنها تتم مستترة

(١) ٢٢ يوليو ١٩٦٤ « الميثاق »

وراء شعارات عديدة ، هى رفع مستوى الدول ، أو ملء الفراغ بها ، أو المعونات الاقتصادية ، التى تصاحبها سيطرة .

ومن الأسس الهامة فى الفكر الناصرى انه يحارب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ، ويكشف عنه جميع أقنعته ويحاربه فى جميع أوكاره . ولكنه يرى أن رأس المال الأجنبى تحيط به فى نظر الدول المتخلفة خصوصا تلك التى كانت مستعمرات فيما مضى ، سحب من الشكوك والريب المظلمة (١) .

« ولكن سيادة الشعب على أرضه واستعادته لمقدرات أموره تمكنه من أن يضع الحدود التى يستطيع فى ظلالها أن يسمح لرأس المال الاجنبى بالعمل فى بلاده .

« ان الأمر يتطلب وضع أولويات هى فى الواقع خلاصة التجربة الوطنية كما أنها تأخذ فى الاعتبار طبيعة رأس المال العالمى الذى يفضل دائما أن يجرى وراء الموارد الخام البكر فى مناطق لم تنهها للنهوض الاقتصادى والاجتماعى حيث يستطيع فى ظروفها ان يحصل على أعلى نسبة من الفائدة ..

« ومن هنا فان التطوير الوطنى ـ فى الدرجة الأولى ـ يقبل كل المعونات الأجنبية غير المشروطة التى تساعده على تحقيق أهدافه ، يقبلها بكل العرفان الصادق لمقدميها مهما كانت ألوان أعلامهم » .

« وفى الدرجة الثانية فان التطوير الوطنى يقبل كل القروض غير المشروطة التى يستطيع أن يفى بها دون عنت أو ارهاق والقروض التجارية طريقة واضحة فى حدودها فان مشكلتها تنتهى تماما بعد سدادها وبعد سداد الفوائد المستحقة عليها .. »

« والتطوير الوطنى فى الدرجة الثالثة ـ مستعد لقبول اشتراك رأس المال الأجنبى فى أوجه نشاطه الوطنى كمستثمر على أن يكون

(١) الميثاق

ذلك فى العمليات الضرورية خصوصا تلك التى تقتضى خبرات جديدة يصعب توفرها فى المجال الوطنى » .

« ان قبول استثمارات أجنبية معناه القبول باشتراك أجنبى فى ادارتها ، ومعناه القبول بتحويل جزء من أرباحها سنويا الى غير حد الى المستثمرين ، وذلك أمر يجب الا يترك على اطلاقه » .

« ان الأولوية الأولى للمعونات غير المشروطة » .

« والمكانة الثانية للقروض غير المشروطة » .

« ثم يأتى دور القبول بالاستثمارات الاجنبية فى الأحوال التى لا مفر فيها من قبولها ، وفى النواحى التى تتطلب خبرات عالمية فى مجالات التطوير الحديثة » .

« ان شعبنا فى نظرته الثورية الواعية يعتبر أن المساعدات الاجنبية واجب على الدول السابقة فى التقدم نحو تلك التى ما زالت تناضل للوصول » .

« بل ان شعبنا فى ادراكه لعبرة التاريخ يرى أن الدول ذات الماضى الاستعمارى ملزمة أكثر بأن تقدم للدول المتطلعة الى النمو بعض ما نزحته من ثروتها الوطنية أيام كانت هذه الثروة نهبا مباحا للطامعين » .

« ان تقديم المساعدات واجب اختيارى على الدول المتقدمة »

« وهو أقرب ما يكون الى الضريبة الواجبة السداد على الدول ذات الماضى الاستعمارى تعوض فيه الذين استغلتهم عن طول استغلالها لهم » (١)

« فعصور القرصنة الاستعمارية التى جرى فيها نهب ثروات الشعوب لصالح غيرها بلا وازع من القانون أو الأخلاق قد انقضى

(١) الميثاق

عهدها وينبغى القضاء على ما تبقى من ذكريات لها . ما زالت فيها بقية من الحياة » ..

■■ **ان الاستعمار لا يترك الأرض التى يحتلها الا مرغما ،** وبقوة السلاح ، فاصرار الشعوب اذا لم تسنده القوة وان كان يؤرق الاستعمار ولكنه لا يجعله يتخلى عن الارض التى يحتلها .

« فالاستعمار لن يرحل عن أجزاء ما زال يحتلها من قارتنا الافريقية لمجرد أننا نصرخ فى وجهه وأن استمرار وجوده اهانة لنا » .

« لقد صرخنا فى وجه الاستعمار فى بلادنا ٧٠ سنة آملين أن منطق التفاوض سوف يقنعه بالرحيل ، وقد اضطررنا فى النهاية الى حمل السلاح » (١) .

وتجربة الناصرية مع الاستعمار أنها فاوضته ، وهى تعبىء الشعب ، وتدربه ، وكتائب المقاومة المسلحة تخوض معاركها ضد بقايا القوات المستعمرة فى منطقة القناة ..

وازاء اصرار الجماهير ، وكفاحها المسلح ، وقيادتها الثورية التى لا ترتبط بالاستعمار والتى ترفض انصاف الحلول ، وتصر على الاستقلال ، اضطر الانجليز الى الجلاء ، ولكنهم بعد فترة قليلة عادوا مرة ثانية يحاولون أن يفرضوا بالقوة احتلالا جديدا .. فالاستعمار لا يستسلم بسهولة ، بل يقاوم مقاومة عنيفة ويستخدم كل الطرق ابتداء من الحرب المسلحة حتى حرب التجويع ..

فشعبنا « بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بارغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين فى عام واحد هو عام ١٩٥٦ الفاصل فى نضالنا الوطنى » .

---

(١) ٤ مايو ١٩٦٣ فى الجزائر .

■■ **ان مرحلة القضاء على الاستعمار والاستقلال الوطنى** تحتاج الى جميع جهود افراد الشعب جميعا ، ليدافعوا عن الأرض التى تظلهم ، ويعيشون عليها .. فبعد ان يستبعد الشعب أعوان الاستعمار واذنابه ، فان على جميع قوى الشعب أن تتحد ، وتتناسى ما بينها من تناقضات تبدو فى واقع الأمر تناقضات ثانوية ، الى جانب التناقض الكبير بينها وبين الاستعمار ، على ان قوى الثورة تختلف بعد ذلك عندما تتخذ الثورة خطوات أبعد ، وتتجه نحو الثورة الاجتماعية . فان القوى المؤيدة لها تختلف ، كما أن حجم التناقضات بين أفراد الشعب يختلف ايضا باختلاف الظروف الاجتماعية ، وباختلاف كل مرحلة .

■■ **ان ارادة الشعوب واصرارها أقوى من الاستعمار**

« فالتجارب تؤكد كل يوم امامنا عبرة التطور الانسانى ، قوة الانسان .. الانسان أقوى من الجيوش .. الايمان أقوى من الطغيان .. الحق أقوى من الباطل .. العدل أقوى من الظلم .. الثورة اقوى من الجلادين » (١)

« ان كفاح الشعوب لا يتوقف عند غاية ولا يستقر عند نهاية .. انه طريق بعيد المدى .. مداه مدى الحياة نفسها .. كلما بلغ منه الشعب مرحلة لاحت أمامه فى المنى مراحل » .

« ان الشعوب الحية لا تتهاون بعد النصر ولا تتراخى .. انها فى ذروة شعورها بالقوة تدرك أن النصر الذى حققته انما هو مرحلة على الطريق وليس هو بحال من الأحوال خاتمة المطاف (٢) » .

■■ **سياسة التفرقة العنصرية هى استمرار وتأكيد لسياسة استغلال الانسان للانسان .**

---

(١) عيد الثورة ١٩٦٤ .
(٢) ١٨ يونيو ١٩٥٦ .

« والواقع أن منطق التمييز العنصرى هو ذاته منطق الاستعمار فليست التفرقة بين البشر فى اللون الا تفرقة بينهم فى الحقوق ، وما من شك فى تقديرنا أن نفس اليوم الذى سيشهد نهاية الاستعمار ، وسوف يشهد فى الوقت ذاته نهاية التفرقة العنصرية »

■■ **الاستعمار الجديد يحاول أن يحقق نفس أهداف الاستعمار القديم** ، ولكن بوسائل تبدو فى مظهرها أكثر مسايرة للعصر ..

منها الاحلاف العسكرية واستغلال المعونات والتجارة والتكتلات الاقتصادية والاحتكارية هى وسائل للضغط على الشعوب والسيطرة على مواردها واستنزافها ففى الدول المستقلة حديثا يحاول الاستعمار « تحت أعلام الاستقلال الملونة التى ارتفعت فوق عدد من البلدان أن يسلب الحرية مضمونها الحقيقى وان يجعل من الاستقلال الوليد مجرد مظهر وشكل خارجى لا يعكس أى حقيقة ، أصيلة » .

الاستعمار ليس فقط ، الاحتلال العسكرى .. وليس فقط الارتباط بأحلاف .. وليس .. السيطرة الاقتصادية فقط .. انه يضم كل ذلك .. وما هو أكثر .

فتحت عنوان الاستعمار نضع فروعا كثيرة : « نضع سياسات القمع المسلح كما نرى فى المستعمرات البرتغالية .. وفى الجنوب العربى المحتل وفى عدن وعمان » .

« نضع سياسة الأحلاف والقواعد العسكرية كما نرى فى معظم قارات العالم »

« نضع سياسات الاستيلاء على ارض الشعوب وطردها بالقوة وبتأييد الاستعمار كما نرى فى فلسطين » .

« وينبغى أن تترك للشعوب فرصة اعادة صنع حياتها من جديد على أساس من التجربة والخطأ باعتبار ان ذلك هو الطريق الوحيد والمأمون لبلوغ التقدم » .

« **نضع سياسة التمييز والتفرقة العنصرية** ، كما ترى فى جنوب افريقية .. ان أكثر الوسائل وأحدثها امعانا فى التخفى والتستر ، لم تعد قادرة على أن ترغم الشعوب على الرضا بالسيطرة الأجنبية ، سياسية كانت أو عسكرية أو اقتصادية أو ثقافية » (١) .

« اننا نشهد ظواهر خطيرة من حولنا تتفاقم بغير علاج » .

« ان الحروب الصغيرة تشتعل فى أكثر من مكان فى آسيا ، وافريقيا ، وأمريكا اللاتينية » .

« وانقلابات الداخل الموجهة والمدبرة من جانب الاجهزة الخفية للقوى الكبرى تتكرر أمامنا كل يوم » .

« ومحاولات التسلل بالأدوات الاستعمارية يجرى التمهيد لها على قدم وساق ، بل ونجد كيانات لها شكل الدول وهى فى حقيقتها مجرد قناع ، وستار » .

« وتجارة الجنود المرتزقة الأجانب تمارس الآن بغير شرف ، وبغير خجل ، وفى ظروف يمكن أن تنجم عنها أوخم العواقب » .

« ومحاولات التأثير النفسية على الشعوب ، تملأ أجواء قارات العالم بشكل سافر ، وعلنى ، ينشر بذور القلاقل فوق ارض الوطن » (٢) .

« ان الاستعمار بجميع أشكاله وأنواعه ، القديم والحديث ، الظاهر والخفى ، يجب أن يزول .. ان الاستعمار كما نفهمه .. وباعتباره سيطرة بلد على آخر ، واستغلاله بارهاب القوة ، أو بالمعاهدات والامتيازات التى لا تستطيع أن تعيش بغير الارهاب ،

---

(١) مؤتمر عدم الانحياز ١٥ اكتوبر ١٩٦٤

(٢) الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الدول غير المنحازة سبتمبر ١٩٦٤

أصبح مهينا لعصرنا ومسببا لانفجارات خطيرة ، لا يمكن وقفها أو تقليل تأثيرها بأية عمليات صناعية لا تقتلع الشر من جذوره » .

■■ ان الشعوب النامية والحديثة الاستقلال يجب أن تتوقع خطر الاستعمار فى أى وقت ، وأن تكون مستعدة له .

« فاننا يجب أن نتوقع الخطر الاستعمارى ، فهو بينما يسعى فى بعض المواقع ، بالتستر وراء أشكال وألوان وأساليب جديدة الى التسلل تحت رايات الاستقلال التى ارتفعت على البعض من بلداننا ، محاولا أن يجعل منها مجرد شارات ملونة تحمل شعار الاستقلال دون مضمونه بينما الحكم له والتصرف له والكسب له من دون الشعوب المغلوبة على أمرها .

« هذا سلوكه فى بعض المواقع بينما نجده فى مواقع أخرى قد كشف عن حقيقة سافرة وكشف من ورائه عن عملائه وأعوانه الذين يختفون وراء وجوههم التى هى منا ـ صلة بالاستعمار تعدم صلتهم بنا ، وانطلق الاستعمار معتمدا عليهم يظهر ضراوته وشراسته وطبيعته الغادرة ومعاداته لكل القيم الانسانية التى عملت من أجلها الأجيال .

« ان روح الشهيد لومومبا التى تظلل مؤتمركم هذا . مع أرواح الشهداء الأبطال العديدين الذين ذبحهم الاستعمار ارضاء لشهواته ومطامعه فى افريقية وآسيا كل هذه الأرواح لكل منها قصة كفاح خالدة تكشف لكم بما لا يقبل الشك والجدل أين يكمن الاستعمار وأين يكمن أعوانه وكيف تعمل الاعيبه وخططه على الايقاع بيننا وبذر بذور الشقاق والفتنة حتى يرتفع سلاح الأخ فى وجه أخيه وينشغل بالمعارك الفرعية عن المستعمر الدخيل الذى يسعى بكافة الطرق والوسائل لاستنزاف مواردنا والتغلغل فى اقتصادياتنا والسيطرة على امكانياتنا واخضاعها لارادته .

« ولقد سلك الاستعمار فى سبيل ذلك كل الوسائل الخبيثة والخبيثة ، فهو لم يكتف بأن يكون له عملاء يتسترون بالوجوه الوطنية ليكونوا أكثر فاعلية فى خدمته وانما أقام لنفسه بين الدول دولة عميلة تتكلم باسمه وتسير على نهجه ، وتكون رأس جسر لأغراضه وحربة فى قلب قارتنا تسعى بما تقدمه فى البداية من قروض واستثمارات لتسيطر على اقتصادياتها وتربطها بالاحتكارات الاستعمارية ، لتنفذ من ذلك الى السيطرة على سياستها بنفس الأسلوب الذى كانت تسلكه شركات الاحتكار فى بداية عهد بلادنا بالاستعمار .

« ولكننا أيها الاخوة لن نسمح بأن يعيد التاريخ نفسه . ولن نكون من السذاجة لكى ينفذ السهم فينا مرتين . ان عيننا مفتوحة وأذهاننا واعية لطبائع الاستعمار وأغراضه وخططه وأهدافه ، وسنستجمع ارادتنا من المحيط الهادى الى المحيط الأطلسى لنقف فى صراحة وفى عنف وفى وضوح فى مواجهة الاستغلال والتفرقة العنصرية والتدخل الخارجى أيا كان مصدره والاستعمار بكافة صوره وألوانه .

« ان معركتنا مع الاستعمار عاجلة ولن ننتصر عليه الا بتضامننا ، وعلينا أن نفرغ منه لنتفرغ الى معركة البناء فنزيح عن أرضنا كل ما زرعه الاستعمار على فكرنا من أكاذيب ومفاهيم فاسدة لنلحق بركب الحضارة ولنقوى بدورنا فى خدمة الانسانية وإثراء التراث الحضارى بثقافتنا الأصيلة » (١) .

■■ ان أمريكا تقود الثورة المضادة فى العالم ، باعتبارها زعيمة العالم الرأسمالى ، كما انها قائدة الاستعمار الجديد .

« أعداؤنا هم أعداء التحرر فى أى مكان ، هم دعاة الثورة المضادة ضد كل تطلع للحرية ، للتقدم ، للرخاء فى أمتنا ، **بل فى العالم الثالث كله** ، يريدون أن يحكموا قيد التخلف على بلدانه ، ليفرضوا

(١) فى اكرا ١٤ مايو ١٩٦٥ .

عليها سيطرتهم ولينهبوا منها ثرواتها ، وليجعلوها سوقا تعيش على استهلاك مبيعاتهم ، ولقد آن لنا أن نواجه الحقيقة ، فنكشف قيادة هذه الثورة المضادة ، وقيادة هذا التآمر ، نكشف دور الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تضع الخطط للتآمر ، وتموله ، وتشترى العملاء لتنفيذ مخططها .

« ان الولايات المتحدة الأمريكية ، تسعى لوراثة الاستعمار البريطانى المنهار فى منطقتنا ، وهى التى غرست اسرائيل فوق أرضنا ، وتساند الرجعية ، وتفرض علينا التخلف ، وتضع العراقيل أمام تقدمنا ، وأمام رفاهيتنا .

« **ان أمريكا هى قيادة الثورة المضادة ، أما أعداؤنا الآخرون** فما هم الا توابع لها يسيرون فى فلكها ويستهدون بخطاها ، وهم ضعاف بدونها ، مسلوبو الحول والقوة بدون قيادتها » (١) .

« ان بريطانيا لا تستطيع ان تبقى ساعة على الأرض العربية بدون المساندة الأمريكية ، واسرائيل لا تستطيع أن تعيش يوما بدون المعونات الأمريكية لها اقتصادية وعسكرية .

« وباقى العملاء لا يستطيعون مواجهة شعوبهم اذا ما تخلت الحماية الأمريكية المسبوغة عليهم .

« الخطة الأمريكانى بالنسبة لنا مبنية على نقطتين : الضغط الاقتصادى والضغط النفسى ، والدعاية ضدنا فى البلاد العربية » (٢)

« ٥ يونيو كان مؤامرة مرتبة ، وكانت اسرائيل فى هذا تستعين بالأسلحة من الدول الغربية ، وتستعين بالمعدات الالكترونية من أمريكا . والواقع بين ١٤ مايو ٦٧ و ٨ يونيو سنة ٦٧ تختلف فيها

(١) ١٥ مايو ١٩٦٧ المؤتمر الفلسطينى بلندن

(٢) لاعضاء مجلس الامة ١٩ مايو ١٩٦٧

التفسيرات .. وقد تختلف فيها الاجتهادات .. ولكن ما حدث بعد ٨ يونيو ٦٧ يكشف حقيقة النوايا الاسرائيلية ، ويبين فى حقيقة قاطعة .. يبين بالصدق ولا يبين بالاجتهادات والتفسيرات .. بعد ٨ يونيو ، كان هناك قرار الأمم المتحدة فى مجلس الأمن بوقف القتال والانسحاب . وتقدمت الدول الصديقة .. الدول الآسيوية الافريقية بهذا القرار ، ولكن اعترضت امريكا على الجزء الثانى من القرار ، وصممت على أن يكون قرار مجلس الأمن بايقاف القتال فقط ، وان يشطب منه كل شىء ينص على انسحاب القوات المعتدية ، الى الأماكن التى كانت فيها قبل العدوان . » (١)

■■ **ان قوى التحرر فى العالم عليها أن تتلاحم** فان مسئوليتها كبيرة وعليها أن توحد جهودها وتنظمها حتى تستطيع أن تحقق اهدافها فى التحرر . وحتى يمكن أن تكون دعما للدول التى ترفض الاستعمار وتناضل من أجل القضاء عليه ، فهذه القوى هى التى تستطيع أن تساند الشعوب حديثة الاستقلال والمناضلة ضد الاستعمار بأنواعه مساندة حقيقية دون أن تكون لها أهداف او غايات كما انها اكثر احساسا بمشاكل غيرها حيث غالبا تكون قد مرت بهذه المشاكل وعانت منها .

ان عليها واجب ان تساندها ، وتعطيها الخبرة ، وتتعاون معها ..

« ومهما يكن من هذه الأسباب وغيرها ، فان المسئولية التاريخية ، تفرض علينا الآن أن لا نكتفى بتحليل الأسباب وتفصيلها ، وانما هى تطرح علينا السؤال الهام : ما الذى يجب علينا أن نفعله ، لكى نهزم هذا المد الرجعى والاستعمارى .. ونستعيد لحركات التحرير السياسية والاجتماعية زمام المبادأة . »

« ومهما كانت الأسباب التى يمكن أن نرد اليها ما نشهده من ظواهر خطيرة ، فانه لا شىء يسبق فى الأهمية ضرورة العمل الايجابى . »

(١) عيد العمال ١٩٧٠

وفى الحقيقة ، أن قسطا هاما يقع الآن على الشعوب ، التى اختارت لنفسها موقف الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وتمكنت بهما من ممارسة دور دولى أثبت بعدم الانحياز تأثيره الفعال الايجابى ، واستقطب الأحلام الجياشة لدى شعوب كثيرة تطلب السلام القائم على العدل ، ثم صنع من ذلك تيارا دافقا غلابا حقق اهدافه برغم المصاعب ، فى عديد من الظروف .

« انه من المحتم علينا أن تكون جهودنا مباشرة ومركزة ، فيما يتعلق بكل الأهداف التى نستطيع فيها بقوانا الذاتية أن نتحرك . وفى المجال فانى أعنى بالذات تصفية الاستعمار ، باعتباره أصلا من أصول الشر ، وسببا من أسباب التوتر والقلق المخيف فى عصرنا (١) »

« واننا نستطيع بتوحيد جهودنا وتنظيمها ، ان نوجه الى هذا الخطر ضربات ساحقة ، تساعد الشعوب التى ما زالت تعانى من قبضته عليها ، أن تخلص نفسها ، وأن تخلص الانسانية كلها منه ومن آثاره » .

« وفى هذا الصدد ، يخيل الى اننا نستطيع أن نقوم بما هو أكثر من المجهود الأدبى وكذلك الحال فيما يتعلق بالتفرقة العنصرية تلك التى تملك أن تواجهها بما هو أكثر من الاحتجاج » (٢) .

■■ **ان الدعوة الى السلام أصبحت مطلب الشعوب فى العالم ،** فالسلام هو السبيل الوحيد لاعادة بناء البلاد ، وتعويض ما فاتها من تخلف ، ولكن « السلام يجب أن يكون قائما على العدل ، لأن

(١) بلجراد ١ سبتمبر ١٩٦١
(٢) الاسكندرية ٢ مايو ١٩٦٦

السلام الذى لا يقوم على العدل يصبح معناه التهديد باستخدام القوة (١)

و « ان سلام عهد الامبراطوريات الكبيرة قد اندثر فقد قام على القوة وحدها تقمع بغير تردد كل محاولة تتصدى لها ناسية انها فى حقيقة الأمر تقاوم ارادة التطور والارتقاء ، كذلك فان سلام توازن القوى قد فشل ولقد قامت حربان عالميتان ثمنا لهذا الفشل الذى لم يكن منه مفر ، فان الأرض لا يمكن أن تتحول الى غنيمة يتقاسم شرائحها الأقوياء بسيوفهم .

« ثم رأينا فى زماننا توازنا آخر ، يراد له أن يقوم على موازين الرعب النووى . ولكن أخطار مثل هذا التوازن فادحة ، تنادينا جميعا بأن نتحرك لانقاذ السلام من القوة النووية الرهيبة التى يجب ان تخدم السلام ، ولا تستخدمه وتحوره ، ولا تستعبده .. »

« ان تجارب الماضى ، وتجارب الحاضر تنطق أمامنا بالعبرة الأولى للتاريخ ، وهى أنه لا يقوم سلام الا على العدل ، لا بالقوة ، ولا بتوازن القوى ، ولا بموازين الرعب .. وانما بالعدل وحده يقوم ويدوم السلام (٢)

والسلام فى فكر عبد الناصر « ليس مجرد الامتناع عن استخدام القوة ، وانما هو أيضا كنص المادة ٥٥ من ميثاق الأمم المتحدة (تهيئة دواعى الاستقرار والرفاهية والسلام لقيام علاقات سليمة ودية بين الأمم مبنية على احترام القاعدة التى تقضى بالتسوية فى الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها) .. ان تحقيق الشروط والأحوال اللازمة للسلام هو أمر يهم جميع الدول ، ويعززه اشتراكها جميعا فى المسئولية »

(١) حديث للتليفزيون الالمانى
(٢) مؤتمر عدم الانحياز اكتوبر ١٩٦٤

« ان السعى الى تلافى استخدام القوة فى العلاقات الدولية ، لا يتحقق بمجرد الالتزام بايجاد حل لكل مشكلة من المشاكل على حدة ، وبمعزل عن غيرها وانما يتحقق بوجوده مفهوم حقيقى للسلام ، يقيم بنيانه على العدل »

« ان العدل وحده يصنع السلام الدائم ، وأما القوة فقد تستطيع أن تفرض لبعض الوقت على موقف معين ، ولكنها حتى فى الأمر الواقع الذى تقيمه ابعد ما تكون عن معنى السلام واستمراره »

« ان السلام لا يستقر اذا استند الى تجميد الأوضاع الظالمة ، وان احترام الدول لالتزاماتها التعاهدية ، معناه احترام المعاهدات الصحيحة ، التى عقدت بحرية واختيار ، والتى لا تخالف ميثاق الأمم المتحدة ، ومن ثم يجب ان يكون التزام الدول بتنفيذ تعهداتها مرتبطا بما ورد فى المادة ١٠٣ من الميثاق التى تنص على انه « اذا تعارضت الالتزامات التى يرتبط بها اعضاء الأمم المتحدة ، وفقا لاحكام هذا الميثاق ، ومع اى التزام دولى آخر يرتبطون به ، فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على الميثاق » (١)

(١) مؤتمر عدم الانحياز ١٥ اكتوبر ١٩٦٤

الاشتراكية

الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ..

هكذا يقرر عبد الناصر ، فليست الثورة فى رأيه هى الاستيلاء على السلطة ولكنها « حركة شعب بأسره يستجمع قواه ليقوم باقتحام عنيد لكل العوائق والموانع التى تعترض طريق حياته كما يتصورها ، وكما يراها » والثورة عمل ايجابى يستهدف اقامة أوضاع جديدة .. لذلك فهو يقول « ان الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ولكن الطريق اليها قد فتح على مصراعيه تلك الليلة العظيمة »

و .. « الباب الذى انفتح على مصراعيه ليلة ٢٣ يوليو ظل مفتوحا لفترة طويلة قبل أن يدخل منه التغيير الحتمى » .

ان الثورة فى فكر عبد الناصر ليست فورانا عاطفيا انما الثورة فى أصالتها هى علم تغيير المجتمع ، ولا يتغير المجتمع بالغضب على ما كان فيه ، وعدم الرضا بالواقع وبالاوضاع التى سادته وانما يتغير المجتمع بتحليل علاقات القوى الاقتصادية والاجتماعية فيه ، واعادة تشكيلها على أسس جديدة لصالح أوسع الجماهير ، ولو كانت الثورة مجرد فوران عاطفى لاستطاع البطش أن يطفىء نارها ولكن النار فى الثورة الحقيقية تبقى مشتعلة لان هناك أسبابا حقيقية وعلمية تمنحها وقودها الذى لا يفرغ « فان الثورة هى الفهم العلمى للعلاقات الاجتماعية ، والاصرار على تغييرها (١) »

(١) عيد العلم ١٤ ديسمبر ١٩٦٤

وعبد الناصر يرى أن هنـاك فرق كبير بين الثورة والانقلاب « فالثورة هى الحصول على السلطة من أجل التغيير الواسع .. تغيير المجتمع من الواقع الذى يثور عليه ، الى المستقبل الذى يطالب به .. قد تبدأ الثورة بالقلة ، وان كانت أهدافها تعبر عن أهداف الكثرة .. ولكن الثورة بالعمل والممارسة من أجل تحقيق أهدافها .. تصل الى حد التعبير عن الكثرة وتصل من الاستثناء الى الكثرة .. عمل الثورة يتسع ويكبر وتزداد المشاركة فيه كل يوم وكل ساعة وكل سنة »

وهو يفرق بينها وبين الانقلاب اذ الانقلاب هو « جماعة من الناس تتآمر وبالمؤامرة أو المغامرة يصلون الى السلطة والسلطة هدفهم » (١)

« ولقد كان يمكن أن يتحول الحدث الكبير الذى جرى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الى مجرد تغيير للوزارة أو تغيير لنظام الحكم .. وكان يمكن أن يتحول الى ديكتاتورية عسكرية تضيف الى التجارب الفاشلة تجربة أخرى فاشلة .. لكن أصالة الوعى الثورى وقوته .. قررت أن يكون الحدث الكبير يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ خطوة على طريق تغيير جديد كامل يعيد الأمانى الوطنيـة الى مجراها الثورى السليم »

« الثورة ليست فرد .. اذا تخلصوا منه تنحل كل مشاكلهم ولا عدة أفراد اذا كانوا يتخلصوا منهم تنحل مشاكلهم »

« الثورة شعب .. الثورة تغيير مستمر بالشعب وبآمال هذا الشعب . »

« ان مصدر القوة العظيمة للثورة هنـا أن الشعب قد تحرر وسوف يقدم الرجال واحدا بعد واحد ويصنع المعجزات معجزة بعد معجزة فى ثبات وفى عزم وفى دوام . » (٢)

(١) ٢٦ اكتوبر ١٩٦١

(٢) العيد الثالث عشر للثورة ٢٦ يوليو ١٩٦٥ .

« وكل ثورة فى الدنيا تستولى على السلطة تقابلها مشـكلة المحافظة على هذه السلطة وتوجيهها لتحقيق الهدف الشعبى كيف تستطيع اى ثورة استولت على السلطة أن تحافظ على هذه السلطة ؟ »

« لو درسنا تاريخ حركات ثورية كثيرة نجد أنها حصلت على السلطة ولكنها لم تستطع أن تحافظ على السلطة ابدا .. ليه ـ فى رايى فيه مفاتيح كثيرة ضرورية لفهم المشكلة وفيه أسئلة كثيرة مثلا : »

« ما هو الخلاف الاجتماعى ؟

« ما هو التناقض الطبقى ؟

« ما هو التمـزق الذى يمـكن أن ينتج عن تدخل الـدول الاستعمارية فى البلاد التى تشابه بلادنا ؟

« السلطة فى النهاية هى الهدف التى تريد هـذه الخلافات الاجتماعية والتناقضات الطبقية والتدخل الخارجى أن تحصـل عليه لكى تضمن توجيه الأمور لصالحها . (١)

« وبعد قيام الثورة والاستيلاء على السلطة يجب على كل ثورة أن تبحث وتدرس كيف تحافظ على هذه السلطة .. ان اى ثورة تستولى على السلطة لا يمكن لها أن تحافظ عليها الا اذا طبقت شعاراتها تطبيقا واضحا .

« والرجعية أقوى من الثورة خصوصا فى ايامها الأولى . لأن الرجعية لهـا جـذور والرجعيـة لهـا أسلحة والرجعية عنـدها أساليب .

والفكر الناصرى يرى أن هناك نقطتين بارزتين فى كل ثورة :

١ ـ أن الثورة فى منطقها مهما ذهب الفلاسـفة فى تحديد

(١) مباحثات الوحدة الثلاثية ٧ ابريل ١٩٦٣ .

الدوافع هى ارتفاع شعب من الشعوب فوق الاثقال والاغلال التى تقيده . وتصميمه بالحزم والعنف على ان يقفز فوقهما الى وضع يمكن جماهيره الحرة من ان تعمل بغير عوائق وتجند طاقاتها الكاملة لبناء مجتمع جديد .

٢ ـ ان الثورة فى هدفها مهما تنوعت الاجتهادات : هى حياة افضل بالنسبة للجماهير العاملة وليست الشعارات هى الهدف وانما الهدف هو تطوير لمستويات الاقتصادية والثقافية للشعوب وتأمينها ضد كل الضواغط ..

فالثورة اذن هى تغيير المجتمع ..

لذلك عندما يقول عبد الناصر ان الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ، فهو يعنى ان المجتمع لم يتغير فى تلك الليلة ، وانما وضع على أبواب التغيير ..

فالحقيقة ان عبد الناصر قام بثورتين معا .

ولقد كان يمكن ان يتحول ما حدث ليلة ٢٣ يوليو الى مغامرة او انقلاب . ولكن ذلك لم يكن الهدف فى فكر عبد الناصر ، وهو ما تأكد من خلال مسيرة الثورة ورؤيتها لامال الجماهير ..

فقد مضى عبد الناصر يدرس .. ويجيب على الاسئلة التى طرحها ، وحدد ان عدم الاجابة عليها ، وتفاقلها عمليا كان السبب فى فشل ثورات كثيرة ..

الاسئلة التى طرحهـــا . .ما هو الخلاف الاجتماعى داخل الوطن ، وما هو التناقض الطبقى ، وذلك بعد ان حدد اوجه التمزق التى يمكن ان تنشأ عن تدخل الدول الاستعمارية .. وبعـد ان اجاب على هذه الاسئلة ، اعتبر انه قام بثورته الحقيقية التى كان يأمل ويفكر فيها والتى تتسم كما رسم فى فكره لابعاد العمل الثورى انه لا يمكن ان يكمل بغير صفتين اساسيتين شعبيته وتقدميته .. « فالعمل الثـورى هو تقدم بالطبيعة ، وهو ايضـا العمل الذى

يستوعب آمال الشعب ، ويحتضنها ويعايشها .. وينبع منها يعبر تعبيرا صادقا واكيدا عن الفئات الواسعة والعريضة من الجماهير .

والحقيقة ان عبد الناصر قام بثورتين معا .

ثورة سياسية .. ثم ثورة اجتماعية ، وهى التى استكملت ملامحها بقوانين يوليو الاشتراكية بعد احراز النصر فى المعركة الأولى معركة الاستقلال « فالاستقلال هو الضمان الوحيد لتثبيت كل انتصارات معركة الحرية السياسية وتدعيمها وكان لا بد أن ينطلق الزحف نحو معركة الحرية الاجتماعيـة بجنـاحيه من الكفاية والعدل (١) .

ان واقع التخلف والظلم الاجتماعى الذى فرض ظلاله القاتمة على المجتمع المصرى القديم هو الذى حكم الطبيعة المزدوجة والشاملة لثورة ٢٣ يوليو ، يقول عبد الناصر فى فلسفة الثورة التى كتبها فى السنوات الاولى للثورة « استطيع ان اقول اننا نعيش فى ثورتين وليس فى ثورة واحدة .. ولكل شعب من شعوب الارض ثورتان : ثورة سياسية ليسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه او من جيش معتد أقام فى ارضه دون رضاه ، وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ، ثم يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لابناء الوطن الواحد .

لقد سبقتنا على طريق التقدم البشرى » .

وهذا الواقع هو أيضا الذى فرض تداخل المرحلتين معا مرحلة الثورة السياسية ، ومرحلة الثورة الاجتماعية فقد كان على شعبنا وبلادنا ان تواجه مرحلتين من مراحل كفـاحها ، مرحلة التحرر السياسى ومرحلة التحرر الاجتماعى . وكانت متطلبات كل مرحلة تختلف عن الاخرى . وربما كانت المشـلكة التى واجهنـاها هى تداخل المرحلتين وتشابكهما . مرحلة التحرر السياسى ، الثورة

---

(١) نوفمبر ١٩٦٥

السياسية يكون العدو فيها واضحا وهو القوى الاستعمار والاحلاف ومناطق النفوذ اما مرحلة التحرر الاجتماعى ، الثورة الاجتماعية يكون العدو فيها هو كل مستغل كل محتكر كل من لا يعمل عملا منتجا فى خدمة الأمة ، كل من يحتفظ بالمركز الممتاز على حساب شقاء الجماهير وحرمانها . « كانت هذه هى المراحل التى آلينا على انفسنا بأن نحققها .. لقد سمعت بعضهم يقول اننا قد تسرعنا فى الثورة الاجتماعية ولكنى اقول اننا تأخرنا ويجب ان نسرع لنعوض ، لقد تخلفنا طويلا عن العالم ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نفصل الثورة الاجتماعية عن الثورة السياسية فبدون الثورة الاجتماعية تصبح الرجعية ويصبح الاقطاع والاحتكار وتصبح سيطرة راس المال يصبحون جميعا ديكتاتورية تتحكم فى الشعب وفى رقاب ابناء الشعب . بدون العدالة الاجتماعية وبدون الثورة الاجتماعية يفقد الفلاح قدرته على العمل ويفقد العامل قدرته على العمل ويفقد كل فرد قدرته على العمل .. لقد تخلفنا طويلا عن العالم . الفارق بيننا وبين غيرنا من الامم يتسع كل يوم وما لم نتحرك باقصى سرعة فسوف نقع فريسة لأعنف استعمار عرفه التاريخ وهو استعمار التخلف . ان التخلف هو الشىء الوحيد الذى يضمن البقاء لاسرائيل على أرضنا الى الابد ، والخطر الاسرائيلى يتلاشى حتى قبل المعركة العسكرية الفاصلة ، اذا تمكنت الامة العربية أن تخلص نفسها من التخلف الذى فرضه الاستعمار عليها والذى تحاول الرجعية أن تفرضه الآن .. »

* * *

الثورة الشاملة اذن .. التى أحدثت التغيير الجذرى فى المجتمع تضم الثورتين معا .. الثورة السياسية .. الحرية .. ثم الثورة الاجتماعية وطريقها الاشتراكية ..

ومنهج عبد الناصر ، وفكره يرى ان الحل الاشتراكى لمشكلة

التخلف هو حل حتمى ، وليس هناك مجال للاختيار بينه وبين اى حل آخر .. فهو الوسيلة الوحيدة لمواجهة التأخر مواجهة ثورية حقيقية والقضاء عليه .

ليس هناك اكثر من وسيلة للتقدم فى الفكر الناصرى يمكن ان من خلالها تحققه .. فالوسيلة الوحيدة ، وهى الوسيلة الحتمية أيضا .. هو أن يتجه المجتمع لبناء الاشتراكية ..

والاشتراكية حل حتمى فى الفكر الناصرى لأن حركة التاريخ تنظمها قوانين اجتماعية .. ولا يحركها أفراد أو أشخاص لتحقيق رغباتهم .. وان الصراع الذى يدور فى المجتمع يعتبر نتيجة حتمية للنظام الرأسمالى الذى يحمل داخله تناقضات كفيلة بالقضاء عليه ..

الاشتراكية فى الفكر الناصرى حل حتمى تفرضه أيضا حركة الجماهير وآمالها ..

والحل الحتمى لا يأتى من تلقاء نفسه . انه الطريق الثورى للوصول الى التقدم تفرضه القوى صاحبة المصلحة فى اجراء التغيير فى اتجاه مسيرة الاغلبية العظمى من الجماهير فى الدول النامية عموما ..

وقد لا يكون الطريق الى الاشتراكية ممهدا ، ولكن صراع الجماهير فى مواجهتها اليومية لعديد من المشاكل تضعها أمام الطريق الى الحل .. ومن هنا فان حركة الجماهير هى التى تدفع التاريخ وتحركه وتغيره ، وتصنعه ..

لذلك فان هذه الحركة ـ حركة الجماهير ـ هى التى تغير النظام الاقتصادى .. واذا تغير الأساس الاقتصادى للمجتمع ، فانه تبعا لذلك يتغير النظام السياسى والاجتماعى ..

« فمن الحقائق التى لا تقبل الجدل أن النظام السياسى فى أى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع الاقتصادية السائدة فيه ، وتعبيرا دقيقا للمصالح المتحكمة فى هذه الاوضاع

فاذا كان الاقطاع هو القوة الاقتصادية التى تسود بلدا من البلدان فمن المحقق ان الحرية السياسية فى هذا البلد لا يمكن ان تكون غير حرية الاقطاع .

« انه يتحكم فى المصالح الاقتصادية ويملى الشكل السياسى للدولة ، ويفرضه خدمة لمصالحه ، وكذلك الحال عندما تكون القوة الاقتصادية لرأس المال المستغل »

وليس أمام الدول التى تتحرر الا أن تأخذ بالطريق الاشتراكى لا على اعتبار أنه الحل الوحيد لمشاكل التخلف فحسب ، بل وأيضا باعتباره الوسيلة الوحيدة لتوسيع قاعدة الثروة الوطنية التى تمكنها من الوفاء العادل بالحقوق المشروعة للجماهير .

والحل الاشتراكى فى فكر عبد الناصر بالاضافة الى ذلك تفرضه الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين .

القرن الذى انحسر فيه المد الاستعمارى ، المرتبط بالنظام الرأسمالى .

« (١) فالتجارب الرأسمالية فى التقدم تلازمت تلازما كاملا مع الاستعمار . فلقد وصلت بلدان العالم الرأسمالى الى مرحلة الانطلاق الاقتصادى على أساس الاستثمارات التى حصلت عليها من مستعمراتها وكانت ثروة الهند التى نزح الاستعمار البريطانى النصيب الأكبر منها . هى بداية تكوين المدخرات البريطانية التى استعملت فى تطوير الزراعة والصناعة فى بريطانيا .

« واذا كانت بريطانيا قد وصلت الى مرحلة الانطلاق اعتمادا على صناعة النسيج فى لانكشير فان تحويل مصر الى حقل كبير لزراعة القطن كان شريانا متصلا ينقل الدم الى قلب الاقتصاد البريطانى على حساب جوع الفلاح المصرى »

« ان عصور القرصنة الاستعمارية التى جرى فيها نهب ثروات

(١) الميثاق

الشعوب لصالح غيرها بلا وازع من القانون أو الأخلاق قد مضى عهدها . وينبغى القضاء على ما تبقى من ذكريات لها ما زالت فيها بقية من الحياة خصوصا فى أفريقيا »

« كذلك فان هناك تجارب أخرى للتقدم حققت أهدافها على حساب زيادة شقاء الشعب العامل واستغلاله . اما لصالح رأس المال أو تحت ضغط تطبيقات مذهبية مضت الى حد التضحية الكاملة بأجيال حية فى سبيل اجيال لم تطرق بعد أبواب الحياة »

« ان طبيعة العصر لم تعد تسمح بشىء من ذلك .

« ان التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة »

« ان هذه القيم الانسانية أسقطت الاستعمار كما ان هذه القيم اسقطت السخرة »

« ولم تكتف هذه القيم الانسانية باسقاط هذين المنهجين وانما كانت ايجابية فى تعبيرها عن روح العصر ومثله العليا حين فتحت بالعلم مناهج أخرى للعمل من أجل التقدم » .

« ان **الاشتراكية العلمية** هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم »

« ان أى منهاج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود »

« والذين ينادون بترك الحرية لرأس المال ويتصورون أن ذلك طريق الى التقدم يقعون فى خطأ فادح » .

« ان رأس المال فى تطوره الطبيعى فى البلاد التى أرغمت على التخلف لم يعد قادرا على أن يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الرأسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة اعتمادا على استغلال موارد الثروة فى المستعمرات » .

« ان نمو الاحتكارات العالمية الضخم لم يترك الا سبيلين للراسمالية المحلية فى البلاد المتطلعة الى التقدم » .

« **اولهما** ـ انها لم تعد تقدر على المنافسة الا من وراء اسوار الحمايات الجمركية العالية التى تدفعها الجماهير » .

« **وثانيهما** ـ ان الأمل الوحيد لها فى النمو هو ان تربط نفسها وتجر اوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة » .

« ومن ناحية اخرى **فان اتساع مسافة التخلف فى العالم بين السابقين** وبين الذين يحاولون اللحاق بهم لم تعد تسمح بأن يترك منهاج التقدم للجهود الفردية العفوية التى لا يحركها غير دافع الربح وتجر اوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة » .

يحركه الاحتكارات العالمية وتقتفى اثرها وتتحول الى ذيل لها »

ان هذه الجهود بالتأكيد لم تعد قادرة على مواجهة التحدى

ان مواجهة التحدى لا يمكن ان تتم الا بثلاثة شروط .

١ ـ تجميع المدخرات الوطنية .

٢ ـ وضع كل خبرات العلم الحديث فى خدمة استثمار هذه المدخرات .

٣ ـ وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج .

« ومن الناحية الأخرى المقابلة لجانب زيادة الانتاج وهى ناحية عدالة التوزيع فان الامر يقتضى وضع برامج شاملة للعمل الاجتماعى تعود بخيرات العمل الاقتصادى ونتائجه على الجموع الشعبية العاملة وتصنع لها مجتمع الرفاهية الذى تتطلع اليه وتكافح لكى يقترب يومه » .

« ان العمل من اجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لا يمكن أن يترك لعفوية رأس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة » .

« كذلك فان اعادة توزيع فائض العمل الوطنى على اساس من العدل لا يمكن أن يتم بالتطوع القائم على حسن النية مهما صدقت » .

« ان ذلك يضع نتيجة محققة أمام ارادة الثورة الوطنية لا يمكن بغير الوصول اليها أن تحقق أهدافها وهذه **النتيجة هى ضرورة سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة » .**

« ان هذا الحل الاشتراكى هو المخرج الوحيد الى التقدم الاقتصادى والاجتماعى وهو طريق الديموقراطية بكل أشكالها السياسية والاجتماعية » (١) .

* * *

ويضيف عبد الناصر فى اجتماعات الوحدة تكلمة هامة على هذه الأسس فيقول :

« بعدين النقطة الثانية اللى هى بتكمل الاشتراكية ـ اللى انا احب أقولها هى تحديد الاجور .. ايه تحديد الاجور ؟ احنا طلعنا قانون ان خمسة آلاف جنيه حد أقصى .. خمس آلاف جنيه حد أقصى للمرتب .. مفيش حد ياخد أكثر من خمس آلاف جنيه .. بعد كده .. اذن الباقى كله أرباح ..

« بعدين حددنا بالنسبة للعمال حد ادنى للأجور .. كان العامل هنا ياخد ١٥ قرش .. بقى النهاردة الحد الادنى ٢٥ قرش .. ثم حددنا علاوات وعمليات بالنسبة لتنظيم العلاقات الاجتماعية بالمصانع .. بحيث ان فيه عمال النهاردة بياخدوا ماهيات ضخمة وحددنا علاوات تشجيعية .. وحددنا مكافآت انتاج .. كل ده .. معناه ايه ؟ معناه ان الناس كلهم يشتركوا فى ناتج العمل .. فالتجربة اللى هنا .. **الحقيقة غير تجربة يوغسلافيا فيه ناس**

(١) الميثاق

بيقولوا هنا زى يوغسلافيا .. غلط .. يعنى احنا دارسين تجربة يوغوسلافيا .. ودارسين تجربة روسيا .. ودارسين الصين .. ودارسين الهند وبعدين بنجيب خبراء .. فى الاقتصاد الاشتراكى نناقشهم . يعنى آخر واحد كان عندنا من اسبوعين . قعدت معاه اللى هو بتلهايم عارفينه طبعا .. هو استاذ التخطيط فى السربون .. الروس يستشيروه واليوغسلاف يستشيروه . فى الهنـــد والجزائر أيضا يستشيروه ..

« بنقعد نناقش التجربة كلها بنفسنا مع هؤلاء الخبراء .. بيقولوا لنا ايه اللى شافوه هنا وايه اللى شافوه هناك . بتلهايم . مثلا كان رأيه ان التجربة اللى عندنا تجربة فريدة وانها متقدمة بمراحل .. يظهر ان الصورة عندكم بالنسبة للتجربة فى مصر ناقصة حدا .. **حد منكم قال أول امبارح انها تجربة نستطيع أن نسميها اشتـراكية .. لا يا أخى مهياش تجـربة نسـتطيع أن نسميها اشتراكية .. دى اشتراكية حقيقية وقائمة على ثورة .. قضت على نظام مبنى على تحالف الاقطاع مع رأس المال ..**

« واعطت الحكم للشعب العـامل .. ثم .. أعادت صـياغة العلاقات الاجتماعية وغيرتها تغييرا كاملا .. وتخلصت من كل الاستثمارات الاجنبية بالتأميم .. يعنى هنا كل البنوك كانت فرنساوى وانجليزى وبعدين موش بس خرجنا الانجليز وعربنـا اقتصادنا .. لأ احمنا وسيطرنا عليه سيطرة كاملة .. والعلاقات الاجتماعية هنا اتغيرت .. فى ١٠ سنين .. ما كانش ممكن تحصل عملية تحويل اشتراكى بهذا الشكل .. خصوصا احنا بدانا فى هذه العمليات من سنة ٥٦ بس ، لأن طلعنا فى ٥٢ كنا عسكريين لا نعرف الا القطعة ١٨ على حد تعبير الاخ فهد .. وكنا نقعد مع جماعة اقتصاديين من الطراز التقليدى يعقدوا المشاكل ولا يجدوا لها حل .. لكن بعد كده مشينا فى العملية .. ودرسنا وحاولنا نتعلم بجد واخلاص وبعدين فيه شعار انتم النهاردة بتقولوا ان

لا اشتراكية بلا اشتراكيين .. من فضلكم ماتنسوش ان احنا اول ناس قالوا هذا الكلام ـ سنة ٦١ ـ وانتم النهاردة جايين ترددوا الشعار اللى احنا اطلقناه سنة ١٩٦١ قبل قرارات يوليو الاشتراكية (١) .

* * *

درس عبد الناصر أولا الواقع الذى عاشه المجتمع وأدى الى تخلفه واستخلص منه أن الحل الاشتراكى هو السبيل الامثل ، والذى لا سبيل غيره لمـا يعترض هذا المجتمع من مشاكل .. كان لا بد على الثورة أن تواجهها وتبدأ بها مرحلة جديدة من مســـيرتها مع الجماهير .

يأتى فى مقدمة دراسة واقع المجتمع المصرى .. انه ـ فى ذلك الوقت ـ مجتمع اقطاعى رأسمالى .. الاقطاع فيه يرتبط بالرأسمالية وليس بينهما حد فاصل كامل فى كثير من الأحيان ، وفى نفس الوقت فهو مجتمع ينمو ببطء ، تقدمه غير محسوس .. لأن الذين يحتكرون المساحات الكبيرة من الارض ، ومن المصانع ، لا ينشئون جديدا من المصانع ، لا يستصلحون أرضا الا فى حدود ما يرونه هم ، لا ما يحتاجه المجتمع ، الذى كان يزرع ليصدر ، ويستورد ليأكل ، ويلبس ، فكل شىء فى بلادنا كان مستوردا . كل شىء على الاطلاق فيما عدا بعض المنسوجات القطنية .. حتى المنسوجات الصوفية فكانت مستوردة والأنواع الجيدة من المنسوجات القطنية كنا نستوردها بعد أن نصدر قطنا يعود الينا منسوجات ..

« كان مجتمعنا بطىء النمو ، بل انه طبقا للاحصائيات الثابتة وصل الى حالة كاملة من الركود خلال اربعين سنة ، ما بين ١٩١٣ و ١٩٤٣ ففى هذه الفترة كانت نسبة النمو فيه أعلى متوسط قدره

(١) مباحثات الوحدة .

١١/٢ ٪ سنويا ، وهى نسبة نمو كانت الزيادة فى عدد السكان تستوعبها ، وعلى ذلك فانه خلال هذه السنوات الأربعين لم يطرأ أى تغيير يذكر على حالة المجتمع المصرى » (١) .

« وفى سنة ١٩٥٢ كان الدخل القومى للاقليم المصرى لا يكاد يصل الى ٧٠٠ مليون جنيه ، أى متوسط ثلاثة جنيهات فى الشهر الواحد لكل فرد من ابناء هذا الشعب . وفى نفس الوقت كان هناك ظلم فادح فى توزيع هذا الدخل القومى الضئيل .. فقد انفردت بالجزء الأكبر منه أقلية من أبناء هذا الشعب » .

« وكانت النتيجة ، أن الغالبية الساحقة أرغمت على الحياة تحت حد متوسط الدخل القومى بكثير ، فقد كانت النتيجة الطبيعية لذلك أن القلة التى تنزف معظم الثروة الوطنية هى التى حكمت وهى التى أمسكت بزمام القوة » (٢) .

« كان متوسط الدخل القومى منخفضا بالنسبة للفرد الواحد ومع ذلك فان هذا الدخل لم يكن يوزع على المواطنين ، بل كان يرتكز فى يد قلة من النـاس هم الذين يسيطرون على الاقتصاد وبالتالى على السياسة ، بينما الغالبية الساحقة للشعب المصرى تعيش حياة دون الكفاف .. فقد كانت سلطة الدولة كلها فى يد تحالف رأس المال والاقطاع ، كان فيه ١٠٠ عائلة تملك معظم الأراضى الزراعية ، ١٦ عيلة قدمت لمصر كل رؤساء الوزارات والوزراء ، وكل من تسلط على المناصب السياسية القائدة فى البلاد » .

« كان ١/٢ ٪ من السكان يملكون وحدهم ٥٠ ٪ من الدخل القومى وتبعا لذلك يمسكون بزمام السلطة ، يضمنون بها مصالحهم ويفرضون بها الأمر الواقع » (٣) .

---

(١) مؤتمر الانتاج مارس ١٩٦٧ .
(٢) مؤتمر الاتحاد القومى يونيو ١٩٦٠ .
(٣) عيد الثورة ١٩٦٤ .

رأس المال فى هذه الفترة كان يتراكم فى يد قلة من الأفراد تسيطر على كل شىء .

وبالتالى فان الدخل القومى لا يوزع توزيعا عادلا على أفراد الشعب « الدخل القومى فى الصناعة ٣٢ ٪ منه أجور للعمال ، و ٦٨ ٪ ارباح لأصحاب العمل ، طبعا ان دل هذا على شىء فانما يدل على تناقض اجتماعى »

« وقد رأيت بنفسى سنة ١٩٥٢ ، وانا فى زيارتى لكوم امبو كيف ان كل العمال فى كوم امبو كل واحد بيتغدى رغيف اسود ، وحتة بصل » (١) .

والدخل القومى فى الزراعة كذلك . . فاذا نظرنا مثلا الى محافظة واحدة مثل محافظة البحيرة وجدنا هـذه الصـورة الرهيبة (٢) .

« الملكية فى هذه المحافظة ، كما تثبت الوثائق .. كانت مقسمة بين بعض أفراد الأسرة المالكة وبين ثلاث شركات مسجلة فى لندن .. وكان الخديوى اللى أباح لهذه الشركات ظلم السخرة هو الذى تقاسم معها نتيجة هذه السخرة . وكانت احدى هذه الشركات . وهى شركة البحيرة .. قد حصلت من أسلاب الدائرة السنية بعد الاحتلال البريطانى على اكثر من ١٢٠ الف فدان .

« أيضا بنعرف ان التطورات اللى حصلت بعد كده فى الملكية جرت كلها لصالح عدد من كبار الملاك المتعاونين مع الأسرة المالكة ومع الاحتلال البريطانى ومع المصالح المالية الاجنبية .

« وأما فيما يتعلق بمكانة ملكية صغار الفلاحين من الاراضى

---

(١) عيد الثورة ١٩٦١
(٢) خطاب دمنهور ١٩٦٦ .

فان الوثائق تظهر أن بنكا أجنبيا واحـــدا هو بنك « الكرية دى فرانسيه » استطاع أن ينزع ملكية أكثر من ١٠٠ الف فدان فى ظروف الرهونات والقروض المرهقة وان يعيد بيعها بالطبع الى كبار الملاك » .

● واقع المجتمع اذن أنه مجتمع الـ ١/٢ ٪ ، الأقلية التى تملك الثروة القومية وتحتكرها .. وبالتالى تسيطر أيضا على السياسة ولقد راينا « كيف ان الوزراء كانوا يشتغلون عند الرأسماليين ، وازاى الوزراء بيقبضوا ، وازاى الوزير كان فى الحكم ، وكان ياخد ماهية من فلان أو فلان ، أمثلة بهذا الشكل كانت معروفة ، وانقالت فى محكمة الثورة .. اذن ديكتاتورية رأس المال تحكم .. سـواء كانت فى الحكم أو تحكم بواسطة أعوانها أو عملائها ، وهى تبقى خارج الحكم ، ولكنها تدير الحكم لمنفعتها ، ولمصلحتها من أجل استغلال الشعب ، ومن اجل تحقيق اكبر قدر ممكن من الأرباح » (١) .

● ان المجتمع كان مجتمعا طبقيا ، تتصارع طبقاته « فلا نستطيع أن نقول اننا كنا نعيش فى مجتمع بدون طبقات ، كان فيه طبقـة مستغلة ، وطبقة مسيطرة .. كان فيه طبقة متحكمة ، وكان فيه طبقة تعمل ، وتبذل كل جهدها .. لتستفيد تلك الطبقة التى تمثل أقلية هذا الشعب » (٢) .

وهذه الطبقات كانت تتصارع « ومن أجل لقمة العيش كانت هناك معركة دائمة بين الفلاح وصاحب الارض التى اغتصبها بغير حق . وقد تطورت هذه المعركة فانهزم فيها الفلاحون وانهزم فيها آباؤنا وأجدادنا ، ولكنهم لم ينهزموا أمام هذه الهزائم لأنهم اعتقدوا أن لهم حقوقا لابد أن يحصلوا عليها ، ولهذا استمرت المعركة سنين طويلة فى جهاد مرير ، ومات من مات من آبائنا وأجدادنا » (٣) .

---

(١) عيد الثورة يوليو ١٩٦١
(٢) نفس الخطاب
(٣) ١٩ ابريل ١٩٥٤ .

كان المجتمع اذن ينقسم الى طبقتين تتصارعان « طبقة السادة طبقة الحكام ، وطبقة العمال .. طبقة الفلاحين ، طبقة الأجراء .. التى كان الواحد فيها لابد أن يعمل ليأكل ، الطبقة اللى الواحد فيها لازم يوفر لابنه العمل ليأكل ، لأن ابنه لا يستطيع بأى حال أن يكون عاطلا بالوراثة ، كما كان أبناء الطبقة الاخرى عاطلين بالوراثة » (١)

« لقد كان واضحا أن الشعب قد ضاق صدره بهذه الأوضاع وكان واضحا أن الشعور الشعبى يضج بالحاجة الى علاج ثورى لهذه الحال ، ولقد كانت النظم من قبل الثورة واضحة لمن يريد ان يدرس بواطن الأمور ، ولا يكتفى فيها بالشكل العارض لصدام بين الفلاحين والاقطاعيين من كبار الملاك » .

« وانكم لتذكرون حريق القاهرة الشهير فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، ولقد كان منظر العاصمة العظيمة وهى تحترق من ابشع المناظر فى كفاحها .. ولكن الواجهة البشعة ، لم تكن الا الشعار الخارجى ، وكانت الحقيقة أن الجماهير التى اشتركت فى هذا المشهد البشع ، انمـــا عبرت من غير وعى عما يعتمل فى نفسـها من الغضب والحقد » (٢) .

● ان المجتمع كان يعانى من سوء توزيع الدخل القومى بين هذه الطبقات « ولست أعد الأرقام فى بيان ما كان عليه الحال ولكنى لا اتصور ولا أظن أحدا يتصور أن المجتمع الذى نعيش فيه كان يمكن أن يتحمل وجود مائة أسرة مصرية وأجنبية وصل ما تملكه وما استرد منها بالتأميم والحراسة والاصلاح الزراعى ما تصل قيمته دون مبالغة الى ١٠٠٠ مليون جنيه » (٣) .

---

(١) عيد الثورة ١٩٦١ .
(٢) مؤتمر الاتحاد القومى .
(٣) افتتاح مجلس الامة ١٩٦٤

« كان الفائض الذى يتبقى فى البلاد من فتات ما ترك الاستعمار لا يترك للشعب ، وانما يترك معظمه للذين يخدمون الاستعمار من غير أبناء البلاد ، أو الذين خانوا شعبهم من أبناء البلاد وباعوا أمانيه الوطنية لعدوه مقابل اقتسام الجزء التافه من الغنائم » (١)

« كانت مئات الألوف من الأفدنة ، ملك لأفراد معدودين .. بل ملايين الافدنة ملك لافراد معدودين . وكان فيه أفراد بيملكوا عشرات الالوف من الافدنة أو مئات الالوف من الافدنة .. كان راس المال المستغل يتحكم ، وكانت العملية سهلة جدا .. الراسمالى المستغل بيستطيع انه بيرشى الحكام ، وبهـــذا يقـــدر يستغل العمال » (٢) .

● هذا المجتمع لا ينشىء المصانع ، ولا يستصلح من الارض الا بالقـدر الذى لا يتعـارض مع مصـالح الفئـات المسيطرة .. ويحقق لها هى نفسها المصلحة ..

فالصناعة لا تخطط ، واذا أنشئت فهى صناعة استهلاكية ، ليست شاملة ، ولكنها تكفى لاشباع حاجات البعض ، وتكفى لملء جيوب البعض الآخر من أصحاب المصانع ..

« طيب له مازودوش الأرض الزراعية ؟ لأن حيزودوا الأرض الزراعية لمين ؟ هما كانوا بيزودوا الارض الزراعية فعلا . ولكن مثلا

(١) ٢٨ ابريل ١٩٦٧ .
(٢) عيد السد ١٩٦٣ .

فى بلبيس زادت الأرض الزراعية ، وصلحوا اراضى بور .. لكن ملكها فلان باشا .. فهم خدوا كفايتهم من الاصلاح ليس فيه داعى ان يصلحوا علشان الناس » (١) .

« كانت المصانع القليلة اللى بتتبنى ، ما بتتبنيش لخدمة الشعب كشعب ، ولا لعدد العمال .. لأن الراسمال كان يهمه أن يحقق الربح الكبير ، وتكون العمالة قليلة . واحنا النهارده بنبص للعمالة وبنبص لبناء البلد كبلد . والراسمالى ما كنش يهمه الانتاج القومى .. كل همه غناه الفردى ..

« كانت المشروعات قبل كده تتجه للمشروعات الاستهلاكية .. الناس اللى بيستهلكوا فعلا . وما كانش الراسمالى بيحس بمشكلة البطالة أو بمشكلة التطوير يمكن احنا مشكلتنا كانت ايه ؟ » ..

« احنا مشكلتنا ، اللى ما بيقدروش يستهلكوا .. الناس اللى مابيدخلهمش دخل .. اللى ما بيقـــدروش يستهلكوا .. اللى ما بيقدروش يجدوا المال .. اللى يشتروا بيه حجاتهم » (٢) .

« سنة ٥٢ حصل ايه ؟ ايه الأموال اللى استثمرت من أجل التصنيع قبل الثورة سنة ٥١ كان اللى استثمر من أجل التصنيع مليون و ١٠٠ الف كمان أو ١٢٠ الف كل الفلوس اللى صرفت على الصناعة من القطاع الخاص » .

« احنا تركنا راس المال يعقد الاتفاقات فى الخارج .. راس المال بنوفر له العملة الصعبة .. بنوفر له جميع التسهيلات علشان يعمل .. وهو كل اللى يعمله كان بياخد أرباح المصانع .. ايه

(١) شبين الكوم مارس ١٩٦٥
(٢) ٢٥ نوفمبر ١٩٦١

المخاطرة اللى فى مقابلها رأس المال كان بياخد كل هذه الفوائد ؟ .. مفيش مخاطرة ، بأى حال من الأحوال ، مشروعات طبعا تحولت الى أرباح شخصية » .

« مشروع كهربة خزان أسوان ، من سنة ٢٥ كانوا بيتكلموا فيه فى خطب العرش ، طيب ليه ما تنفذش مشروع كهربة خزان أسوان ؟ لأن مشروع كهربة خزان اسوان لما يتنفذ حتبنى مصانع والمصانع بتزيد فيها العمال . وبعدين يقولوا بعد كده لما العمال بيزيدوا فى المصانع حيحصل ايه ؟ .. حيطالبوا بحقوقهم ، ويعملوا تكتلات . .يبقى خطر عليهم .. وتبقى عمليات هدامة بالنسبة لحكم الطبقة المستغلة »(١) .

● بالاختصار صورة المجتمع انه مجتمع طبقى متنافر .. فرضت فيه الحماية الجمركية سنة ١٩٣٠ لمصلحة وحماية الرأسمالية وتنميتها .. وكانت معاهدة منتريه سنة ١٩٣٧ بمثابة تشدين لهذا القرار اذ وضعت الرأسمالية المصرية فى موقف معادل للرأسمالية الاجنبية ..

وأخذت الرأسمالية المصرية تنمو ، وتتكتل . وكونت اتحادا للصناعات ، وبدأت تتحالف مع الرأسمالية الاجنبية .. وكانت تحرص على أن تضغط انتاجها وتقلله لتفرض الاسعار العالية ، ومن البديهى الا تلجأ الا الى الصناعات الاستهلاكية أو ذات العائد الكبير والسريع وانها لا تدخل مجال التصنيع الثقيل ..

فمثلا كان انتاج شركة السكر سنة ١٩٤٩ حوالى ٢٣٣ الف طن هبط انتاجها عام ١٩٥٣ الى ٢٠٦ الف طن ..

وكذلك شركة الاسمنت الذى هبط انتاجها من ١٫٣٠٠٫٠٠٠ طنا سنة ١٩٥١ الى ٩٤٧٫٠٠٠ سنة ١٩٥٢ ..

(١) عيد السد ١٩٦٣ .

وقد استلفتت هذه الظاهرة نظر البنك الاهلى ، فكتب رئيس البنك فى تقريره سنة ١٩٤٧ بالنص « ان حالة الاحتكار التى نشأت من الحرب أغرت بالمبالغة فى رفع السعر » ..

بدأت الراسمالية المحلية اذن تتحول الى ما يشبه الاحتكار واوضاع الملكية الزراعية فيه لا تختلف كثيرا عن هذه الصورة .. وسوف نتعرض لجانب منها عند الحديث عن الملكية الفردية فى الفكر الاشتراكى الناصرى ..

وهذا المجتمع ايضا كان متخلفا .. نسبة النمو فيه بطيئة . ونسب الانجاب فيه سريعة ، ونتيجة لتفاعل كل هذه الاوضاع فى المجتمع كان يشهد صراعات عنيفة تمزقه .. بين الذين يملكون كل شىء ... الأرض والمال .. وحرية الناس .. والذين لا يملكون شيئا على الاطلاق ..

الاشتراكية هى الحل الوحيد الحتمى

اذن فالتحليل لواقع المجتمع الذى عاشه عبد الناصر ، ولتاريخه أعطى الاصول للنتائج التى توصل اليها فى مجال التطبيق الاشتراكى .

ولا يختلف واقع المجتمع المصرى فى ذلك عن كثير من المجتمعات التى عاشت ـ أو تعيش ـ نفس الظروف ، فى ظل استعمار يعاونه اقطاع ، ورأسمالية نامية متعاونة مع رأس المال الأجنبى ، واقصى أمانيها أن تكون هى الوريثة له ..

ماذا تعنى الحرية فى فكر عبد الناصر وهى القضية التى شغلته منذ بداية حياته السياسية ، انها لا تقف عند حد تأكيد حرية الوطن بعيدا عن أى قيود السيطرة ، وفى منأى عن منافذ النفوذ .. ان الاستقلال السياسى فى فكره هو ـ كما قلنا ـ وسيلة من أجل تأكيد حرية المواطن « وهى لا تتأكد الا بنصيب عادل من ثروة بلاده » ..

فهل يمكن أن يتحقق ذلك دون السير فى طريق الاشتراكية ..

الفكر الناصرى ينفى ذلك من واقع تجربته ، ويقدم الأسباب .. فالعالم قسمان .. قسم متقدم وصل الى أعلى المراحل التكنولوجية والآخر متخلف ما زال فى القاع .. التقدم الذى حققته دول المعسكر الرأسمالى تم عن طريق الاستعمار وهذا هو السبب الذى أوجد التخلف فى نصف الكرة الآخر .. فالتقدم فى البلاد الرأسمالية حدث عن طريق نهب واستغلال ثروات الشعوب والثروات التى كبرت فى العالم الرأسمالى ووصلت الى حد تكوين احتكارات ضخمة لم تكن باعتصار عرق العمال الفلاحين فى

البلاد الرأسمالية وحدهم ، بل وأولا باستغلال الشعوب المستعمرة ، وتكوين مدخرات منها استخدمت فى تطوير الصناعة والزراعة ..

والتقدم فى تلك البلاد لم يتم الا بعد أن نهبت الثروات والمواد الخام من الشعوب الفقيرة والمستعبدة ، وفى أحيان أخرى تحولت هذه البلدان الفقيرة الى مزارع تخدم انتاج الدول الرأسمالية .. او متاجر توزع منتجاتها .. كل ذلك تم على حساب جوع هذه الشعوب ، وفقرها ، وبؤسها ..

فالمصانع التى اقيمت فى الدول الرأسمالية الكبرى ادارت محركاتها بدماء الشعوب المستذلة والضعيفة .. وتحول أبناؤها الى وقود فى افران هذه المصانع لتزداد مداخنها ارتفاعا ونموا .

وهذا الزمن قد انتهى ، ولا يمكن أن يعود ..

لم يعد ضمير العصر ، ومثله وقيمه وأخلاقياته تسمح بهذه القرصنة الاستعمارية .. وبقى على الشعوب التى تخلصت من الاستعمار أن تناضل فى سبيل محو آثار هذه الصورة والشعوب التى ما زالت تعيش تحت وطأة الاستعمار حتى الآن عليها أن تقاتل لكى لا تستنزف بقية قطرات الدماء منها .

وهذه الشعوب وتلك تقع فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ..

هذه واحدة والثانية هى افتراض جدلى يقول انه حتى اذا كان ضمير العصر لا يأبى هذه الصورة ولا يلفظها ، فان الشعوب النامية التى ذاقت مرارة الحرمان والاستعباد غير قادرة لا نفسيا ، ولا ماديا على القيام بمثل هذه المغامرات الاستعمارية ..

فالشعوب التى عاشت مستذلة ، منهوبة ، لا يتطرق اليها فكرة أن تستذل غيرها وأن تنهبها .. على فرض أن لديها من الامكانيات المادية والبشرية والنفسية ما يمكنها من ارتكاب هذه الجريمة ، وعلى فرض أن الدول الاستعمارية الأصيلة سوف تسمح لها بذلك .

وهو أمر مستحيل اذن .. وفى نفس الوقت فان آمال الجماهير العريضة فى هذه الشعوب تريد أن تتنفس ، ولا تستطيع ان تفى باحتياجاتها .. الا التنمية الشاملة ، فالجماهير تريد نصيبها فى ثروة الوطن ..

وتريد فرصا جديدة للعمل ..

وتريد الا تعيش على منتجات غيرها ..

وتريد تطوير أساليب الحياة على أرضها ، لينعكس ذلك عليها خدمات عادلة وحقوقا مشروعة ومقدسة تعليما ، وصحة ، وتأمينا ، بالاختصار .. الجماهير تريد أن تعيش ، وأن تعوض سنوات التخلف التى عانت منها ..

ولعل ابرز ما يميز القرن العشرين ، انه قرن انتفاضة الجماهير فقد اتاحت لها آفاق الحياة المتسقة والمتجددة فرصة ان تطالب بحق حياتها .. وأن تحس أنها شريكة فى الوطن .. لا تعيش على هامشه ولكن لها دور فيه .. وهى تريد أن تؤكد أن انتماءها الى الوطن حقيقة واقعة ..

فجماهير القرن العشرين هى التى لفظت الاستعمار ، وثارت ضده ، وهى التى لفظت الاستغلال ، وثارت ضده ، وما زالت نيران ثوراتها تنبعث بين آن وآخر فى كل منطقة من العالم ..

فهو عصر الشعوب ، وانحسار المد الاستعمارى ، بعد أن سقطت عنه أقنعته ، وظهر على صورته البشعة الحقيقية وظهرت حركات التحرر الوطنى واتضح التناقض بينها وبين الاستعمار الذى أصبح يدخل مرحلة التحدى .. وليس هناك وسيلة للانتصار فى هذا التحدى سوى التنمية الشاملة .

ان وسائل الاتصال المنتشرة والسريعة بين العالم كله كان لها الدور الاساسى والحاسم فى تنبيه الشعوب ، وتفتيح آفاق ابنائها نحو حياة جديدة بمتطلبات جديدة ، وزيادة احساسها بأوضاع الاستغلال التى عاشتها أو تعيشها .. لذلك كانت الثورة على

الاستعمار ، وكانت الثورة على أعوانه ، ولكن الجماهير لا تثور على الاستعمار لانها ترفض أن تنهب ثرواتها الى خارج وطنها فحسب ، فهى عندما ترفض النهب الاستعمارى فانها ترفض فى نفس الوقت النهب بكل انواعه .. ترفض أن يكون خير البلاد حكرا لنفر معين .

كما ان ظهور المعسكر الاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانية ، ونموه ، واتساعه .. قد أدى الى وجود النموذج للتغيير الذى تصر عليه الجماهير كحقيقة واقعة ، وهو بمساندته أيضا لحركات التحرر ووقوفه فى وجه الاستعمار قد وضع تناقضا هاما أمام الجماهير هو التناقض بين نظامين ، أحدهما يستغل ، ويحتكر ، ويستعمر ، والآخر يحقق آمال الشعوب فى الرفاهية ويحقق العدالة ويناصر قضايا التحرر والسلام .

ومن هنا فان الفكر الناصرى يحدد الطبيعة المتغيرة للنصف الثانى من القرن العشرين ، وخاصة فى الفترة التى طرأت على العالم منذ نهاية الحرب العالمية فى ثلاث أمور :

- تعاظم قوة الحركات الوطنية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، هذه القوة التى استطاعت أن تقود معارك منتصرة ضد القوى الاستعمارية ، وأصبح لهذه الحركات الوطنية تأثير فعال .
- ظهور المعسكر الاشتراكى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى .
- التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج ، واسلحة الحرب التى بلغت خطورتها الى ان أصبحت رادعا يحول دون الحرب ذاتها .. هذا فضلا عن التغيير الاساسى الذى حققه هذا التقدم العالمى فى وسائل المواصلات لدرجة أن تلاشت المسافات وسقطت الحواجز التى كانت تفصل بين الامم فعليا وفكريا .

ان متانة الاقتصاد هى التى تصون الاستقلال وتؤكده ، وهى التى تبعد شبح الاستعمار ، وضعف الاقتصاد ، وضعفه وتفككه هو الذى يتيح الفرصة للاستعمار ليعود فى صورة مشروعات ومعونات أو جنود ..

فعندما يضعف الجسم ، فان قوة مناعته ومقاومته للامراض تقل .. ويصبح أكثر عرضة لتقبل الاوبئة بمختلف أنواعها ، ما لم يكن قويا صلبا يستطيع أن يطرد من طريقه شبح كل الجراثيم الحاملة للأمراض ، وكذلك الاقتصاد بالنسبة للشعوب ، فهو الاساس فى تكوينها .. وعليه يتوقف نموها .. كما يتوقف تحديد هويتها السياسية . والاقتصاد المتين هو الذى يقاوم الاستعمار ، ويناضل ضده ، ويقيم سدا منيعا أمام عودته بمختلف الصور ..

وحتى تقام القاعدة الاقتصادية المتينة التى تدعم الاستقلال لا بد أن يكون الاقتصاد قويا ، ولا بد له أن ينمو ولا بد من تطوير قوى الانتاج الداخلية بعيدا عن القوى الرأسمالية المحلية التى ليس عندها مانع من أن تتعاون مع الاستعمار والرأسمالية الاجنبية ولو على حساب البلد .

فهل تستطيع القوى الرأسمالية فى المجتمعات النامية ان تقوم بذلك حتى ولو لم تتعاون مع الاستعمار ..؟؟

الفكر الناصرى ـ وأمام تجربته يقول انها لا تستطيع .. لاسباب عديدة ، واذا استطاعت ذلك فى بعض الظروف فانه يتم فى اطار الاستغلال ، وفى اطار الاقتصاد الحر الذى يسعى وراء المشروعات الرابحة فقط ، ولا ينظر الى أى مشروع الا بمقدار ما يتيحه له من دخل ومن موارد .. وتجربة الناصرية من واقع المجتمع المصرى تقول ذلك كله ، فقد انطلق عبد الناصر من واقع المجتمع الذى عاشه ومن دراسته له كما قلنا .

ولقد كان المجتمع متخلفا يعتمد على الزراعة وزراعة القطن بالذات وهو أيضا أساس صادراته ، دخل الفرد منخفض ، الصناعة

فيه متخلفة ، الاستثمارات فيها قليلة ، البنوك وشركات التأمين والأراضى مملوكة لرأس المال الأجنبى ..

ويحدد جمال عبد الناصر من واقع المجتمع المصرى بأنه كان مجتمعا محكوم عليه بالتخلف :

« ان مجتمعنا كان مجتمعا محكوم عليه بضغطين » الضغط الاول : انه كان مجتمعا بطىء النمو .. والضغط الثانى : ان هذا المجتمع ـ الى جانب ركوده ـ كان يعيش فى حالة خلل محزن بتأثير التفاوت بين الطبقات ويكفى أن نذكر أن نصف فى المائة من السكان فى هذا المجتمع كانوا يحصلون على نصف دخله القومى كله . ولقد قلت السكان ولم أقل المواطنين ، لأن الواقع المر كان يشهد أن الطبقة الممتازة التى تقتطع لنفسها نصف الدخل الوطنى كله كانت خليطا من العناصر الأجنبية ، تسكن فى مصر بعض وقتها ولكنها لا تعيش الحياة المصرية » .

« من هذه الأوضاع ومن تفاعلها بظروف العصر فان الحل الاشتراكى بغير بديل هو الطريق للتقدم الاجتماعى والاقتصادى . كانت الاشارات لهذا الحل واضحة فى الضمير المصرى من قبل الثورة وعبرت عنها بطريقة أمينة مبادىء الثورة الستة ، والتى وضعت للتطبيق بعد انتقال سلطة الدولة الى يد ارادة الثورة ، وبدات عملية التحقيق بقانون الاصلاح الزراعى الأول ، ثم اسقاط قمة تحالف الاقطاع ورأس المال المتمثلة فى أسرة محمد على ، ثم استرداد قناة السويس وتمصير المصالح البريطانية والفرنسية ، ثم الاحتفاظ بها فى اطار الملكية العامة ، ثم تأميم البنك الأهلى وبنك مصر ، وتدعيمها بعد ذلك بقرارات أغسطس ١٩٦٣ وفى ذلك الوقت ، فان المسألة لم تكن مجرد استرداد وانما كانت الى جانب ذلك وبدرجة أكبر **مسألة اضافة وتوسيع** ، ولقد أقيم مجلس الانتاج بعد شهور من الثورة ، وتولى اقامة عدد من المشروعات العامة ، ثم انشئت أول وزارة للصناعة فى سنة ١٩٥٦ ، وقامت

على الفور تحت ظروف الحصار الاقتصادى الذى أعقب حرب السويس ، بوضع خطة ثلاث سنوات للصناعة مهدت فى الحقيقة لخطة التنمية بعد ذلك » (١)

« لقد تكالبت ظروف عديدة ، بمرور أحقاب طويلة من الزمن ، على تبديد الثروة القومية لشعبنا » .

« لقد كان هناك استغلال المماليك على اختلاف دولهم . وكان هناك استغلال الملوك والأمراء والدخلاء ، الذين لم تكن بلادنا تعنى بالنسبة لهم ، الا كونها ملكا خاصا ينفقون خيراته حيث حلى لهم »

« وكان هناك استغلال الحكم العثمانى ، الذى تحمل السلب والنهب لحساب أمير المؤمنين .. كما كان السلاطين من آل عثمان يسمون أنفسهم » .

« وكان هناك الاستنزاف المروع الذى تعرضت بلادنا له ، خصوصا فى الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة .. ذلك الاستنزاف الذى قام به عدد من أصحاب البنوك فى أوربا .. هؤلاء الذين حولوا مصر وقتها الى حقل كبير للقطن يكدح فيه العبيد .. ثم ينتهى جهدهم الذى بذلوا فيه العرق بل الدم أيضا .. ذهب فى أيدى المستغلين » .

« كانت هناك أعباء الحروب الصليبية .. وكانت هناك أعباء غزوات محمد على ، الذى لم يستهدف الا الفتح ، لتوسيع (امبراطوريته) لحساب آل عثمان ، آل محمد على » .

« وكانت أعباء حفر قناة السويس .. التى تحولت نقمة على الذين دفعوا ثمنها .. نعمة على الذين فازوا ، فى خاتمة المطاف ، حتى سنة ١٩٥٦ بكل ايرادها » (٢) .

« وفى القرن الماضى .. الاستعمار البريطانى والعيلة المالكة ، اتفقوا على استغلال هذا الشعب . الشركات الأجنبية المستغلة

(١) مؤتمر الانتاج ـ مارس ٩٦٧ ١ .
(٢) المؤتمر العام للاتحاد القومى يوليو ١٩٦٠

ايضا ، اتفقت مع العيلة المالكة ، على استغلال هذا الشعب .. كان فيه سخرة ، كان فيه استبداد ، كان فيه استغلال .. كان فيه ناس بتعمل وتموت .. تحفر الترع مجانا .. تسوى الأرض مجانا . وفيه ناس تملك الأرض وتملك المال . تملك خيرات الأرض .. تزيد المال .. وعن طريق زيادة المال ، تستطيع أن تزيد ارض » (١) .

« وبهذا كان هناك المجتمع الطبقى ، الذى يتحكم فيه الاقطاع المتحالف مع رأس المال » .

« وان اخطر ما نواجهه اليوم ، وما سوف نواجهه ، هو أن شعبنا تخلف أجيالا عن تقدمه ، بفعل ظروف مختلفة ، بعضها يرجع الى عوامل داخلية ، وبعضها الآخر يرجع الى عوامل فرضت عليه من الخارج فرضا » .

« اننا لا نملك أن نتخلف اطلاقا عن العالم الجديد .. ولقد بذلنا الكثير من التضحيات ودفعنا الكثير من الآلام .. اننا تخلفنا عن تطورين سابقين هما البخار والكهرباء .. »

« ولكن ذلك كله لا يقاس بما يمكن أن نتعرض له اذا فاتنا الفجر الجديد .. ان الذين يتخلون عن الفجر الجديد سوف يغامرون بحقهم فى الوجود » .

« هذه هى صورة المشكلة التى تواجهنا ، وأحب أن أضيف اليها .. ان هناك نتائج سياسية كبرى سوف تترتب عليها ذلك أن الفوارق بين الدول التى تساير التطور الكبير القادم .. والدول التى تعجز عن مسايرته سوف تكون أكبر بكثير من الفارق بين دول الاستعمار والشعوب التى رضخت لطغيانه » .

« ولقد كان القضاء على الاستغلال مقدمة طبيعية لعدالة التوزيع .. ولقد وجهت الى الاستغلال ضربات متلاحقة ، بدأت بالاصلاح الزراعى ، الى تأميم قناة السويس ، الى التمصير ، الى

(١) دمنهور ١٥ يونيو ١٩٦٦

تأميم البنوك وشركات التأمين وتجارة القطن ، الى قرارات يوليو المجيدة وقرارات أغسطس ١٩٦٣ وقرارات مارس ١٩٦٤ التى أنهت مشكلة التعويضات على التأميم . وقامت بعملية تصفية للامتيازات القديمة لم يكن منها مفر » .

« ولم يكن توجيه الضربات الى الاستغلال موقفا سلبيا ، ولكن تحويل رأس المال الضخم أداة الاستغلال الرئيسية ، الى الانتاج العام والخدمة العامة ، كان من أبرز نقط الارتكاز للعمل الوطنى الايجابى » .

« ان تحويل المقادير الضخمة من رأس المال الى ملكية الشعب العامل ، والى خدمته ، ساعدت الى حد كبير ، على تعزيز العمل من أجل الكفاية ، وخدمت الفرص المتكافئة للمواطنين سواء بالطريق المباشر ، أو بالطريق غير المباشر » .

« ان الأرض التى وزعها الاصلاح الزراعى من أملاك أى اقطاعى قديم ، حولت فلاحا معدما وأسرته ، الى مالك له حق الحياة .. ورأس المال الضخم ، الذى تحرر من الاحتكار ، شارك فى اقامة مصانع ، أتاحت عشرات الألوف من فرص العمل ، للذين كانوا يبحثون عن العمل ، وفوق ذلك فلقد فتحت أمام الألوف من الشباب المتعلم الذى كانت الحواجز تقف حائلا أمامه أبوابا الى مراكز القيادة فى وحدات الانتاج الضخمة » (١) .

« اننا رأينا قبل الثورة كيف أن الوزراء كانوا يشتغلوا عند الرأسمالية .. ازاى الوزراء بيقبصوا ، ازاى الوزير كان فى الحكم ، وكان ياخد ماهية من فلان أو فلان .. أمثلة بهذا الشكل كانت معروفة واتقالت فى محكمة الثورة » ..

« اذن ديكتاتورية رأس المال تحكم ، سواء كانت هى فى الحكم ، أو تحكم بواسطة أعوانها أو عملائها وهى تبقى خارج الحكم ،

(١) مجلس الامة مارس ١٩٦٥

ولكنها تدير الحكم لمنفعتها ولمصلحتها من أجل استغلال الشعب ، ومن أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح » ..

« ولا يمكن أن يخلق المجتمع الجديد ، بالشعارات وحدها بل بالعمل .. العمل هو الذى يخلق المجتمع الجديد .. العمل على انهاء سيطرة رأس المال على الحكم .. والعمل على انهاء الاقطاع .. والعمل على زيادة الانتاج .. والعمل على عدالة التوزيع ..

سيطرة رأس المال على الحكم ، معناه ديكتاتورية رأس المال ، وبقاء البناء الاجتماعى والاقتصادى لخدمة مصالح فئة قليلة وطبقة محدودة .. لخدمة الطبقة الرأسمالية (١)

واذا سيطرت الطبقة الرأسمالية على البناء الاجتماعى والاقتصادى ، فان معناه السيطرة على الحكم بطريق مباشر او غير مباشر .. ومعنى هذا ديكتاتورية الاقطاع وديكتاتورية رأس المال التى تحاول أن تخضع المجتمع كله للاستغلال والسيطرة ..

هذا الجيل هو الذى اختار قدره بالثورة . وهو الذى رسم لنفسه الطريق ، وحدد الهدف .

كانت الآمال طموحة ، وكان طموحها هو نفسه مسافة الرحلة اليها ، هو نفسه سبب التعرض الطويل للأخطار ..

ولكن هذا الجيل ، عقد عزمه منذ صنع الثورة ، على انه لابد من اللحاق بالأحلام الضائعة ، ولا بد من الوصول الى مستوى التقدم المقبول عالميا وانسانيا .

« انه بات محتما أن نسرع خطانا على طريق التنمية بأكثر من هذا القدر . ولقد طلبت الى الأجهزة المسئولة عن التنمية أن تدرس امكانية مضاعفة الدخل القومى فى أقل من عشر سنوات ولابد لنا أن نسير وان نبنى .. وما من جدال أن الاطار الاشتراكى للمجتمع

(١) عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦١

الآن يساعدنا على دفع عجلة الانتاج بسرعة أكبر مما قدرنا ونحن نضع الخطة .

« وعلينا واجب كبير من أجل بناء هذه الأمة ، ومن أجل أن ننجز فى ٣٠ سنة ، ما أنجزته أوربا فى ٣٠٠ سنة .. اذا كنا عازمين نعيش عيشة سعيدة (١) » .

« لقد أدركنا بوضوح ، أن التنمية لابد أن تقترن بالتوزيع ، كذلك أدركنا ، ان سلامة الاقتصاد الوطنى ، لا تقاس بسعر القطع بالنسبة لعملتنا فى أسواق المضاربة الدولية » .

« ان السلامة الحقيقية للاقتصاد ، تقاس بقدرته على الانتاج ، وليس يهمنا أن يظل النقد المصرى محتفظا بشكل قيمته ، متحررا عن أعباء التنمية ، متمسكا فى أسواق المضاربة الدولية عاطلا مستهترا ، لكنه براق المظهر يتحرك فى جو من الترف .. لم يكن ذلك ما نريده للنقد المصرى وما كان أسهل أن نوفر له الشكل الخارجى ، ونوفره عن العمل ، ونتركه للتسكع الطليق . لكننا نطلب من كل قيمة فى وطننا ، كما نطلب من كل انسان فرد ، أن يتحمل طاقته أداء للواجب .. ونهوضا بأمانيه (٢) » .

هل كان يمكن أن يلجأ عبد الناصر الى رءوس الأموال الأجنبية ؟؟.. الفكر الناصرى رأى فى ذلك امتدادا للاستعمار ، لذلك فهو يتحدث عنها بصراحة .

« فنحن لم نشجع هذه الاموال التى أرادت أن تستغل ، وفضلنا عليها القروض ، لأن رأس المال الأجنبى الذى يصل الى الجمهورية العربية المتحدة ، الى مصر ، يستخدم فى الاستثمار بالنسبة للصناعات الخفيفة والمتوسطة ، سيحقق كل عام ارباحا ، وستصير المطالبة بتحويل هذه الأرباح الى الخارج » .

---

(١) ٢٤ يوليو ١٩٦٢

(٢) مجلس الامة ١٩٦٤

« ومعنى ذلك أننا سندفع كل سنة فائدة محدودة لرأس المال تحول بالعملة الصعبة الى الخارج ، ولهذا فنحن فى مرحلة نفضل فيها أن نأخذ القروض ، ونسددها على سبع سنوات أو عشرين سنة او ١٢ سنة أو أكثر . ولهذا عندما نأخذ رأس المال الأجنبى ننتهى منه بعد عشر سنوات او أكثر » .

« وهناك استثناء واحد لهذه القاعدة .. بالنسبة للصناعات التى تحتاج الى استمرار البحث العلمى وأساس راسخ للبحث العلمى كالأدوية مثلا او المبيدات الحشرية ، وهذا طبق فى السنوات الماضية فى رؤوس أموال أجنبية استثمرت بالنسبة لشركات الأدوية .. ولكن اشترطنا أن يكون نصف رأس المال أجنبى ، ونصف رأس المال وطنى » .

« والمثل الآخر ، هو بالنسبة للبترول ، ونحن لدينا مناطق واسعة ولم نبحث فيها عن البترول أبدا ، وهذا خارج عن قدرتنا ، ولدينا اليوم شركات ١٠٠٪ رأس مال وطنى عندها ٦١ منطقة نبحث فيها عن البترول ولدينا شركات أخرى ٥٠٪ رأس مال وطنى ، وقدرتنا لا يمكن أن تحقق امكان البحث عن البترول فى جميع انحاء البلاد .. ولهذا فى الأيام الأخيرة ، أعطينا لرأس المال الأجنبى الحق فى الاستثمار على أن يكون شريكا لرأس المال الوطنى ، اى رأس المال من القطاع العام .. وبهذا تكون الشركات مختلطة ٥٠٪ راسمال اجنبى و ٥٠٪ راسمال وطنى (١) » .

« ان المصالح الرأسمالية المتحكمة فى الوطن ، أدركت منذ اليوم الأول ، انها لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الحكم لذى وضعته الجماهير الثورية ، فى قيادة التغيير الذى بدأ مع ٢٣ يوليو ٥٢ لكن الرأسمالية المتحكمة ، تصورت انها تستطيع تعزيز مواقعها الفعلية ، وزيادة تركيز احتكارها للثروة ، من احساسها برغبة الثورة فى توسيع قاعدة الانتاج » .

---

١ - المؤتمر الصحفى ١ اكتوبر ١٩٦٣ .

« ولم تدرك هذه المصالح أن أية ثورة تستحق هذه الصفة المجيدة .. يتعين عليها ان تسأل نفسها دائما زيادة الانتاج لمن ؟.. ولقد بدأت الارادة الشعبية الثورية تجيب على هذا السؤال عمليا بالاتجاه الى اقامة وحدات انتاج قوية يملكها الشعب ، نواة لقطاع عام ما لبث أن عزز نفسه بالسيطرة الكاملة على المال ممثلا فى البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية التى جرى تأميمها ونقلها الى الملكية العامة ، ثم اتباعها بقرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ التى ضمنت الملكية العامة للجزء الاكبر من وسائل الانتاج خصوصا فى المجال الصناعى ثم رسمت الحدود الواضحة للملكية العامة بحيث تشمل الهياكل الرئيسية للانتاج كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة ووسائل النقل البرى والبحرى .. وبعد ذلك الصناعات الثقيلة والمتوسطة والتعدينية وصناعات البناء .. الجزء المؤثر من الصناعات الاستهلاكية بما لا يسمح بالاستغلال » .

« وارتبط بذلك تحقيق اشراف الشعب الكامل على التجارة الخارجية وكسر أى احتكار فى التجارة الداخلية مع فتح مجالها واسعا فسيحا للنشاط الخاص » .

« وبذلك فان الاقطاع التقليدى ، الذى أراد أن يهرب الى المظهر العصرى للاستغلال الراسمالى ، قد تهاوى من جميع أركانه وتداعى ، خصوصا بعد أن فقد سند المصالح الخارجية شريكته فى نهب ثروة الشعب وجهده » . (١)

ويقول القائد « جربنا وسائل الاصلاح التقليدية .. جربنا التمصير قبل التأميم . ومصرنا وكالات ، ولكن وجدنا ان فيه اموال أيضا تتحول للخارج ، وفيه استغلال وكان هدفنا الأساسى أن نقضى على الاستغلال ، فكان لابد لنا من أن نتجه الى التأميم ، وأن نضع الأسس التى تمكننا من اقامة عدالة اجتماعية » . اقامة

(١) مجلس الامة مارس ١٩٦٤

مجتمع متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى(١) » .

وكان السبيل اذن الى تدعيم الاستقلال ، ليس الاعتماد على راس المال الاجنبى وانما التنمية الاشتراكية .

« السبيل الى تحقيق تدعيم الاستقلال ومواجهة الاستعمار والسبيل الى العمل على تحقيق أهداف الأمة العربية فى الوحدة هو أن نحقق أهداف الثورة .. أهداف الثورة ببساطة .. هى الكفاية والعدل .. اذا لم نحقق ذلك .. فاننا بهذا نكون قد تخلينا عن حاضرنا ، وفى نفس الوقت تخلينا عن مستقبلنا ، لاننا فى وقت لا يستطيع فيه انسان أن يقف جامدا فى مكانه ، من لا يتقدم يتاخر ، دى حكمة قديمة ، ولكن العصر الحديث أحكامه وعلومه أكدتها » (٢)

« هل نستطيع مثلا أن نتوقف فى التنمية ؟ هل نستطيع أن نتوقف فى رفع مستوى الانتاج ؟ احنا بنزيد كل سنة حوالى ٣ ٪ ، اذا كان مستوى التنمية كل سنة ٣ ٪ معنى ده ايه ؟ معناه ان احنا ما عملناش حاجة ، اللى بنبنيه بنخلف ناس تاكله ، وماتخليش من اللى بنبنيه حاجة أبدا للجيل الحاضر ، واذا كنا بنخلف وبنزيد بنسبة ٣ ٪ يبقى هل يمكن ٤ ٪ معدل تنمية تكفى مجتمعنا هذا ؟ ان مستوى المعيشة كل سنة حيزيد ١ ٪ . احنا فى تقييم الخطة الخمسية الأولى كان معدل الزيادة فى الانتاج كل سنة حوالى ٧ر٢ ٪ . اذا حسبنا ٣ ٪ أصلا زيادة فى السكان يبقى فعلا الزيادة الحقيقة فى مستوى المعيشة حوالى ٤ر٢ ٪ . اذن هل نقدر فى المستقبل ننزل التنمية عن ٧ر٢ ٪ ؟ احنا عاوزين طبعا معدل التنمية ٨ ٪ ومعدل الولادة ينزل من ٣ الى ٢ ٪ أو ٥ر٢ ٪ لان البلاد اللى بتتقدم بيخف معدل الزيادة السكانية فيها كل سنة » .

« احنا قدامنا حل من اثنين ، يا اما نشتغل بكل سرعة وبكل قدرة واكثر من قدرتنا ونوجد شغل لكل واحد فى هذه البلد ..

(١) عيد الثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٢
(٢) ٢٥ يوليو ١٩٦٦

يا اما نشتغل بالسرعة العادية وحيبقى عندى فى كل سنة عدد من العاطلين ومش حاقدر اوجد لهذا البلد الأكل ولا اللبن ولا اى حاجة . احنا بنزيد فى السنة ٧٠٠ ألف والستة مليون فدان هما الستة مليون فدان من سنة ١٩٥٢ كانوا أيام محمد على ٤ مليون فدان وكنا حوالى ٥ أو ٦ مليون وفى سنة ٥٢ كانوا ستة مليون فدان وكنا ٢٢ مليون النهاردة سنة ٦٤ الستة مليون فدان واحنا ٣٠ مليون وكل سنة حنزيد ٧٠٠ ألف .. طبعا علشان كده السد العالى كان بالنسبة لينا مسألة حياة أو موت ، السد العالى كمان مش كفاية ، حيدينا مليون فدان حنزودهم لكى يكونوا مليون ونص مليون ، الثروة المحدودة لا يمكن حتكفينا مع الزيادة فى السكان ، يبقى ليس أمامنا سبيل الا أن احنا نتحول الى دولة صناعية باسرع وقت ممكن » (١)

قضية التنمية اذن قضية ملحة وضرورية ، وهى لن تتحقق فى ظل خطة تهدف للقضاء على التخلف الا اذا كان الاقتصاد مملوكا للشعب ، وتحت سيطرته ، ويدار لخدمة أهدافه ، وأمانيه فى التقدم والرخاء .

وهذا الامر لم يكن ليتحقق بعيدا عن قيام القطاع العام الذى يسيطر على الهياكل الرئيسية للانتاج ، وفى ظل مبدأ اشتراكى هو مركزية التخطيط ، وفى اطار خطة عامة تهدف الى رفع مستوى المعيشة ، والقضاء على التخلف بجميع انواعه ومظاهره ، بادئا بالتخلف الاقتصادى الذى هو الأساس ..

ولقد عكست كلمات عبد الناصر هذه المعانى ، وأيضا عكست كيف تطور هذا الفكر على طريق التجربة حتى اهتدى الى ان الحل الاشتراكى هو الحل الحتمى والوحيد لمشاكل التخلف .. فجرت التمصير ، وجرب تشجيع رأس المال الأجنبى . ووجد ان ذلك كله لن يحقق آمال الشعب وان الطريق الوحيد لتحقيقها هو التنمية الاشتراكية ..

١ - ١٢ نوفمبر ١٩٦١

نعم .. اشتراكية علمية

اهتدى الفكر الناصرى اذن الى الاشتراكية العلمية كحل ضرورى ، ووحيد للتقدم ..

والاشتراكية العلمية هو لفظ أطلقه للمرة الأولى انجلز على مجموعة القواعد ، والنظريات التى توصل اليها كارل ماركس لكى يميزها على ما سبقها من ارهاصات الفكر الاشتراكى ، فى صورة اشتراكية مثالية ، وخيالية ، وتعاونية وغيرها .. ولقد استمر هذا الاصطلاح يطلق على الماركسية وحدها لفترة طويلة . على اعتبار أنها تقوم على العلم ، وأنها تصل الى النتائج عن طريق دراسة حركة المجتمع . وصراع الطبقات فيه .

وقد وصل عبد الناصر بفكره الى الاشتراكية عن طريق دراسة حركة المجتمع الذى عاش فيه ..

ومن هنا فقد توصل الى **الحل العلمى** والحتمى لمشاكل التخلف هو الاشتراكى .

واذا كانت الاشتراكية العلمية لفظ يرتبط بالماركسية ، فان عبد الناصر لم يأخذ بالماركسية ، وان كان قد التقى معها فى المنهج الذى درس من خلاله واقع المجتمع .. كما التقى معها فى كثير من الأصول النظرية الأخرى ، ولكنه انفرد عنها أيضا بعدد آخر من الافكار الجوهرية .

والدارس للفكر الناصرى الاشتراكى يرى أن عبد الناصر قد اعطى اضافات الى الفكر الاشتراكى تحدث لاول مرة فى التاريخ .

من هذه الاضافات وأبرزها على الاطلاق ان سلطة الدولة ذاتها هى التى أحدثت التغيير نحو الاشتراكية ، وهى التى قادت التحول الاجتماعى .

فقد كان من المتصور دائما حتى على المستوى النظرى ان احداث التحول الاشتراكى يتأتى بأحداث ثورة دموية تتولى السلطة لتقوم بالتغيير ، ثورة قامت من أجل هذا التغيير ، يسندها تنظيم حزبى قوى يخوض معركة الانقلاب على السلطة ، ويواجه أجهزة القمع بها حتى يتمكن من الاستيلاء على السلطة التى تمكن قيادة هذا الحزب من اجراء الثورة الاجتماعية .

تجربة عبد الناصر فريدة ، لان جهاز الدولة أولا هو الذى انقلب على الدولة ، فالجيش هو الذى قام بالثورة ، وبعد ان استولى على السلطة دون تنظيم حزبى جماهيرى يسنده ، وبرؤية واضحة ودراسة علمية لواقع المجتمع ، قاد عبد الناصر الثورة الاجتماعية بعد ٧ سنوات من توليه السلطة .

واحدث عبد الناصر اضافة اخرى وهامة هى انه يمكن أن تقوم ثورة اشتراكية فى دول العالم الثالث عموما دون ان تعتمد فى قيادتها على ديكتاتورية البلوريتاريا .

واحدث جمال عبد الناصر اضافة ثالثة تقول ان الدين هو دافع للتقدم البشرى ، وليس معوقا لتقدم الشعوب وتنميتها .

واحدث عبد الناصر اضافة رابعة تقول انه « ليست هناك بابوية فى الاشتراكية ومفيش نصوص جامدة ، ولا نصوص ناشفة » (١) فالمحظور الوحيد هو الاستغلال فقط ..

وقال الفكر الناصرى انه يمكن أن تكون هناك اشتراكية علمية، لا تؤمم كل وسائل الانتاج ، بل تترك المجال مفتوحا امام القطاع الخاص ، وأمام الملكية الفردية .

وهو يرى مع ذلك أن ما ينبغى أن يأخذ به المجتمع كطريق لتقدمه هو **الاشتراكية** القائمة على العلم .. وحده ..

وانه ليس هناك نظاما وسطا بين الاشتراكية والراسمالية .

ويقول (٢) « سمعت عمن يرى ان نظامنا نظام وسط بين الانظمة

(١) من حديث للشباب فى حلوان
(٢) حديث للاهرام

وبما اننا فى موقف وسط بين الشرق والغرب فكذلك يجب ان يكون نظامنا وسطا بين الشيوعية والراسمالية ، ثم سمعت عمن يرى انه نظام ابتكرناه ، واننا نؤمن به لاننا لا نقلد به أحدا »

« ولست أتصور ما هو أكثر بعدا عن الحقيقة من هذه التعليلات ، فالحياد السياسى ليس موقفا وسطا بين الشرق والغرب ، ثم ان اتخاذ موقف وسط فى مجال العقائد الاجتماعية أمر مستحيل ، كذلك ليس موقفا اخترعناه ننفرد به ، وانما هو التعبير الاصيل عن ظروفنا الخاصة » .

ان جوهر الاشتراكية واحد ، وتطبيقها يهدف فى النهاية للقضاء على استغلال الانسان للانسان ، بل لعل القائد يبسط النظرية الى حدودها الدنيا من التبسيط عندما يقول :

« بناخد الأمور بمنتهى البساطة ونبسط الناس ، نتكلم ما هى الاشتراكية ، احنا عاوزين ايه ، يعنى أنا نوبة قعدت ـ مع ناس ـ وبأقول لهم أنا عايز ايه اسألونى أنا عاوز ايه ؟ **أنا عاوز أشغل الاولاد، وأجوز البنات** زى أى عائلة .. أى عائلة عندها أولاد وبنات ، الراجل رب العائلة عايز أولاده يشتغلوا وبناته يتجوزوا » .

« طيب كيف نستطيع أن نحقق هذا يعنى نبسطها كده .. يبقى لازم نعمل تنمية ، لازم نعمل زراعة ، ولازم نعمل صناعة ، ولازم نعمل كذا . وبكده نبقى فعلا بنحقق الهدف أو بنقول عاوزين نمنع استغلال الانسان للانسان . » (١)

وقبل ذلك يبسط الزعيم والمعلم النظرية فى كلمات قليلة تدخل العقل والقلب معا فيقول : « ان الاشتراكية **ليست متاهات فلسفية** ، وليست شعارات ذات طنين .. انها فى النهاية بيت

١ ـ مؤتمر المبعوثين ١٦ مايو ١٩٧٠

سعيد لكل أسرة ، يقوم **على عمل** القادرين أو المهيئين للعمل رجالا ونساء .. بيت مفتوح **للصحة ، وللعلم ، وللثقافة ، مظللا بالأمان الاجتماعى** ضد المفاجآت .. **متفاعلا مع غيره من البيوت السعيدة ،** مشتركا معها فى أمر الاهتمام العام ، بأمر وطنه . وبأمور العالم الذى يعيش فيه » (١) .

وبهذا التبسيط والايجاز ، يلخص الفكر الناصرى نظرية عميقة ، فهى التى تعطى للمواطن حق ، العمل ، والعلاج ، والتعليم ، وتؤمنه ، ولا تعيش الاشتراكية وحدها فى جزيرة منعزلة ، بل انه من المحتم عليها أن تأخذ وتعطى وتتعامل مع « النماذج » الاشتراكية الأخرى ، وان تكون على وعى بما يدور فى وطنها وفى العالم كله ، وأن يكون لها موقف منه ، ورأى فيه ..

بهذا الجوهر الواحد للاشتراكية ، يرى عبد الناصر أنه ليس هناك اختلافات حول الاساس النظرى للاشتراكية العلمية .. ولكن قد يكون التطبيق متغيرا ...

ومن هنا كانت تجربة الناصرية فى التطبيق متميزة ..

وقبل التعرض لهذه السمات بشىء من التفصيل يمكن أن نلقى نظرة سريعة على الفكر الاشتراكى كما يراه عبد الناصر أسلوبا للتطبيق فى المجتمع وكنموذج جديد للتجربة الاشتراكية .

● **أولا ـ فى مجال الانتاج عموما :**

تكون الهياكل الرئيسية لعملية الانتاج ، كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة والسدود

(١) مؤتمر الانتاج

ووسائل النقل البحرى والبرى والجوى وغيرها من المرافق العامة فى نطاق الملكية العامة للشعب .

● **ثانيا ـ فى مجال الصناعة :**

تكون الصناعات الثقيلة والمتوسطة والصناعات التعدينية فى غالبيتها داخلة فى اطار الملكية العامة للشعب .

واذا كان من الممكن أن يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال **فان** هذه الملكية الخاصة يجب أن تكون تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله .

ويجب أن تظل الصناعات الخفيفة بمنأى دائما عن الاحتكار . واذا كانت الملكية الخاصة مفتوحة فى مجالها فان القطاع العام يجب أن يحتفظ بدور فيها يمكنه من التوجيه لصالح الشعب .

● **ثالثا ـ فى مجال التجارة :**

تكون التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل للشعب .

وفى هذا المجال فان تجارة الاستيراد تكون كلها فى اطار القطاع العام وان كان من واجب رأس المال الخاص ان يشارك فى تجارة الصادرات .

ويكون للقطاع العام الغالبية فى تجارة هذه الصادرات منعا لاحتمالات التلاعب ، واذا جاز تحديد نسب فى هذا النطاق فان القطاع العام لا بد له أن يتحمل عبء ثلاثة أرباع الصادرات مشجعا للقطاع الخاص على تحمل مسئولية الجزء الباقى منها .

يكون للقطاع العام دور فى التجارة الداخلية ، خدمة وتوزيعا مقابل ربح معقول لا يصل الى حد الاستغلال تحت أى ظرف من الظروف .

● **رابعا ـ فى مجال المال :**

المصارف تكون فى اثار اللكية العامة فان المال وظيفته وطنية لا تترك للمضاربة او المغامرة ، كذلك فان شركات التامين تكون فى اطار الملكية العامة صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية وضمانا لحسن توجيهها والحفاظ عليها .

● **خامسا ـ فى المجال العقارى :**

هنـاك تفرقة واضحة بين نوعين من الملكية الخاصة : **ملكية مستغلة او تفتح الباب للاستغلال ، وملكية غير مستغلة** تؤدى دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كما تؤديه فى خدمة اصحابها .

كذلك ففى مجال **ملكية المبانى** تتكفل قوانين الضرائب التصاعدية على المبانى وقوانين تخفيض الايجارات والقوانين المحددة لقـواعد ربطها بوضـع الملكية العقارية فى مكان يبتعد بها عن اوضـاع الاستغلال ، والزيادة فى الاسكان العـام والتعاونى تسهم بطريقة عملية فى مكافحة اى محاولة للاستغلال فى هذا المجال .

● **سادسا ـ فى مجال الزراعة :**

التطبيق العربى للاشتراكية فى **مجال الزراعة لا يؤمن بتاميم الأرض وتحويلها الى مجال الملكية العامة ، وانما هو يؤمن ـ استنادا الى الدراسـة والى التجربة ـ بالملكيـة الفردية للأرض فى حدود لا تسمح بالاقطاع .**

وهذه النتيجة ليست مجرد انسـياق مع حنين الفـلاحين العاطفى الطويل الى ملكية الأرض ، وانما الواقع ان هذه النتيجة نبعت من الظروف الواقعية للمشكلة الزراعية فى مصر ، التى اكدت قدرة الفلاح المصرى على العمل الخلاق اذا ما توافرت له الظروف الملائمة .

ان كفاية الفـلاح المصرى ، على امتـداد تاريخ طويل عميق بالخبرات المكتسبة من التجربة ، قد وصلت فى قدرتها على استغلال الأرض الى حد متقـدم ، خصوصا اذا ما اتيحت له الفرصـة للاستفادة من نتائج التقدم العلمى .

يضاف الى ذلك أنه منـذ عصور بعيدة فى التـاريخ توصلت الزراعة المصرية الى حلول اشـتراكية صحيحة لأعقـد مشاكلها فى مقدمتها الرى والصرف ، وهما فى مصر الآن ومنذ زمان طويل فى اطار الخدمات العامة .

ومن هنـا فان الحلول الصحيحة لمشـكلة الزراعة لا تكمن فى تحويل الأرض الى الملكية العامة ، **وانما هى تستلزم وجود الملكية الفردية للأرض وتوسيع نطاق هذه الملكية باتاحة الحق فيها لأكبر عدد من الأجراء ، مع دعم هذه الملكية بالتعاون الزراعى على امتداد مراحل عملية الانتاج فى الزراعة من بدايتها الى نهايتها .**

ان التعاون الزراعى ليس هو مجرد الائتمان البسيط الذى لم يخرج التعاون الزراعى عن حدوده حتى عهد قريب ، وانما الآفاق التعاونية فى الزراعة تمتد على جبهة واسعة .

انها تبـدأ مع عملية **تجميع الاستغلال الزراعى** الذى اثبتت التجارب نجاحه الكبير ، وتسايره عملية التمويل التى تحمى الفلاح وتحرره من المرابين ومن الوسطاء الذين يحصلون على الجزء الأكبر من ناتج عمله وتصل به الى الحد الذى يمكنه من استعمال احدث الآلات والوسائل العلمية لزيادة الانتاج ، ثم هى معه حتى التسويق الذى يمكن الفلاح من الحصول على الفائدة العادلة تعويضا عن عمله وجهده وكده المتواصل .

ان المواجهة الثورية لمشكلة الأرض فى مصر كانت بزيادة عدد الملاك .

لقد كان ذلك هو الهدف من قوانين الاصلاح الزراعى التى صدرت سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٦١ .

كذلك فان هذا الهدف ، **فضلا عن أهداف زيادة الانتاج ، كان من القوى الدافعة وراء مشاريع الرى الكبرى** ، التى أصبح رمزها العتيد سد اسوان العالى الذى خاض الشعب فى مصر صنوف الحروب المسلحة والاقتصادية والنفسية لكى يبنيه .

ان هذا السد أصبح رمزا لارادة الشعب وتصميمه على صنع الحياة ، **كما أنه رمز لارادته فى اتاحة حق الملكية لجموع غفيرة من الفلاحين** لم تسنح لها هذه الفرصة عبر قرون طويلة ممتدة من الحكم الاقطاعى .

ان نجاح هذه المواجهة الثورية لمشكلة الزراعة ـ المواجهة القائمة على زيادة عدد الملاك ـ لا يمكن تعزيزه الا بالتعاون الزراعى والا بالتوسع فى مجالاته الى الحد الذى يكفل للملكيات الصغيرة للأرض اقتصادا قويا نشيطا .

ان هناك بعد ذلك كله ثلاثة آفاق ينبغى أن تنطلق اليها معركة الانتاج الجبارة من اجل تطوير الريف :

* الأول : الامتداد الأفقى فى الزراعة ، عن طريق قهر الصحراء والبوار . ان عمليات استصلاح الأرض الجديدة لا يجب أن تتوقف ثانية واحدة . ان الخضرة يجب أن تتسع مساحتها مع كل يوم على وادى النيل وينبغى الوصول الى الحد الذى تصبح فيه كل قطرة من ماء النيل قادرة على التحول فوق ضفافه الى حياة خلاقة لا تهدر هباء ولا تضيع .

ان هناك كثيرين ينتظرون دورهم ليملكوا فى أرض وطنهم ، والمستقبل يحمل مع كل جيل جديد افواجا من المتطلعين بحق الى ملكية الأرض .

* والثانى : هو الامتداد الرأسى فى الزراعة ، عن طريق رفع انتاجية الأرض المزروعة . ان الكيمياء الحديثة قد درست طرق الزراعة واساليبها ، وذلك بواسطة الأسمدة والمبيدات الحشرية واستنباط انواع جديدة من البذور .

كذلك فان هناك احتمالات هائلة عن طريق العلم المنظم تمكن من تنمية الثروة الحيوانية بما ينمح الاقتصاد الزراعى للفلاح دعما محققا .

كذلك فان هناك احتمالات كبيرة وراء اعادة دراسة اقتصاديات المحاصيل الزراعية للأرض المصرية وتنويعها على أساس نتائج هذه الدراسة .

* والثالث : أن تصنيع الريف اتصالا بالزراعة يفتح فيه ابعادا هائلة لفرص العمل ، وينبغى أن نذكر دائما أن الصناعة بالتقدم الآلى ليست فى مركز يسمح لها بامتصاص كل فائض الأيدى العاملة على الأرض الزراعية ، وذلك فى الوقت الذى لم يعد فيه جدال فى أن حق العمل ، فى حد ذاته هو حق الحياة من حيث هو التأكيد الواقعى لوجود الانسان وقيمته .

هذه هى الخطوط الاساسية للفكر الاشتراكى الناصرى .. فى مجال التطبيق .. قطاع عام ، والى جانبه قطاع خاص .. القيادة للقطاع العام ، مركزية التخطيط ولامركزية التنفيذ ، الارض الزراعية تظل فى اطار الملكية الخاصة ، الانطلاق بالريف ، عن طريق التوسع فى الزراعة راسيا وافقيا وتصنيعه ، جعل المدينة مسئولة مسئولية ضمير ومصير عن الحياة الجديدة فى القرية .

الحرية للشعب .. وليست لأعدائه

الديمقراطية السليمة لم تكن أحد أهداف عبد الناصر فحسب ، بل كانت أحد الأسباب التى دعت الى قيام الثورة ، فقد كان تحقيقها ضمن المبادىء الستة التى أعلنتها الثورة فى بداية توليها السلطة عام ١٩٥٢

ومن أجل حياة ديمقراطية سليمة قاد الفكر الناصرى معارك عديدة ، سواء بتحرير الأرض ، أو بالقضاء على الاقطاع والرأسمالية المتحالفة معه .. أو بتوسيع قاعدة العمل السياسى حتى يسمح لجماهير المواطنين بممارسة حقهم الديمقراطى على أسس سليمة

وعبد الناصر يرى أن الشعب المصرى كافح طويلا من أجل اقامة ديمقراطية سليمة ..

ثورة ١٩١٩ كانت فى فكره تأكيدا لارادة الشعب فى الحرية ، والديمقراطية السليمة .

ويشرح القائد فى كل مجال قتال الشعب من أجل اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، والمراحل التى مر بها هذا القتال .

وهو فى شرحه لقتال الشعب من اجل الديمقراطية يربط دائما بين الديمقراطية السليمة وبين :

● **حق الفرد فى نصيب عادل من ثروة بلاده وأن يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره ، وأن يتخلص من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته .**

● حق الوطن فى أن يعيش متحررا بعيدا عن السيطرة الاستعمارية .

فالاستعمار ، والاقطاع ، والرأسمالية ، بكل ما تحمله تمثل عوائق ضد اقامة ديمقراطية سليمة لا يمكن أن تتحقق بعيدا عن تحرير لقمة الخبز . ففى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ وفى خطابه فى ميدان الجمهورية يروى قصة قتال الشعب من أجل تحقيق حياة ديمقراطية سليمة فيقول (١)

« كافح الشعب المصرى طويلا ضد السيطرة المعتدية الأجنبية والسيطرة المستغلة الداخلية ، وفى أواخر القرن الثامن عشر قام الشعب المصرى يطالب بحريته وبحقه فى الحياة الحرة الكريمة .

« قام الشعب وطالب الأمراء والمماليك بأن يشترك فى حكم الوطن وفى تصريف أموره ، ولكنهم رفضوا ، لكن الشعب اجبر الامراء على أن يطيعوا رغبته وأن يلبوا ارادته ، ووقع الامراء فى اواخر القرن الثامن عشر وثيقة بناء على رغبة الشعب ، قالوا فى هذه الوثيقة : ان الامراء تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه الناس .

« وانعقد الصلح على شروط منها : أن يكفوا ويكف اتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس وأن يسيروا فى الناس سيرة حسنة .

« واطمأن الشعب وأمن بعد أن وقع الامراء هذه الوثيقة الى انهم سيطبقونها والى انهم سيكفون واتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس والى أنهم سيسيرون بالناس سيرة حسنة . ولكن هل اتبع الامراء هذه الوثيقة ؟ .. هل عملوا بما وقعوا عليه ؟ .. لقد اطمأن الشعب وخدعه الامراء .. فساروا سيرتهم الاولى مرة

(١) الأفكار التى وردت فى هذا الخطاب هى نفسها التى وردت فى الميثاق الناصرى بعد ذلك ..

« ان المواطنين الذين وثقوا فى سنة ١٩٢٣ بالدستور اطمأنوا ، ولكنهم لم ينخدعوا ولم يسلموا ولم يستسلموا ، فكافحوا كفاحا طويلا مريرا من أجل حقهم فى الحياة والحرية حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لتحقق للوطن حقه فى الحرية وفى الحياة وقررت مبادئها الستة .. انهـا تهـدف الى : « اقامة حيـاة ديمقراطية سليمة » .

« كانت ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ ، تتويجا لكفاح المواطنين بنصر عظيم حتى يتولى أمره بنفسه وحتى يمسك زمام شأنه بيده .. ولكن الشعب استلهم العظة من ماضيه فقرر الا يخدع كما خدع فى أيام ابراهيم بك ، وفى أيام محمد على ، فلم يطمئن الى الامراء أو الى الحكام ، لم يطمئن أبدا كما اطمأن فى الماضى .. ولم يثق كما وثق فى الماضى ولكنه قرر أن يستمر فى كفاحه .

« وأعلنت الثورة فى أول يوم من أيامها .. انها تهدف الى اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، لينظم الشعب أمور هـذا الوطن بنفسه وبارادته ..

« ولم تكن الطريق سهلة ، بل لقد قابلت الثورة طريقا شاقة وصعبة ، لأنها قررت الا تخدع والا تطمئن ، فجابهت الحكام والامراء واصـــطدمت الثورة مع الحكام ومع الامراء لانها كانت تتسالح بالشك ولم تستكن الى الاطمئنان والى الثقة ..

« فأعلنت الثورة فى ١٦ من ينـاير ســـنة ١٩٥٢ انهـا لاقت المصاعب والمشاق الكبيرة من الحكام السابقين ومن الحزبيين ومن الاحزاب وانها حتى يمكن أن تحقق الاهداف التى قامت من أجلها لا بد لها من فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات تنتهى فى ١٦ من يناير سنة ١٩٥٦ .

« وفى هذه الفترة تمهد الثورة الطريق وتقضى على المخادعين والمضللين ، واصدرت الثورة فى ١٦ من يناير ســنة ١٩٥٣ بيـانا يقـول :

« لقد استمدت ثورة الجيش قوتها من ايمانها الكامل بحـ
جميع المواطنين فى حياة قوية شريفة وعدل تام مطلق وحرية كام
شاملة فى ظل دستور سليم يعبر عن رغبات الشعب وينظم العلاق
بين الحاكمين والمحكومين ، ولما كان أول أهداف الثورة هـو اجلا
الأجنبى عن أرض الوطن ولما كنا آخذين الآن فى تحقيق هذا الهدف
الاكبر والسير به الى غايته مهما تكن الظـروف والعقبات فاننا كن
ننتظر من الاحزاب أن تقـــدر مصلحة الوطن العليـا فتقلع عن
أساليب السياسة المخربة التى أودت بكيان البلاد وفرقت وحدتها
ومزقت شملها لمصلحة نفر قليل من محترفى الســياسة وأدعيـا
الوطنية .. ولكن على العكس من ذلك اتضـح لنا أن الشـهوات
الشخصية والمصالح الحزبية التى أفسدت أهداف ثورة سنة ١٩١٩
تريد أن تسعى سعيها ثانية بالتفرقة فى هذا الوقت الخطـير من
تاريخ الوطن » .

« واذن فان الثورة حينما قامت سنة ١٩٥٢ لم تطمئن ولم تثق
كما اطمأنت الثورات السابقة ، مثل ثورة سنة ١٩١٩ ، أو ثورة
عرابى ، وثورة الشعب ضد الوالى التركى ، وثورة الشعب ضـد
ابراهيم بك ومراد بك أيام المماليك ولكنها اتخذت من المـاضى عظة
وعبرة وتسلحت حتى تقضى على جميع الاسباب التى يمكن أن
تسير بهذه الثورة الى الانحراف .

« وسارت الثورة فى طريقها لتحقق للوطن أساسا متينا نظيفا ، وتخلص الوطن من الرجعية ومن الاستعمار وأعوانه .. وســارت الثورة وهى ترسى مبادىء الانسانية وهى تهدف الى اقامة مجتمع وطنى سليم تسوده الرفاهية والعدالة الاجتماعية لا مكان فيـه لسادة ولا مكان فيه لعبيد بل كلنا أحرار فى هذا الوطن ... كلنـا نشعر بالحرية وبالمساواة .

« سارت الثورة وهى لا تثق ولا تطمئن ، لا تثق فى كتابة الوثائق ولا تطمئن لتوقيع العهود ، فقد خدعنا كثيرا فى الماضى ، ولا بد أن نأخذ من ماضينا عبرة لمستقبلنا .

« سارت الثورة لتحقق الأهداف التى أعلنتها منذ ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ وكانت هذه الأهداف هى تحقيق أحلام الشعب وأمانيه .. وأحلام من كافحوا واستشهدوا من أبنائه وأمانى آبائنا وآمال أجدادنا .

« قامت الثورة وهى تهدف الى اقامة مجتمع وطنى قوى تسوده العدالة وترفرف عليه الرفاهية وكان الهدف الاول هو القضاء على الاستعمار واعوانه .

« ولكنها اصطدمت باعوان الاستعمار .. وتبينت أنهم خطر على الشعب بل اشد خطرا من الاستعمار .. فان الاستعمار لا يمكن ان يثبت أقدامه الا مستندا على اعوانه من أبناء هذا الوطن .. فاتجهت الثورة الى اعوان الاستعمار لتقتلعهم من جذورهم .. هؤلاء الذين باعوا بلدهم للشيطان لقاء دراهم معدودات .

« وحينما قضت عليهم استطاعت أن تقضى على الاستعمار .. فقد ترنح الاستعمار ولم يجد بين أراضى هذا الوطن من يسنده فاستسلم الاستعمار .

« واليوم ونحن نبدأ مرحلة جديدة من تاريخ وطننا لن ننسى الماضى أبدا بل سنأخذ من الماضى عظة وعبرة .

« وسنتسلح بتاريخ الماضى واحداثه .. لن نخدع ولن نضلل مرة أخرى ولكننا سنحمى ما حققناه من المكاسب والانتصارات ولن يخدعنا الاستعمار ولن يكون هناك أبدا أعوان بيننا للاستعمار لأن الشعب قد تولى أمره بيده وأصبح هو الذى يمثل السلطة العليا فى هذا الوطن .

« وكان لا بد أن نعمل على القضاء على الاقطاع .. الذى تحكم فينا والذى تحكم فى اراضينا والذى تحكم فى حريتنا . ولم يكن هدفنا من القضاء على الاقطاع أن نملك الناس وأن نملك الفلاحين فقط ، فان أرض مصر لا يمكن أن تملك لجميع أبنائها ، ولكننا كنا

تهدف فى الحقيقة الى الحرية والى التحرير .. حرية النفس وحرية الفرد ، اذ لا حرية فى بلد اذا لم يكن ابناؤه احرارا .. ولا يمكن ان نشعر بالحرية اذا كان افراد هذا الوطن يشعرون بالذل .. ويشعرون بالاستعباد .

« اتجهنا الى القضاء على الاقطاع واستطعنا بعد معركة طويلة شاقة أن نقضى على الاقطاع واستطاع أبناء هذا الوطن جميعا أن يشعروا بأنهم أحرار .. ليسوا ملكا لأحد .. ليسوا ملكا لاقطاعى أو ملكا لصاحب الارض أو ملكا لصاحب جاه .. لن يهددوا فى رزقهم .. أو فى قوت يومهم .. ولن يهددوا فى عيشهم .

« اننا بهذا نعمل على خلق مجتمع تسوده الحرية الحقيقية .. لا الحرية الزائفة .. الحرية التى يشعر بها الفلاح فى أرضه ، والعامل فى مصنعه ، والموظف فى عمله ..

« هذه هى الحرية ، ولا يمكن أن نقول : ان هناك ديمقراطية سليمة وأن هناك برلمانا ، وأن هناك دستورا ، اذا كان الفرد لا يشعر بحريه واذا كان الفرد مهددا فى رزقه ، واذا كان الفرد مهددا فى عيشه واذا كان الفرد مهددا فى يومه أو غده .

* * *

والعمل الديمقراطى السليم عند عبد الناصر يرتبط تماما بالحرية الاجتماعية ..

ولا يمكن الفصل بين الديمقراطية التى هى الحرية السياسية وبين الاشتراكية التى هى الحرية الاجتماعية ، انهما جناحا الحرية الحقيقية . وبدونهما أو بدون أى منهما لا تستطيع الحرية أن تحلق الى آفاق الغد المرتقب .

ويحدد عبد الناصر انه بعد معركة السويس ، وبعد أن انتزع الشعب حريته . وكشفت المعركة عن قدراته كان السؤال الذى طرح نفسه تلقائيا غداة النصر العظيم .. لمن تكون هذه الارادة الحرة التى استخلصها الشعب من قلب المعركة الرهيبة .

وكان الرد التاريخى الذى لا رد غيره هو :

ان هذه الارادة لا يمكن ان تكون لغير الشعب ، ولا يمكن ان تعمل لغير تحقيق اهدافه .

والحرية السياسية ليست نقل واجهات دستورية شكلية .

ان جوهر الديمقراطية يعنى الممارسة .. والممارسة لا تتاكد الا بالتحرر الاجتماعى ..

وتاريخ مصر يعكس ذلك .

فقد كان الاقطاع وراس المال يملك القوة الاقتصادية ويملك تبعا لها القوة السياسية فهو يقرر فى الميثاق :

« ان سيادة الاقطاع المتحالف مع راس المال المستغل على اقتصاديات الوطن كانت لا بد أن تمكن لهما طبيعيا وحتما من السيطرة على العمل السياسى فيه وعلى اشكاله وعلى ضمان توجيهها لخدمة التحالف بينهما على حساب الجماهير واخضاع هذه الجماهير بالخديعة أو بالارهاب حتى تقبل أو تستسلم .

« ان الديمقراطية على هذا الاساس لم تكن الا ديكتاتورية الرجعية .

« ان فقدان الحرية الاجتماعية لجماهير الشعب سلب كل قيمة لشكل الحرية السياسية التى كانت قد تفضلت بها عليها الرجعية المتحكمة حتى لقد صدر دستور سنة ١٩٢٣ منحة من الملك ومنة منه وتفضلا . »

« ان البرلمان الذى أقامه هذا الدستور لم يكن حاميا لمصالح الشعب ، وانما كان بالطبيعة حارسا للمصالح التى منحت هذا الدستور . »

« وليس من شك ان اصواتا كثيرة ارتفعت داخل البرلمان

تنادى بحقوق الشعب ، ولكن هذه النداءات تبددت هباء دون تاثير حقيقى .

« بل ان الرجعية لم يكن يضيرها أن تفتح متنفسا للسخط الشعبى ما دامت تملك جميع صمامات التوجيه وما دامت بيدها تحت كل الظروف اغلبيتها التى تمكن لديكتاتوريتها الطبقية وتحمى امتيازاتها .

« ولقد كانت القوة الاقتصادية فى مصر قبل الثورة فى يد تحالف بين الاقطاع وبين راس المال المستغل ، وكان محتما ان تكون الاشكال السياسية — بما فيها الاحزاب — تعبيرا عن هذه القوة وواجهة ظاهرة لهذا التحالف بين الاقطاع وبين راس المال المستغل .

« انه مما يلفت النظر أن بعض الاحزاب فى تلك الظروف لم تتورع عن أن ترفع من غير مواربة شعار أن الحكم يجب أن يكون لاصحاب المصالح الحقيقية . ولما كان الاقطاع وراس المال المستغل هما أصحاب المصالح الحقيقية . فى البلاد وقتها فلقد كان هذا الشعار اكثر من اعتراف ضمنى بالمهزلة التى فرضتها القوى المسيطرة على الشعب المصرى باسم الديمقراطية .

« ان هذا الشعار على أى حال — مهما بلغت درجة الايلام فيه — كان اعترافا صريحا وصادقا بالحقيقة المرة . »

وكانت النتيجة أن انعكس ذلك على :

× حق الانتخاب ..

× حرية الصحافة .

× العلم ومناهجه .

١ — فحق الانتخاب يرتبط بلقمة العيش .. فالجائع هو الذى

يبيع صوته .. ويجبر على انتخاب جلاديه ولا بد من أن يتحرر الانسان من الاستغلال فى جميع صوره ، وان تكون له الفرص المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية وأن يتخلص من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته حتى يستطيع أن يمارس حقه الانتخابى بحرية ودون ضغوط .

- ويحدد الفكر الناصرى بالنسبة للصحافة عوامل عديدة منعتها من أن تكون أداة للحرية السليمة ليست فى القوانين التى تقيد النشر فحسب بل وايضا فى التقدم الالى الذى جعل الصحافة صناعة ضخمة تحتاج الى تمويل كبير وهو أمر لا يتحقق الا اذا ساندتها الأحزاب .

- انعكس ذلك كله على العلم ومناهجه بحيث كانت مناهج التعليم تعطى جرعات من الاستكانة والاستسلام وتمجد المستغلين والحكام ، وتغرس فى النفوس مفاهيم ضد التقدم.

ولقد شخص عبد الناصر هذه الأمراض فى المجتمع قبل أن يضع لها اساسيات العلاج .. فقال فى الميثاق الناصرى :

المستغلين والحكام وتغرس فى النفوس مفاهيم ضد التقدم .

ان حق التصويت فقد قيمته حين فقد اتصاله المؤكد بالحق لقمة العيش .

ان حرية التصويت من غير حرية لقمة العيش وضمانها فقدت قيمة وأصبحت خديعة مضللة للشعب .

تحت هذه الظروف أصبح حق التصويت أمام ثلاثة احتمالات س لها بديل :

- فى الريف كان التصويت اجبارا للفلاح لا يقبل المناقشة . فلم يكن يملك الا أن يعطى صوته للاقطاعى صاحب الأرض او وفق مشيئته أو يواجه تبعات العصيان وأولها أن يطرد من الارض التى يعمل فيها بما لا يكاد ان يكفى لسد جوعه .

- فى الريف والمدينة كان شراء الأصوات يمكن رأس المال

٣ - فى الريف والمدينة لم تتورع المصالح الحاكمة فى عديد من الظروف ان تلجأ الى التزوير المكشوف اذا ما أحست بوجود تيارات متعارضة مع ارادتها . وكانت الشروط التى تجرى تحتها عمليات الانتخابات ، وفى مقدمتها اشتراط تأمين نقدى باهظ ، تصد جماهير الشعب العامل حتى عن مجرد الاقتراب من لعبة الانتخابات ، ولم تكن الا لعبة فى تلك الظروف . وفى نفس الوقت فان الجهل الذى فرض على الأغلبية العظمى من الشعب - تحت ضغط الفقر - جعل من سرية الاقتراع ، وهى أول الضمانات لحريته ، أمرا مستحيلا أو شبه مستحيل .

● ان حرية التنظيم الشعبى التى تسند حرية التمثيل الشعبى فقدت هى الأخرى بتأثير هذه الظروف فاعليتها ، وعجزت عن التأثير ايجابيا على الاوضاع المفروضة داخل الوطن .

● ان ملايين الفلاحين .. حتى من ملاك الارض الصغار ، طحنتهم الاقطاعيات الكبيرة لسادة الارض المتحكمين فى مصيرها ، ولم يتمكنوا على الاطلاق من تنظيم أنفسهم داخل تعاونيات تمكنهم من المحافظة على انتاجية أرضهم ، وبالتالى تعطيهم القدرة على الصمود وعلى اسماع صوتهم للاجهزة المحلية فضلا عن قصور الحكام فى العاصمة .

● كذلك فان الملايين من العمال الزراعيين عاشوا فى ظروف أقرب ما تكون الى السخرة تحت مستوى من الأجور يهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع ، كما ان عملهم كان يجرى من غير أى ضمان للمستقبل ولم يكن فى طاقتهم الا أن يعيشوا سنى حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتها الرهيبة .

● كذلك فان مئات الألوف من عمال الصناعة والتجارة لم تكن فى قدرتهم أية طاقة على تحدى ارادة الرأسمالية المتحكمة المتحالفة

مع الاقطاع والمسيطرة على جهاز الدولة وعلى سلطة التشريع ، وأصبح العمل سلعة من السلع فى عمليات الانتاج يشتريها رأس المال المستغل تحت أحسن الشروط موافقة لمصالحه . ولقد واجهت الحركة النقابية التى كان فى يدها قيادة هذه الطبقة المناضلة من العمال صعوبات شديدة حاولت عرقلة طريقها كما حاولت افسادها .

● ان حرية النقد ضاعت فى هذه الفترة ضياع حرية الصحافة

ولم يكن الامر هو مجرد القوانين الصارمة التى وقفت بالمرصاد لحرية النشر وفرضت بالتشريع محظورات ترتفع على النقد وتوسعت فى هذه المحظورات الى حد كاد أن يجعل الظلام دامسا وشاملا .

وانما طبيعة التقدم الآلى فى مهنة الصحافة نفسها أحدثت اثرا لا يقل فى صوره عما أحدثته قوانين القمع والكبت .

لقد كان من أثر التقدم الآلى فى مهنة الصحافة واحتياجاتها المتزايدة الى الآلات الحديثة والى الكميات الهائلة من الورق أن تحولت هذه المهنة العظيمة من كونها عملية رأى الى ان اصبحت عملية رأسمالية معقدة .

ان الصحافة فى هذه الفترة ، ومع هذا التطور ؛ لم تكن قادرة على الحياة الا اذا ساندتها الاحزاب الحاكمة الممثلة لمصالح الاقطاع ورأس المال أو اذا اعتمدت اعتمادا كليا على رأس المال المستغل الذى كان يملك الاعلان بحكم ملكيته للصناعة والتجارة .

ان سلطة الدولة والتشريع استعملت ـ أولا ـ فى اخضاع الصحافة للمصالح الحاكمة وذلك عن طريق قوانين النشر الظالمة وعن طريق الرقابة التى وقفت سدا حائلا دون الحقيقة .

كذلك تزايد الخطر على ما تبقى من حرية الصحافة ـ ثانيا ـ بتزايد احتياجات المهنة نفسها لمعدات التقدم الآلى ، ولم يعد فى قدرتها الا أن تخضع لارادة رأس المال المستغل وان تتلقى منه ـ وليس من جماهير الشعب ـ وحيها واتجاهاتها السياسية والاجتماعية .

ان حرية العلم التى كان فى مقدورها أن تفتح طاقات جديدة للامل تعرضت هى الأخرى لنفس العبث تحت حكم الديمقراطية الرجعية .

فان الرجعية الحاكمة كان لا بد لها ان تطمئن الى سيطرة المفاهيم المعبرة عن مصالحها ، ومن ثم انعكست آثار ذلك على نظم العلم ، ومناهجه وأصبحت لا تسمح الا بشعارات الاستسلام والخضوع .

* * *

.. ماهو العلاج ..؟؟

بالنسبة للحرية الاجتماعية كانت الاشتراكية

بالنسبة لحق العلم كانت مجانيته وتخليصه من ان يكون علما طبقيا محتكرا ، والمطالبة المستمرة باعادة صياغة مناهجه بحيث لا تكون غايته تخريج موظفين يعملون فى مكاتب الحكومة .

بالنسبة للقانون .. كان عبد الناصر هو الصوت الذى طالب **مرات ومرات بتقنين الثورة** . ووضع كل الاجراءات الثورية فى قوانين جديدة تستمد حيويتها من واقع المجتمع ومن التعبير عنه وهو الذى طالب بسيادة القانون . وجعل ذلك عاصما من جموح الفرد ، وضمانا لتحقيق العدالة الكاملة .

وعبد الناصر هو الذى رأى فى العدل المتمثل فى القضاء حقا

مقدسا لكل مواطن ولا يمكن أن يكون سلعة غالية بعيدة المنال عن المواطن ..

وبالنسبة للصحافة رأى عبد الناصر أن الضمان المحقق لحريتها هو أن تكون الصحافة للشعب لتكون حريتها بدورها مستمدة من حريته وامتدادا لها ..

وحتى يمكن أن تتخلص الصحافة من تأثير الطبقة الواحدة نقل ملكيتها الى الاتحاد الاشتراكى العربى ..

وفكر عبد الناصر لم يقف بالصحافة عند اصدار القوانين .. فقد طالب لها بحرية الحركة .. وان تنقد ، وتكون أكثر تعبيرا عن الطبقات الجديدة فى المجتمع . « فهذا المجتمع بالطبع مش مجتمع القاهرة ولا النادى الاهلى ولا نادى الزمالك ولا نادى الجزيرة ولا السهرات بتاع الليل ، ابدا مش هو ده احنا عاوزينه مش هى دى بلدنا بأى حال من الاحوال . (١)

« بلدنا هى كفر البطيخ ـ القرية اى قرية وأنا اقول كفر البطيخ كمثال لو تطلع على دمياط تلاقى بلد اسمها كفر البطيخ هى دى بلدنا هى دى نموذج بلدنا وهناك مشاكل بلدنا الحقيقية . »

« بلدنا هى كفر البطيخ ، اللى عاوز يكتب عن بلدنا يروح هناك ويشوف الناس اللى لابسين برانيط قش الارز طول النهار لكى يعيشوا دى بلدنا ..

« بلدنا ماهياش ابدا ان فلانة اطلقت أو فلانه اتجوزت أو فلانه بتجرى ورا فلان .. وسابت فلان ، ابدا أنا اتكلمت فى ٢٣ يوليو الماضى عن هذا الموضوع بالذات ويمكن كنت أريد الفت نظر الجرائد ولكن مع الأسف محدش فهم .. »

« ما هياش دى بلدنا أنا مالى ان فلانه تجرى مع فلان أو علان

(١) لقائه بالصحفيين بعد تنظيم الصحافة .

هذا الموضوع ما يهمنيش أنا بأى حال ولا يهم الرجال الموجودين فى القرية . »

وكنت أفضل بدل الكلام عن هذا النوع من السيدات ان يكتب عن المعاملات مثلا ، فيه عاملات طلعوا يأكلوا عيش بعرق جبينهم ويكافحوا بشجاعة وشرف . »

حرية الصحافة عند عبد الناصر هى أبرز مظاهر حرية الكلمة، وهو الذى طالب بتوفير الضمانات لكى تؤدى الصحافة دورها كاملا « فحرية النقد البناء والنقد الذاتى الشجاع ضمانات ضرورية لسلامة البناء الوطنى ولكن ضرورتها أوجب فى فترات التغيير المتلاحق خلال العمل الثورى » « وأى محاولة لاخفاء الحقيقة أو تجاهلها يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده للوصول الى التقدم » .

وعندما يجتمع عبد الناصر بقيادات الانتاج ويضع أمامهم نقاطا محددة للبحث يثير قضية النقد ، ويطلب اليهم أن يستمعوا الى كل رأى .. فالقطاع العام مملوك للشعب ومن واجب الجماهير عموما أن تناقش قضاياه بصوت مسموع فيقول :

« ولا بد أن نتذكر دائما ونحن نسمع النقد يوجه الى القطاع العام لبعض ما قد يلاحظ من جوانب القصور أو حالات الانحراف فى القطاع العام ـ ان السبب الرئيسى لذلك النقد ، سبب صحى فى معناه الأصيل ، اذ هو احساس بالملكية الشعبية للقطاع العام ، ان الجماهير لا توجه نقدا الى القطاع الخاص لأن ما يجرى فيه لا يعنيها مباشرة وليس موضع اهتمامها وحرصها »

ويثير أحد أعضاء المؤتمر موضوعا حساسا بالنسبة للصحافة لا يتعلق فقط بالنقد ولكنه أيضا يتعلق بحصول الصحف على بعض المعلومات التى يرى ضررا ـ على الأمن القومى ـ من نشرها .. فينصف عبد الناصر الصحافة ولكنه يطلب اليها أن تدرس وأقعها

وأن تكون علمية وبناءة فيما توجهه للقطاع العام من نقد ، لم يفرض فى نهاية كلمته رقابة على الصحف ، ولكنه طالبها بالنشر ، وفى نفس الوقت قال ان ما ستنشره الصحف سيحقق فيه فورا لاثبات صحته فان لم يثبت صحته فان الصحفى يعاقب ، لانه مسئول ويجب ان يكون أمينا ، وكان عبد الناصر يستطيع ان يفرض رقابة على الصحف تمنعها من النقد حتى غير الموضوعى على القطاع العام، ولكنه لم يشأ ان يتخذ من الرقابة على الصحافة الأسلوب الذى يفرض به نوعا من الحماية لاخطاء القطاع العام الاشتراكى ، فقد وجد أن فى نقده دائما ظاهرة صحية ، ولكنه كان يطالب دائما بالنقد العلمى والموضوعى ، وهذا شىء طبيعى فقد قال عبد الناصر :

بالنسبة للنشر فى الجرايد الحقيقة الجرايد وانا بدى اتكلم فى هذا الموضوع ـ احنا معندناش رقابة على الجرائد والمجلات ، وهذه الجرائد والمجلات لا تفرض على أحد من الدولة علشان يقول ايه اللى بينشر فيها وايه اللى ما بينشرش وعلى الأساس ده بيكون الموضوع هو موضوع توجيه ، والأمر يعود فى هـذا الى رؤساء مجالس ادارات المؤسسات الصحفية وهى ولو انها تابعة للاتحاد الاشتراكى ولكن لكل صحيفة ولكل مجلة مطلق الحرية فى العمل وفق الميثاق وفق الخط العام اللى احنا ماشيين عليه وبالنسبة

للاحصائيات انا باعتقـد انه من الصعب أنهم يطلعوا مثل هـذه العمليـات ـ العمليات دى بتطلع فى كل الدنيـا بنيجى فى نفس الجرايد .. فى الفاينتشال تيمز بتلاقى فيها كل هذه العمليات .. فازاى احنا بنيجى نقول ان النشر بيضر بينا الى آخر هذا الكلام .. هو الحقيقة الغلط منا لاننـا بنستورد فى الوقت اللى فيه مناسب ، يعنى بنفضل قاعدين لغاية ما يشح عندنا الصنف المعين، الناس كلها بتعرف ، اظن ولو ان انا بحسب من اول السنة ان انا عندى كذا طن من الصنف المعين هيقضينى كذا شهر ، وعلى هذا الاساس يبقى لازم استورد كذا طن وهيكفينى كذا شهر ، يبقى

لازم انا استورد كذا طن ، ومن أول السـنة باستورد متحصلش المشكلة ، ولكن سوء التوقيت ، سواء فى الاستيراد أو التصدير هو اللى بيسبب هذا الموضوع ، مش الجرايد هى أبدا اللى بتسبب هذا الموضوع ـ وبعدين الاحصائيات اللى بتطلع فى الجرائد ما هى موجودة عند السفارات لأن أول ما بتطلع احصائية وزارة الزراعة أو احصـائية اى حاجة عن انتاج وحتى الكلام اللى بيتداول فى الوزارات ماهواش كلام سر ، وهـذا الكلام معروف لكل الناس ومنقدرش نقول للجرايد ما تنشرش هذا الموضوع .

● **الحقيقة النقطة الثانية** اللى انت اتكلمت فيها يمكن ارى ان لك حق فيها ، انا بقرا الجرايد والمجلات وبالذات فى المجلات فيه حملة تشهير بالقطاع العام لا يرضى عنها انسان واى واحد بيقرأ هذه المجلات بيجد انه هناك تشهير ومش بس بالكتابة لكن حتى بالصور الكاريكاتيرية .. وحملة التشهير دى يعنى قد تكون عملية للفكاهة ، لكن هل المطلوب بأن احنا نحط فى عقول النـاس صورة القطـاع العـام تصوره وكأنه هو الغير امين على مسئوليته وغير امين على أملاك الشعب ، وهل صورة المدير هو الراجل اللى قاعد على مكتبه وجنبه عشر تليفونات وليه كرش وشنبين ويبرم شنباته وما بيعملش حاجة ـ هل دى الحقيقة .. هل دى هى الصورة اللى احنا عايزين نديها للقطاع العـام ؟.. هل هى دى صورة المديرين ؟..

« **الحقيقة زى ما قلت فى الكلمة اللى قلتها لكم ان اللى بيتكلموا عن القطاع العام حاسين ان الشعب مسئول فعلا عن هذا القطاع العام وله الحق انه ينتقده ، وبالنسبة للقطاع الخاص فمالوش حق انه ينتقده أو لا يهتم أن ينتقده** ، ولـكن انا بدى أقول حاجة للكل يعنى حصل كلام على انحرافات فى القطاع العام ، باقول انه على رغم هذا الكلام كله وعلى فرض ان العمليات دى حصلت فانه قبل ما تتامم هذه الشركات وهى فى القطاع الخاص كانت الانحرافات

اللى فيها عشرات اضعاف الانحرافات اللى احنا بنلاقيها النهاردة على قلتها فى القطاع العام وان القطاع العام بعد ما اخذ مسئوليته بالنسبة لهذه الشركات وهذه المؤسسات المؤممة استطاع ان ينجح اضعاف النجاح اللى كان موجود فى القطاع الخاص فأنا باطلب من اخواننا الصحفيين انهم يبصوا للقطاع العام على انه قطاع وليد لسه ما بقى له خمس سنوات من العمر وعايز التوجيه ، ومش عايز التسفيه ، وعملية التشهير ، والا معنى هذا ان القطاع العام بقى شىء غير مرغوب فيه وشىء مكروه ..

● **النقطة الثالثة** ممكن يحصل نقد ويكون هذا النقد الحقيقة نقد بناء ..

● **والنقطة الرابعة** : اللى هى الكلام على الانحرافات قبل ثبوت التهمه هو الحقيقة ما قدرش ابدا أقول ان الصحافة متكتبش .. لازم الصحافة تكتب ، ولكن بأقول ان الصحيفة اللى تكتب حاجة ما تثبتش تؤاخذ المسئول عن الصحيفة والمسئول عن المجلة

بنتبع الطريقة دى من هنا ورايح أى جريدة او مجلة تكتب عن انحرافات .. ح نجيب الجريدة أو المجلة وهاكتب عليها السيد رئيس اللجنة العليا لرقابة الدولة ويا اما الصحيفة صح ويبقى المسئول يؤاخذ .. يا المسئول صح والصحيفة غلط .. ويبقى المسئول فى الصحيفة تؤاخذه ـ وما أقدرش أقول ما نكتبش .. وما نتكلمش .. عايزين نكون صدرنا واسع ولكن تحدد هذه العملية بهذا الشكل ..

هو انا الحقيقة اللى بيهمنى فى الكلام أكثر عن الانحرافات الصورة اللى بيحاولوا يبينوا بيها المديرين والقطاع العام وشكل المدير كراجل استغلالى ..

هل كل المديرين اللى عندنا استغلاليين !..

مش متصور العملية بهذا الشكل او الراجل اللى راكب عربيته طولها كذا متر ، طب واذا كان منصب رئيس مجلس الادارة هو اقصى ما يصل اليه الانسان فى العمل المهنى ، طيب ما هو لازم يبقى عنده عربية ، واذا كان هيخدم طول حياته كلها حتى يصل لمنصب رئيس مجلس الادارة ، وما بيقاش عنده عربية طيب امتى هيبقى عنده عربية .. طيب وبعدين رئيس مجلس ادارة الجريدة اللى بتكتب الكلام ده عنده عربية ولا معندوش .. طبعا عنده عربية اللى بيوصل لرئيس مجلس ادارة مؤسسة صحفية وصل الى أقصى ما يمكن أن يصل اليه صحفى فى جهاده وفى العمل فيقوم لازم يكون عنده عربية ولازم يكون عنده مكتب ولازم يأخذ أقصى حد بالنسبة للمرتبات .. وبأقول برضه احنا بنقلل المرتبات بتاعة الشركات بنزلها عن ٥٠٠٠ جنيه فى السنة ولسه ما نزلناش مرتبات رؤساء مجالس ادارات الصحف عن خمس آلاف ، فالعملية كلها لازم نحطها ولازم نشوف ايه الصالح العام ..

عملية التشهير بالقطاع العام أصلا عملية غير مقبولة عملية النقد البناء عملية مقبولة وانا بأقول اى واحد من الصحفيين بيقدر يكتب عن الانحرافات لكن لازم يكون فيه مؤاخذة ..

زمان لو واحد فى القطاع الخاص كتبوا عنه أشياء غير حقيقية بيرفع قضية فى المحكمة وبيطالب المجلة بتعويض ، احنا مش عايزين الحقيقة تقول النهاردة ان الشركات تروح ترفع قضايا كل يوم وكل يوم سايبين شغلهم وماسكين الصحفيين فى المحاكم ولكن اى كلام بهذا الشكل يبحث فى لجنة الرقابة العليا للدولة ، أعتقد ان ده كل الكلام ، والا فيه حاجة تانية ؟

وكانت قضية حرية الصحافة قد أثيرت قبل ذلك فى مؤتمر

المبعوثين بالاسكندرية واجاب عليها عبد الناصر بحسم . بانه ليست هناك رقابة على الكلمة المكتوبة .

« بالنسبة لموضوع الحرية : صدقونى ومتصدقوش الكلام اللى بتسمعوه بره .. احنا معندناش رقابة على الصحف .. ورئيس تحرير الصحيفة هو المسئول .. الصحف بره معروف فيها ايه .. بعض البلاد النامية .. انجلترا لها جرايد .. امريكا لها جرايد .. والرأسمالية المحلية لها جرايد .. هل هذه هى الصحافة الحرة .. أما ان تعبر هذه الصحف عن رأى الدول الاستعمارية الامبريالية .. او تعبر عن المصالح الراسمالية فى البلد النامية .. واحنا لم نؤمم الصحف ولكننا ملكناها للاتحاد الاشتراكى و ٥٠٪ من الارباح للعمال و ٥٠٪ منشئات جديدة وجريدة الاهرام عملت مبنى كبير ١٦ أو ١٧ دور من دخل الصحيفة ونحن لا نعين الصحف .. ولا نعين اى صحف .. والعمال بياخدوا الارباح .. والمرتبات اتصلحت .

« هل معنى حرية الصحافة ان تشتمنا .. فيه بره ناس كثير بتشتمنا وكان فيه وقت كان ١١ محطة سرية بتشتمنا .. راديو لندن ، وراديو فيصل ، وراديو بن جوريون بيشتمنا .. الشتيمة متوفرة والحمد لله واللى عايز يسمع .. »

« لكن الجرايد بتنقد .. والجرايد بتنقد القطاع العام .. ووصلت فى نقدها الى اكثر من اللازم .. مثلا روزاليوسف لها نقد مر جدا للقطاع العام . اى حاجة بتتنشر عن القطاع العام بيحصل فيها تحقيق ونتحرى لمعرفة هل هذا صحيح أم لا ..

« الصحافة حرة فى حدود الميثاق .. لكن لا يمكن أقبل صحيفة تقول عايزين مجتمع رأسمالى .. هذا عمل مضاد للثورة .. وهذه صحيفة الثورة المضادة ، سمعت انكم زعلتم من آخر ساعة لانها جابت سيرتكم على خفيف ..

* * *

ويضيف الفكر الناصرى أبعادا جديدا لضمان تحقيق

الديمقراطية لقوى الشعب العاملة فى عدد من المجالات منها :

● **ديمقراطية الادارة** ، ولا تتمثل فقط فى اشراك العاملين فى ادارة المرافق ، ولكن الى جانبها لا بد من مناقشة الخطط على مستوى المشروعات .

فان وعى كل مواطن بمسئوليته المحددة فى الخطة الشاملة ، وادراكه المحدد لحقوقه ، ومكاسبه من نجاحها ، فضلا عن انه توزيعا للمسئولية على نطاق الأمة بما يقرر احتمالات الوصول للاهداف ، فهو أيضا عملية انتقال ثورية بمعنى العمل الوطنى من العموميات الشائعة المبهمة والغامضة الى وضوح ذهنى وعملى يربط الانسان الفرد فى نضاله اليومى بحركة المجتمع كلها ويشده فى اتجاه التاريخ كما انه يوجه به حركة التاريخ فى نفس اللحظة .

● **الوضوح الفكرى** : وهو أكبر ما يساعد التجربة على النجاح كما ان التجربة فى الوقت نفسه تزيد فى وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبة .

● **تشجيع الكلمة المكتوبة** لتكون الصلة بين الجمع .

● **توافر الحرية فى مراكز الانتاج جميعها** « لكى يتمكن جميع العاملين فيها من أن يعطوا جهدهم الفنى والوطنى من اجل اكمال العمل » .

● **رجوع القيادات الشعبية** الى قواعدها وتأكيد مسئوليتها أمام المنابع الأصلية لقوتها « ولا بد لنا أن نذكر دائما ان القواعد الشعبية مفعمة بالثورة الطبيعية وان ثورية القواعد والحاحها الدائم من اجل التقدم سوف تكون قوة دافعة لثورية القيادة » .

● **مواجهة المراهقة الفكرية** فهى خطر ينبغى التصدى له

والقضاء عليه .. وخطره فى مرحلة التحول يخلق نوعا من الارهاب المعنوى يعرقل التجربة والخطأ .

● **من حق الجماهير ان تعرف كل الحقائق** « وانما الأمانة الثورية ان تكون لدى الجماهير صورة كاملة لمسئولياتها بلوغا لآمالها » .

● **عدم تكديس سلطات كبيرة فى ايد قليلة** فان ذلك « يؤدى بدون جدال الى انتقال السلطة الحقيقية الى غير المسئولين عنها بالفعل أمام الشعب » .

● **القيادات الجديدة** عليها أن تتصرف على أنها « لا تمثل طبقة جديدة حلت مكان الطبقة القديمة ، وانتقلت اليها امتيازاتها » .

● **العلم لا بد** ان يصل الى الجماهير العريضة « فالعلم وحده هو الذى يجعل التجربة والخطأ فى العمل الوطنى تقدما مأمون العواقب » والسلطات الشعبية بدون العلم « قد تستطيع أن تثير حماسة الجماهير ، ولكنها بالعلم وحده تقدر على العمل تحقيقا لمطالب الجماهير » .

● **ازالة التصادم الطبقى الذى** « يهدد الحرية الفردية للانسان المواطن ، بل ويهدد الحرية الكاملة للوطن كله بأن يفتح من الثغرات فى صفوف الشعب ما يتيح الفرصة للاخطار الخارجية المتربصة بالوطن » وازالة التصادم الطبقى لا تحقق الا بازالة الطبقة .. التى فرضت الاستغلال فبذلك ينفتح الباب للتبادل الديمقراطى الذى يقترب بالمجتمع كله من عصر الحرية الحقيقية .

● **الديمقراطية السليمة** تزيل التناقض بين الشعب والحكومة حين تحولها الى اداة شعبية « والصحافة الحرة يجب ان تكون امينا على الارادة الشعبية ، شأنها شأن المجالس النيابية .

● **سيادة القانون** تتطلب أولا تطويرا واعيا لمواده ونصوصه بحيث تعبر عن القيم الجديدة فالقانون « هو فى حد ذاته صورة من صور الحرية ولا بد أن يسايرها فى اندفاعها الى التقدم ، ولا يجب ان تكون مواده قيودا تصد القيم الجديدة فى حياتنا . (١)

● **المساواة** بين الرجل والمرأة وكان عبد الناصر هو الذى اعطى نصف الشعب الذى ظل مشلولا ، وممنوعا من ممارسة حقوقه السياسية هذه الحقوق ، عندما نص فى دستور ٥٦ على مساواة المرأة بالرجل منحها الحقوق السياسية ثم اكد مع هذا الحق فى الميثاق الناصرى وبرنامج ٣٠ مارس عندما وضع ذلك ضمن المكتسبات الاشتراكية ، التى يجب أن ينص عليها الدستور الدائم .

* * *

الخطوات التى رأى عبد الناصر فيها ضمانا لتحقيق الديمقراطية السليمة بعد ان حقق الحرية الاجتماعية .

●● **أولا :** « لا تتحقق الديمقراطية السليمة فى ظل سيطرة طبقية لذلك أقام تنظيما على اساس من التحالف على « أنه لا يمكن تجاهل أو انكار الصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات ، وانما ينبغى ان يكون حله سلميا فى اطار الوحدة الوطنية ، وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات .

وكانت صيغة الاتحاد الاشتراكى العربى هى التى اتخذها الفكر الناصرى وسيلة ، لتحقيق ذلك (١) .

---

(١) الميثاق .

(٢) انظر فصل التنظيم السياسى فى هذا الكتاب .

●● **ثانيا :** ممارسة النقد والنقد الذاتى . وقد مارسه عبد الناصر نفسه مرات عديدة ، كما وقف بعد هزيمة يونيو العسكرية ليتحدث عن أضخم عملية لنقد النفس تمت فى البلاد .. بأسرها ..

●● **ثالثا :** تأكيد سلطة المجالس الشعبية المنتخبة فوق الأجهزة التنفيذيه ويتحدث عنها القائد فى عيد السد باسوان ١٩٦٣ فيقول :

« والى جانب الاتحاد الاشتراكى العربى توجد المجالس الشعبية ، والاتحاد الاشتراكى العربى له واجبات حددها القانون الذى ينظم التنظيم السياسى وينظم قوى الشعب العاملة حتى لا تتسلل الرجعية »

« أما المجالس الشعبية فهى منتخبة من بين أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى العاملين ، مجالس شعبية منتخبة فى القرية ، والمدينة والمحافظة ، وفى الجمهورية مجلس الامة ، واختصاص المجلس الشعبى فى القرية هو **مراقبة** وتوجيه مجلس القرية ، والعمدة ، أى **السلطة التنفيذية** ، وبذلك نستطيع أن نحل مشاكل القرية »

« ان فى القرية مشاكل ، ونحن نعتبر أن أهل القرية أقدر الناس على حل مشاكلهم اذا ما تعاونوا مع السلطة التنفيذية ، واذا وصل صوتهم الى السلطة التشريعية . وفى الماضى ، لم تكن السلطة التشريعية فى الديمقراطية الزائفة تدافع الا عن مصالح كبار ملاك الأرض والراسمالية المستغلة »

« أما اليوم .. فالمجلس الشعبى المنتخب فى القرية ، تنتخبه كل القرية ، لجنة الاتحاد الاشتراكى العربى فى القرية تنتخبها كل القرية ، ولجنة الاتحاد الاشتراكى العربى فى المصنع ينتخبها كل المصنع ، وفى المحافظة ، والمدينة مجلس مدينة ومعه مجلس شعبى منتخب . »

« المجلس الشعبى المنتخب غير تنظيم الاتحاد الاشتراكى ، ولكن هذا المجلس الشعبى عضويته مقصورة على أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ، لكى يناقش ويراقب ويوجه رئيس المدينة ، وبهذا تستطيع المدينة أن تعرف مشاكلها وتحلها وفقا لمصلحة الشعب . »

« كذلك فى المحافظة يوجد مجلس اتحاد اشتراكى يمثل تحالف قوى الشعب العاملة ، ومجلس شعبى منتخب فى المحافظة ، العضوية فيه مقصورة على أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ، والانتخاب لعضويته انتخاب مباشر فى المحافة . هذا المجلس الشعبى يراقب مجلس المحافظة ، ويستطيع ان ينتقد ويوجه ويراقب .. وبذلك تحل مشاكل المحافظة ، واذا لم تحل ترفع الى السلطات العليا لحلها . »

« أما مجلس الأمة فهو يمثل الجمهورية كلها ، وله أن يثير المشاكل التى لم يمكن حلها فى القرية ، أو المدينة ، أو المحافظة لحلها وفقا لمصلحة الشعب كله ..! »

●● **رابعا :** جماعية القيادة فهى أمر حتمى لا بد من ضمانه فى مرحلة الانطلاق الثورى ، ان جماعية القيادة ليست عاصما من جموح الفرد فحسب وانما هى تأكيد للديمقراطية على أعلى المستويات كما أنها فى الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد

شرح عبد الناصر فى الجلسة الثالثة للمؤتمر الوطنى ما يعنيه بالقيادة الجماعية فقال :

« القصد من القيادة الجماعية ان نعيد تنظيم الحكم فى الدولة بحيث اننا نشتغل على اساس مجالس مش على أساس افراد ونعمل لنقضى على الروح الفردية لان الروح الجماعية هى اللى حتكون دايما عاصم من الغلط والانحراف » ■

ولقد كان صوت عبد الناصر هو الذى ارتفع دائما من بالتحذير من الاعتماد على الفرد .

فهو الذى نادى بأعلى صوته فى مجلس الأمة (١) .

« ان الارادة الشعبية هى التى تملك أن تصنع قياداتها وان تحدد لها مكانها .. انى لأرفع صوتى هنا أمامكم محذرا من الاعتماد على الفرد .. ان الشعب أبقى وأخلد من كل قائد .. مهما بلغ اسهامه فى نضال أمته »

« أقول أمامكم هذا وأنا أدرك وأقدر أن هذا الشعب العظيم أعطانى من تأييده ، وتقديره ما لم أكن اتصوره يوما أو أحلم به .. لقد قدمت له عمرى ، ولكنه أعطانى ما هو أكثر من عمر أى انسان .. لقد اسلم الى أمانة لم أكن أتصور أن يتحملها فرد .. واقول لكم الآن ـ ربما لاول مرة ـ اننى لم أكن أنام الليل أيام العدوان

وأؤكد لكم ان العدوان لم يكن مصدر أرقى .. ولكن الأرق كان من احساسى بالأمانة التى وضعتها فى يدى ثقة الشعب العظيم بى ، ولئن كانت مرحلة التحول العظيم قد حتمت تركيز مثل ما كان فى يدى من السلطات لمواجهة القرارات الحاسمة ، فانى اقول لكم اننى اليوم أشعر بسعادة غامرة ، وأنا أرى هذا المجلس الموقر يحمل نصيبه التاريخى من المسئولية ، ويواجه التبعات المتزايدة والمتسعة لمرحلة الانطلاق العظيم » .

« والمسألة الثانية اننى حرصت على ان يكون هناك نص صريح يواجه احتمالات أى طارىء يقع على رئيس الجمهورية ، ولقد كان غياب مثل هذا النص الصريح يشغل بالى طوال التجربة الماضية .. ان حياة أى انسان وديعة لخالقه ، يستردها حين تشاء ارادته ، ومن ناحية اخرى فلقد كنت ادرك أننى أتعرض لمفاجآت لا حصر

(١) ٢٥ مارس ١٩٦٤ .

لها طوال مرحلة التحول العظيم ، ولم تكن بى خشية على نفسى ، فاننى أقدر مسئولية ما فعلت منذ اليوم الذى بدأ فيه العمل لتنظيم الثورة .. لكن الخشية كانت على وطنى .. ان آمال هذا الوطن والنتائج العظيمة التى حققها بعمله لا بد أن تصـــان فوق كل المفاجآت . »

« لقد كان لا بد من نظام يرسم الطريق الذى يتبع لكى تبقى الامور ذاتها فى يد الشعب ، يقرر فيها رأيه ويعمل ارادته وانى لاشعر بالراحة والرضى ان هذه الفجوة الخطيرة التى كنت أشعر بها وراء ظهرى قد وجدت لها حلا . »

فرغم ثقة القائد باجماع الجماهير عليه ، فقـد كان يصر على أن الطريق الديمقراطى هو الطريق السليم ارساء لتقاليد العمل السياسى ..

* * *

يوم طالب المؤتمر الوطنى بانتخابه رئيسا للجمهـورية مدى الحياة رفض ، وأعاد شرحه لفكرة جماعية القيادة ، وقال اننـا يجب أن نتخلص من العواطف ونحن نناقش مستقبل الوطن كله ، كان العضو قد قال ان عبد الناصر كافح وناضل ، ولكن عبد الناصر رد الكفاح والنضال للشعب فقد قال (١) :

« جماعية القيادة ، موضوع أثير أيضا ، أنا باعتبر احنا مرونا بمرحلة عشر سنين من الثورة ، ولازم ننتقل الى مرحلة أخرى ، أزاى نطبق هذا ؟ جماعية القيادة ضرورية .

« جماعية القيادة تمنع نزوات الفرد أو انحرافه ، الحقيقة انه قد آن الاوان بعد عشر سنوات ان احنا نفكر ونشتغل بطريقة

(١) المؤتمر الوطنى الجلسة الثالثة .

ثانية . الطريقة الثانية تختلف كلية عن الطريقة اللى احنا فيها النهاردة .

« بنتكلم عن القيادة الجماعية ، بعدين اقول مفيش واحد ينفرد بالسلطة ، ويطلع الاخ ويقول مدى الحياة .

« بالعـــاطفة مش ممكن مقـــدرش نقول الشخص يشتغل مدى الحياة .. افرض انه عجز عن الشغل ترجع فى كلامك العاطفة دى مشكورين عليها .

« من النواحى العاطفية كلنا بنبقى حاســين بهــذه النواحى العاطفية ، ولكن عايزين نتكلم كلام واقعى وعلمى علشان نبنى بلدنا ، احنا عايزين قيادة جماعية ، اللى حرر الشعب هو الشعب

وكافح فى كل مجالاته ، الفلاح كافح علشــان اولاده ، يقعــد من الصبح الى الليل ، والعامل كافح ، والمثقف كافح ، والمهندس كافح والطبيب كافح .

« بدى اقول لكم لا يمكن لواحد وحده عمل شىء مطلقا .

« هات اكبر كبير فى هذه الدنيا او اعظم عظيم فى هــذه الدنيا لخليه لوحده ، ميقدرش يوصل لغاية العتبة ، ويتوه فى السكة . ايا باكلمكم الكلام العلمى ، مفيش واحد يقدر يحرر شعب الا اذا كان هذا الشعب مستعد علشان يضحى ويحرر نفسه طبعا .

« مفيش واحد يقدر يقف قصاد الانجليز انا يوم ٣٠ اكتوبر جالى الانذار البريطانى ، ايه قدرتى انا علشان اقف قصاد انجلترا وفرنسا ، طيب اعمل ايه ولا حاجة ولكن كنت متاكد ان الشعب هو اللى حيقف .. علشان كده لم اتردد ورفضت الانذار الانجليزى

« لو جال بفكرى او بخاطرى ان الشعب حيتردد كنت تردد كنت متاكد مائة فى المائة واخواتنا موجودين هنا وكانوا متاكدين ان الشعب يقف بعناد وصلابة ولكن لو كنت حاقف انا لوحدى مفيش فايدة فى هذه العملية ، وهم كانوا متصورين العكس هم

متصورين انى اقف انا لوحدى وعلى هذا الأساس كانوا بيتدخلوا هذا الشعب اللى خرجت منه واللى انا عارفه ، حتى يمكن اللى مختلفين فى بعض النواحى ، حتى هؤلاء الناس كنت متاكد على اساس معرفتى لهذا الشعب حيكونوا اصلب عودا وده اللى حصل سنة ١٩٥٦ وده السر الكبير للانتصار .

« فى أول غارة نزلت من البيت علشــان اطلع لمجلس الوزراء وكنت قلق يوم ٣١ اكتوبر ووصلت وكان فيه غارة جوية ، والعربيات واقفه ، والانوار مطفأة ووصلت لميدان المحطة فوجدت فيه ناس واقفين وعرفوا العربية ، وقالوا حنحارب حنحارب وكان ده بعد الغارة بساعة او ساعة ونصف . ده هو الانفعال الشعبى ، والشعب هو اساس كل شىء فيه ناس بتسأل وتقول مين يضمن لنا ان الكلام ده حينفذ ، انا مضمنش ، انتم الشعب هو اللى ينفذ « بالعربى ده يرجعنا مرة أخرى للتنظيم . »

« اذن القصد من القيادة الجماعية ، ان نعيد تنظيم الحكم فى الدولة ، بحيث اننا نشتغل على أساس مجالس مش على أساس افراد ، ونعمل لنقضى على الروح الفردية لان الروح الجماعية هى اللى حتكون دايما عاصم من الخطا والانحراف .

* * *

يوم قال عضو فى الدورة الأولى للمؤتمر القــومى للاتحــاد الاشتراكى العربى ان مصر هى عبد النــاصر رفض عبد النــاصر

وقال ان الشعب هو البـــاقى ، وان مصر كانت موجودة قبل عبد الناصر وسوف تظل موجودة بعده .

* * *

ويوم اختاره مجلس الامة بالاجماع مرشحا لرئاسة الجمهورية ذهب فى فبراير ١٩٦٥ للاجتماع باعضــاء مجلس الامة فى لقــاء تاريخى ـ للهيئة البرلمانية ـ وسالهم .. لمــاذا الاجماع .. لمــاذا انتخبتمونى بالاجماع .. وكان لا بد ان التقى بكم قبل الاستفتاء

ارساء للتقاليد فى المستقبل ، وقال عبد الناصر بالنص فى الاجتماع الذى عقد خصيصا لهذا الأمر :

« كان فى فكرى ان نبدأ فى وضع تقليد الاجتماعات التى نشترك فيها جميعا من وقت طويل ، ولكن طبعا وزى ما قلتلكم فى الاول ، انا قررت وأنتم على وشك الذهاب الى ناخبيكم فى دوائركم قبل الاستفتاء انه لا بد أن يحدث هذا الاجتماع .. »

« الحقيقة انا اشعر ان ما لى عند النـاس يجعلهم يعطوننى اصواتهم .. باقول ان ٩٥٪ من الناس ولكن أنا لما باقول الشعب اعطانى ما لم أكن أحلم بيه فانا فى الحقيقة باشعر بهذا صادقا . الشعب عاش الثورة ، وطبعا ده هو مش بيدينى ده لشخصى ، لانى انا جمال عبد الناصر بن عبد الناصر حسين : اللى طلع من العيلة الفلانية اللى كذا واللى كذا .. ابدا انا الحقيقة بيدينى ده لاعمال قامت . ما اقدرش اقول انى قمت بيها . لسبب بسيط ، لان مفيش واحد فى الدنيا يقدر يعمل حاجة اللى بيعمل حاجة بيعمل حاجة بناس معاه ، بيعتمد على هذا وعلى ذاك .. بيعمل فالكلام اللى اتعمل **مهواش جهدى ابدا** ، ولكن الظروف جعلتنى موضع القيادة فى هذا العمل ، فيه ناس بيقولوا على ايه عملية الترشيح والاستفتاء ؟ طب ما هو جمال عبد النـاصر حا يدخل وينجح ، **وسمعتهم طبعا يقولون هذا الكلام . وفيه ناس قالوا : طب وعلى ايه نصرف فلوس ونعمل الاستفتاء ؟ أنا برضه سمعت هذا الكلام وجالى ، وعلى ايه المجلس ؟ طبعا مهو جمال عبد الناصر حينتخبوه أنا واثق من البداية ان المجلس لن يمانع فى ترشيحى** . لكن ليه تركت له عملية الترشيح .. واجراءات الاستفتاء ؟ والحقيقة اللى أنا قلته لكم يوم الترشيح فعلا أناكنت متردد فى عمليةالترشيح واتكلمت فيها من أكثر من سنتين ، لا مهواش ده موضوع شخصى؛ الكلام اللى أنا قلته لكم يوم الترشيح فعلا انا كنت متردد فى عملية الترشيح واتكلمت فيها من أكثر من سنتين ، لا مهواش ده موضوع

شخصى ، هو الحقيقة احنا قدامنا مسئوليات كثيرة جدا ، فعلا زى ما قلنا ، قلنا كثير ، ان بناء المصانع سهل . وبناء البشر هو الصعب العسير .. فعلا بناء البشر هو الصعب العسير .. مكنتش باقول انى انا حاروح يعنى اقعد فى بيتنا .. لا . كنت باقول انى انا حاروح الاتحاد الاشتراكى ونقعد .. بهذا الكلام اللى انتم حاسين بيه مركز جهودنا كلنا لهذا . ومع هذا اقتنعت ان الحل المنطقى هو اكمال ما لا بد من اكماله . »

« كان ممكن ان احنا نستغنى عن الاجراءات . وانا طلبت من الاخ حسين الشافعى ان الاتحاد الاشتراكى ان الموضوع مش على هذا الاساس . الصحف بدأت تكتب ، انا لم امانع أن الصحف تكتب . ولكن كنت باقول مفيش داعى مطلقا لاى جهود منظمة ليه ؟ فيه ثلاث أسباب احنا النهاردة **يجب أن نضع التقاليد ترسم طريق ، ولو حتى من ناحية الاجراءات ، فى المستقبل ، مستقبلنا . مفيش حد حيقعد على طول** .. مفيش حد على طول فى شغلته ، لازم أجيال جديدة حتيجى ، ولازم الدنيا حتتغير والناس حتتغير . لازم نوضع اجراءات تكفل أن يكون اى مرشح يتقدم فى المستقبل للرياسة فعلا معروض على الشعب ، وتكون هناك فرصة ، حتى قبل ما يروح الشعب للاستفتاء ، يحس فيها مجلس الامة بارادة الشعب ، لان مجلس الامة هو اللى بيرشح ، حاتيجى مراحل حيبقى فيه اثنين مترشحين ، وثلاثة مترشحين . **وأنا كنت أتمنى الدور ده فيه حد يرشح نفسه .** »

« وكما انا بدى برضه اقول والله حاجة . **أنا كنت أتمنى ميكنش ترشيحكم بالاجماع ليه ؟** بنوضع أسس للمستقبل . حانقول **بتاخد الامور عاطفية لان فيه علاقات عاطفية مربوطة بينى وبينكم بقى لها سنين طويلة وقديمة بدأت مع ٢٣ يوليو لغاية النهاردة ، معلهش ، لكن انا باتكلم عن المستقبل .** »

الفكر السليم .. نسأل انفسنا : الدولة ما هى .. ما هى الدولة ؟
الدولة يا اما هى حكم الرجعية أو حكم الطبقية .. حكم الاقطاع ورأس المال .. أو الدولة هى حكم الشعب العامل .. والدولة هنا مع التنظيم السياسى بيمثلوا شىء واحد ، اذا كان التنظيم السياسى هو تنظيم الشعب .. مش تنظيم الطبقة .. تبقى الدولة تصبح ممثلة للشعب لا تمثل الطبقة اللى أنا بقوله هنا فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الطليعة .. الطليعة الثائرة .. زى ما قلنا فى الميثاق ان الطلائع الثورية قامت واستولت على الحكم استيلاء من مين ؟ من الرجعية وراس المال اللى كانوا ماسكين الدولة وبيحكموا ..

وبهذا لأول مرة .. يستعيد الشعب أو يأخذ الشعب بزمام الحكم مامشيناش بقى فى طريق الرجعية ومامشيناش فى طريق الرأسمالية .. صفينا الاقطاع .. وصفينا الرأسمالية .. خلصنا جميع الشركات الاجنبية اللى هنا .. كلها اتأممت .. كل البنوك اتأممت مشينا فى هذا كطلائع ثورية للشعب العامل .. الشعب العامل هو اللى بيحكم النهارده .. لان احنا مابنحكمش لصالح طبقة .. مابنحكمش لصالح البرجوازية .. ولكن بنحكم لصالح تحالف العمال والفلاحين والمثقفين .. لصالح قوى الشعب العامل كلها العملية بهذا الشكل بيبقى سيرها يختلف عن التفكير اللى احنا بنقوله ، لان لما نيجى فى فرنسا .. فرنسا تؤمم وهى دولة رأسمالية يبقى الرأسمالية اللى بتحكم هى اللى مسكت المصانع وتوجيها لاتجاه راسمالى . لكن هنا لما تحالف الشعب العامل .. هو اللى بيحكم وبيهدف الى اذابة الفوارق بين الطبقات .. والقضاء على تحالف الاقطاع ورأس المال يبقى على طول الحكم هو حكم الشعب العامل .. ازاى بقى بعد كده .. نفذنا الديمقراطية ومشينا فى هذا بالنسبة للقطاع العام عملنا نسبة من مجلس الادارة للعمال .. اللى هى ابتدينا باثنين من سبعة وخطتنا دلوقتى حانبتدى نزود .. حانعمل النص عمال والنص من الادارة يبقى تقريبا واحد زيس اللى معين .. وبعدين طبعا حنقابل بعد كده .. المشكلة الادارية

اللى قابلتها جميع الدول الاشتراكية .. مشكلة البيروقراطية .. لازم بنقابلها – لان دى – متلازمة باستمرار مع الاشتراكية . . واجبنا احنا .. ينبثق عننا .. اللى هو الاشتراك فى مجلس الادارة .. ثم الاشتراك فى الارباح لان العامل يحصل على ٢٥ ٪ من الأرباح .. ممثل العامل فى مجلس الادارة بيعترض على شراء عربية لمجلس الادارة .. لان شراء عربية لمجلس الادارة بدون داعى معناها انها على حساب ارباح العمال .. بيعترض على صرف أموال بدون داعى لانه أيضا بيكون ده على حساب العمال .. ده حصل مثلا فى الشركات ..

« وبذلك يستطيع الاتحاد الاشتراكى الممثل لتحالف قوى الشعب أن يحافظ على أموال الشعب .. بالنسبة لكل هذه العمليات نعتبرها عملية ديمقراطية كاملة .. وخطوات ديمقراطية كاملة .. النتيجة بهذا الانتاج زاد .. والنتيجة بهذا ان العامل حس انه بيشتغل لنفسه وان المصنع ملكه .. ملك الشعب يعنى فيه تجربة هنا تحتاج الى دراسة » .

حدد عبد الناصر دور العمال المنتخبين فى مجلس الادارة بأنهم يشتركون فى الادارة ممثلين لزملائهم تحقيقا لديمقراطية الانتاج ، وكوسيلة للرقابة الداخلية على المشروعات بحيث توجه لمصلحة الجماهير .

* * *

ان اهم الاضافات التى احدثها عبد الناصر ، هو ضمان تمثيل الاغلبية الساحقة من الشعب بـ ٥٠٪ من المقاعد فى مختلف التنظيمات الشعبية المنتخبة ..

فيحدد الميثاق بأن التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب الحر المباشر لا بد لها أن تمثل بحق وبعدل القوى المكونة للاغلبية ، وهى القوى التى طال استغلالها والتى هى صاحبة

مصلحة عميقة فى الثورة ، كما أنها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان » .

« ان ذلك فضلا عما فيه من حق وعدل باعتباره تمثيا للاغلبية، ضمان أكيد لقوة الدفع الثورى نابعة من مصـــادرها الطبيعية الاصلية . »

ولكن لماذا ٥٠٪ من المقاعد للعمال والفلاحين بالذات ..؟؟

« لاننا نريد ان يصل صوت الفلاح صاحب الحق الطبيعى فى الثورة والاشتراكية لكى تحل جميع مشاكله ، وذلك لاننا لا نستطيع القول باننا نعرف كل مشاكل الجماهير فى كل قرية وفى كل مدينة ، بيد أنه من المحتم علينا العمل لحل هذه المشاكل حلا جذريا ، ومن طريق الاتحاد الاشتراكى العربى ، وتنظيم تحـالف قوى الشعب العاملة ، وبتكوين المجالس الشعبية فى القرية والمدينة والمحافظة ، ومجلس الامة نستطيع ان نسمع صوت القرية ، للمدينة والمحافظة، كما نسمع صوت الشعب فى مجلس الامة .

« ونسبة الخمسين فى المائة للعمال والفلاحين فى مجلس الامة ضمان للديمقراطية السليمة ، العمال والفـلاحون الذين سلبت حقوقهم السياسية سنوات طويلة ، والذين كانوا دائما ضـحايا تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل ، اليوم لهم ٥٠٪ من جميع التنظيمات الشعبية ولهم أيضا ٥٠٪ من مقاعد مجلس الامة لانهم أصحاب المصلحة الحقيقية والاصيلة فى الثورة ، بالخمسين فى المـائة المحددة يكون فى استطاعتهم حماية المكاسب التى حققناها وبذلك نحمى الثورة ، ونبنى بلادنا بناء سليما على أسس ثابتة ودعائم قوية من الحرية والعدل والاشتراكية . »

ويضيف عبد الناصر فى جلسة المؤتمر الوطنى الثـالثة وهو يشرح الحكمة فى وضع هـذا النص فى الميثاق الذى أكد عليه فى برنامج ٣٠ مارس فيقول :

« أنا لمـا وضعت الفقرة الخاصة بالعمال والفلاحين وان يكون

لهم ٥٠٪ من جميع التنظيمات الشعبية بما فيها المجلس النيابى كنت حاطط كلمة (**على الأقل**) وبعدين شلتها ؟ فيه واحد بيقول من ضمن الاسئلة هل معنى هذا ان الانتخاب الحر المباشر سليم ده يمكن يخلى الانتخاب المباشر غير سليم .

« ايه الحكمة ؟ ليه ٥٠٪ ؟ حنا نرجع مرة ثانية نقول فى حـكم الطبقة مين اللى كانوا تعبانين ومستغلين ؟ مين اللى كان بيشتغل وياخد نتيجة عرقة الثانى ؟.. العامل والفلاح ، الأرض هى بتساوى حاجة من غير الفلاح .. اللى كان عنده الف فدان اذا ما زرعوهاش الفلاحين يقدر هو يجيب نتيجة .. هو اللى جاب له المحاصيل اللى كانوا ياخدوها بالعشرة آلاف والعشرين الف .. العمال هم اللى بيشتغلوا فى المصنع وصاحب العمل هو اللى يحقق فى آخر السنة نصف أو ربع مليون جنيه ربح واذا العمال ما شتغلوش مش حيقدر يدور المصنع العمال هم اللى تسببوا فى هذه الارباح .

● **فى أول مايو ١٩٦٨ وليلة الاستفتاء** على برنامج ٣٠ مارس وضع عبد الناصر تعريفا جديدا للعامل والفلاح غير التعريف الذى وضعته لجنة المـائة التى انبثقت عن المؤتمر الوطنى والتى وضعت تقرير الميثاق قبل الاستفتاء .

وذلك حتى يستفتى على البرنامج وعلى التعـريف الجـديد باعتبار ان خطابات عبد الناصر هى جزء مكمل للبرنامج على النحو الذى شرحه فى اللجنة المركزية بعد ذلك .

ولقد كان التعريف القديم من الاتسـاع بحيث سمح بتسلل عناصر كثيرة استطاعت أن تحتل ـ عن طريقه ـ مقاعد العمـال والفلاحين فى المجالس المنتخبة وعلى راسها مجلس الأمة .

لذلك حرص عبد الناصر قبل الاستفتاء على برنامج ٣٠ مارس ان يضع تعريفـا جديدا أكثر تحـديدا ، وحتى يمكن ان تجرى الانتخابات ـ فى الاتحاد الاشـتراكى ومجلس الامة ـ التـالية للاستفتاء على الاساس الجديد ..

التعريف الذى وضعه عبد الناصر يقول :

●● **الفلاح** : هو الذى لا يحوز أكثر من عشرة أفدنة ، على أن تكون الزراعة مصدر رزقه ، وعمله الوحيد ، وأن يكون مقيما فى الريف ..

●● **العامل** : هو الذى يعمل يدويا أو ذهنيا ويعيش من دخله الناتج عن هذا العمل ، ولا يحق له الانضمام الى نقابة مهنية سواء كان من عمال الصناعة أو الزراعة أو الخدمات .

* * *

عبد الناصر كان يؤمن حقيقة بالديمقراطية .. وفى كثير من المواقف التى اتخذها ادلة بارزة على ذلك ..

ولعل من أوضح هذه المواقف موقفه عند انتخاب اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى .

فقد أجلت اللجنة المركزية اجتماعها اسبوعا واعطت عبدالناصر القائد تفويضا بترسيح اعضاء اللجنة ..

وبعد الاسبوع عادت اللجنة الى الاجتماع ، واعلن عبد الناصر عن رفضه للتفويض الذى منح له ، وقال انه ظل اسبوعا يفكر ، ولكن الأمانة ومسئولية التاريخ كانت أمامه أكبر من ان يضع أى قيد على حرية اختيار اعضاء أعلى قيادة سياسية فى البلاد .. وعلى امتداد ثلاث جلسات استغرقت أكثر من ١٥ ساعة كان الحاح الأعضاء عليه ، وكان رفضه القاطع ، وهذه المناقشة من أمتع المناقشات وأكثرها تعبيرا عن أصالة عبد الناصر وقد يكون من المفيد أن ننقل بعض الاجزاء منها ..

قال القائد للرد على كل الذين يطالبونه بترشيح أسماء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى :

« سبب أساسى من الأسباب اللى خلتنى قلت الكلام اللى قلته فى أول الجلسة .. هو الموضوع الحقيقة مش موضوع عدم قدرة ، كلمة عدم القدرة بتدى انطباع ، يعنى ما حدش يجب يتقال عليه انه غير قادر انه يعمل العملية ، لكن العملية كبيرة جدا الحقيقة

العملية ما بيقالهاش صدى فى البلد على أساس أن اللجنة التنفيذية العليا هى أعلى تنظيم سياسى المفروض بعد كده اللجنة المركزية بتقعد ثلاث أيام وبعدين كل واحد يروح الى قواعده ويبجى بعد ست أشهر فاذن اللجنة التنفيذية العليا هى عملية أساسية ، ده الحقيقة اللى خلانى جيت النهارده وقلت الكلام اللى أنا اتكلمته فى اول الجلسة كنت أقدر يعنى أجيب أسامى بس ، ماقدرتش أوصل الى الاربعتاشر اسم ، مش نتيجة عدم قدرة الحقيقة أنا لما جه الاخ فريد عبد الكريم وقعد اتكلم معايا ، اتكلم وجرجرته فى الكلام .. فأتكلم ، ومع الامناء الآخرين الحقيقة الكلام ده مفيد جدا ، كلام مفيد الكلام اللى بيقوله .. النهاردة أيضا عايزين عناصر جديدة علشان تقدر تطلع وتفضل تجرى من قرية لقرية يعنى الواحد كان سنة ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ كان بيطلع بيخطب ١٨ خطبة ، وانا أفتكر مرة فى ٢٣ يوليو طلعت من الصبح فى عربية مفتوحة ، ولفيت وجه بحرى كله ، خطبت ١٨ خطبة ورجعت بالليل ، وانا قاعد على ظهر العربية على كبود العربية المفتوحة ، بس ما تقدرش تطلب منى النهارده أن أنا أعمل هذا الكلام اللى كنت باعمله سنة ١٩٥٣ (كده ولا ايه يا دكتور) .. فاحنا عايزين الناس اللى تطلع وتفضل تجرى وتروح فى الكفور والبقاع يعنى احنا عندنا صالونات بس مش معطرة (ضحك) يعنى حكاية الصالونات المعطرة ، ويعنى حتى الواحد مابيجيلوش الفرصة انه يقعد فيها ، يعنى مثلا أنا عندى صالونات فى قصر القبة كثيرة جدا بس أنا مامبروحش الصالونات دى الا لما بييجى ضيف اذا مافيش ضيف أنا مابروحش هذه الصالونات ، ماهواش الموضوع الحقيقة صالونات معطرة ولا كذا بل العكس ده يمكن أيضا الكلام اللى قاله الاخ صبرى فى جانب الاسباب اللى أنا قلتها ، فعلا عايزين عناصر تضمن الاستمرار عايزين ايضا عناصر تضمن التجديد وممكن عندنا ، أنا بدى أقول نتحلل من النظام الداخلى أيضا الى حد ممكن نقول ان احنا بنعمل لجنة تنفيذية لمدة سنتين أو سنة أو ثلاث سنين زى ما قال اظن

الأخ الخواجه قال كده عايزين نحل الحقيقة وعايزين نشتغل .. وبعدين عايزين نضمن ان احنا باستمرار يبقى عندنا أحسن الحلول وأنسب الحلول أنا شايف من الكلام ان فيه اتجاه الى تكوين اللجنة فى الحال انا كنت باقترح ان احنا نأجل ، طيب نسمع كلام الدكتور جاد وبعدين برضه مش عاوز أتسرع فى الوصول ..

* * *

اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي تثق به ثقة مطلقة ويردد بعض الأعضاء انهم سبقو ان اتخذوا قرارا باعطائه حق الاختيار ولا ينبغى الرجوع فيه فيقول عبد الناصر :

– لى تعليقين ، التعليق الأول اللى هو نمشى أسرع من كده انا مستعد أعمل معاكم جلسات يومية وانا لا أكل من العمل ، اذا دعى الأمر الصبح وبعد الظهر اذا كنتم عاوزين انا مستعد ، ويوم الجمعة أيضا فى هذا يعنى متحملونيش اننى معطلكم ..

الحقيقة كان لازم ننظم نفسنا على أساس ان احنا بعد كده نمشى ..

النقطة **الثانية** .. الحقيقة أيضا فيه بعض التفسير المغالط فى العملية ان انتم خدتوا قرار وحترجعوا فيه ، وانكم كلفتونى ورفض التكليف .. الحقيقة التكليف لو تقولوا لى اطلع روح قناة السويس ومش فاهم ايه ما قدرش أرفض هذا الكلام باطلع النهارده .. بتقولوا لى روح سينا باروح سينا ، ده تكليف ... **العملية الثانية** هى أكثر من تكليف الحقيقة هى عملية **امانة وضمير** لازم أكون **مقتنع مية المية** وفى هذا بادى مثل ربنا سبحانه وتعالى عرض الامانة يمكن الشيخ الباقورى يقدر يقول لنا الاية أكثر .. مش كده يا شيخ احمد فالموضوع ماهواش رفض تكليف يعنى انكم كلفتونى يعنى وان انا بارفض ، **ابدا** .. الموضوع موضوع لازم ان أنا أكون مقتنع وباقول لكم ان انا من يوم الخميس لغاية النهارده بافكر كل يوم كانت بتضيق حلقة التفكير وكل ما شوف ناس أكثر بتضيق

عملية التفكير فأنا لم أهرب من التكليف ، والعملية مهياش تكليف الحقيقة العملية انكم شلتم العملية حطتوها على وان أناباقول **لكم تعالوا احنا الاثنين نشترك فيها .**

وبعد ذلك طلب فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى عضو اللجنة المركزية الكلمة فلما أعطيت له قال :

السيد الرئيس ، هذه الأمانة يقول الله بعد ذلك : « وحملها الانسان » .

ودار حوار ممتع بينه وبين الرئيس بعد ذلك بداه الرئيس عندما قال لفضيلة الشيخ الباقورى :

الباقى يا شيخ أحمد .

● **الشيخ أحمد حسن الباقورى :**

« انا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » .

– **الرئيس :**

الباقى بقى يا شيخ أحمد ، بقية الاية يا شيخ احمد .

● **الشيخ أحمد حسن الباقورى :**

« وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » .

هنا فى هذه الاية ليس معناها أن يظلم الانسان غيره ، ولكن معناها أن يظلم نفسه ، وأشرف الناس هم الذين يظلمون أنفسهم لأداء الأمانات الى الناس ..

فان انت حملت هذه الامانة ، ووضعت نفسك فى نطاق الذين ظلموا انفسهم ، فهذا الظلم للنفس من أجل مصلحة الانسان هو أشرف انواع الظلم .

– **الرئيس :**

كنت فاكرك حاتيجى معاى يا شيخ احمد (ضحك) .

وانتهى الاجتماع باصرار عبد الناصر على موقفه ، وفتح باب الترشيح للجميع ، وتكونت اللجنة التنفذية العليا عن طريق الانتخاب من بين الذين تقدموا بانفسهم للترشيح دون تدخل .

* * *

كان عبد الناصر يصر على اعطاء الحرية كل الحرية للشعب ، وان يمنعها عن اعداء الشعب ، وهو أيضا كان يرفض قيام حزب أو أكثر لأن الحزب هو التعبير عن طبقة .. لذلك رفض عبد الناصر قيام أكثر من حزب واحد على أساس أن التحالف يعبر عن كل الطبقات .

« نظام الحزب الواحد لم يكن فيه أى تعبير عن آمالنا أو اى مسايرة لأهدافنا لأن الحزب الواحد معناه أن تحتكر فئة قليلة العمل السياسى ٥٪ من الشعب ١٠٪ من الشعب .. وباقى هذا الشعب لا يشترك فى العمل السياسى ولكن عليه أن يكون تابعا .. معنى هذا استبعاد الغالبية من ابناء الشعب .. معنى ذلك انه مهما اختلفت الشعارات ومهما زيفت هذه الشعارات لن يكون نظام الحزب الواحد هو تعبير عن ارادة الشعب الواحد المتحد .

« وكان هناك نظام آخر هو الأحزاب المتعددة ونحن قد جربنا هذا النظام .. كانت تستغله الدول التى كانت تريد أن تضعنا داخل مناطق النفوذ . ولقد رأينا مثلا هنا فى مصر بعد ثورة ١٩ كانت الثورة وطنية والأحزاب وطنية . وبعد هذا كيف تنابذت الأحزاب واختلفت .. فقد الشعب وحدته ونتج عن هذا أن ثورة ١٩١٩ لم تعط ثمارها كاملة وبقى الانجليز لغاية ١٩٥٦ موجودين هنا فى بلدنا لان الأحزاب تركت الهدف الذى قامت من أجله ثورة ١٩١٩ وبدأت تصل الى أهدافها الخاصة فى الحكم والسيطرة وطبعا كل واحد بيعتبر أن الغاية تبرر الوسيلة ، فالوصول بالحكم عن طريق الاستعمار البريطانى او عن طريق السفير البريطانى أو طريق القصر كان يعتبر وسيلة للهدف الذى يعمل له الحزب

« كان من الواضح أن تعدد الأحزاب لم تكن له الا نتيجة واحدة وهى تسهيل النفوذ الأجنبى .. طبعا فى هذه التجربة من حياتنا وفى المعارك التى قابلناها كان نظام الحزب الواحد لا يناسبنا لأنه عبارة عن احتكار للسياسة . ونظام الأحزاب المتعددة لا يناسبنا لأنه سيكون وسيلة لتفلغل النفوذ الاجنبى فى الوقت الحاضر الى داخل بلدنا ليهدم هذه القاعدة التى بنيناها والتى تعبىء الشعب .. وكان لا بد أن ــ تكون ــ التجربة الجديدة تجربة تقينا عيوب الحزب الواحد وتقينا فى نفس الوقت عيوب الأحزاب المتعددة . تجربة عبارة عن نظام يشترك فيه جميع أبناء الوطن بحيث لا تعطى الفرصة للتسلل وبحيث نحافظ على وحدتنا ولا يمكن لأجنبى أن يفرق بيننا ويعمل على ضمنا داخل مناطق النفوذ .

« واذا عملنا حزبين معنى ده أيه ؟.. معناه ان احنا بنقسم القوى الاشتراكية الى قسمين ويقفوا يحاربوا بعض فى الوقت اللى فيه قوى رجعية موجودة ومستنية تاكل الاثنين ..

« طبعا احنا من أجل الترابط .. قلنا بنقيم الاتحاد الاشتراكى » ..

ويضيف عبد الناصر فى حديث مع محرر مجلة كل شىء اللبنانية فى مايو ١٩٦٢ عندما سئل عن تعدد الاحزاب فيقول :

« احب أن أكون صريحا فى هذا الموضوع اننا هنا فى مصر فى مرحلة التطور الاجتماعى ، ومرحلة تطبيق الديمقراطية ، ومرحلة تصفية الاستعمار والظلم والاقطاع وديكتاتورية راس المال وما نحققه الان هو مرحلة التطبيق ، وحتما لا نستطيع وليس من المنطق ، ونحن فى هذه المرحلة أن نسمح بوجود حواجز وعقبات تقف فى طريق أهدافنا »

« مثلا لا يمكن لنا ونحن نعمل على تصفية الاقطاع ان نسمح بوجود حزب ينادى بالاقطاع أو حزب يدعو الى ديكتاتورية راس المال ، ومعلوم أصلا ان للاحزاب التى هى من هذا النوع قوى مادية تمكنها من الاستيلاء على النفوذ »

« ونحن اليوم فى أول ـ الطريق ـ لاعطاء اغلبية الشعب التى تصل الى نسبة ٩٥٪ العدالة الاجتماعية التى كانت محرومة منها ونتيجة الى اقامة مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات ، لقد قمنا بثورة واخذنا السلطة من أجل تحقيق الأهداف الكبرى ، ومن الغباء أن نعطى الاحزاب الفرصة لتقوم وتعترض هذه الاهداف » .

* * *

كان عبد الناصر واعيا لقوى الثورة المضادة أعداء الشعب ، وكان يتحدث دائما عن وجود حزب رجعى منظم مترابط ..

كان الفكر الناصرى يضع ضمن قوى الثورة المضادة :

- فلول الاقطاع المتحالفة مع راس المال .
- الذين أضيروا من الثورة ، ومن التحول الاشتراكى .
- العناصر الرجعية التى تزيد شد المجتمع الى الوراء .
- بقايا الاحزاب السابقة .
- العناصر التى تعمل على تخريب اقتصاديات البلاد أو تستغل أو ترتشى ، أو تتاجر فى السوق السوداء .

وفى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى تحدث عن وجود الحزب الرجعى صراحة وقال :

« هو الحقيقة فى عملية الاحزاب يمكن الموضوع يكون أسهل .. لو فيه حزبين .. كل واحد مصالحه مرتبطة بحزب يبقى كل واحد بيعمل على حماية مصالحه .. هو الحقيقة فيه النهارده حزبين فى البلد .. فيه حزب اشتراكى ، وفيه حزب رجعى ..

« فيه حزب رجعى موجود وحايفضل موجود بدون اعلان وبدون ترخيص وعارفين بعض وبيتلموا على بعض ومنظمين قوى أحسن من الاتحاد الاشتراكى .

« طبعا اللى عايش فى البلد بيقدر يحس بهذا الكلام ، وهم حاسين بالتحدى وحاسين بخطورة المرحلة وحاسين ان هذه المرحلة هى مرحلة تطهير للرجعية ..

« الحقيقة فيه حزبين ولكن احنا بننسى ان فيه حزبين ونقول ان فيه الاتحاد الاشتراكى وبيجمع قوى الشعب العاملة .. طبعا عدم تنظيم القوى الاشتراكية معناه ببساطة ان القوى الرجعية هى اللى بتمثل الحزب الرجعى الموجود فى البلد .. هذه القوى الرجعية تستطيع أن تستقطب جزء من الشعب العامل .. جزء من العمال .. جزء من الفلاحين .. جزء من الناس اللى مصالحهم الحقيقية مع الاشتراكية .

« وفيه ناس قالوا انه لن يمكن تنشيط الاتحاد الاشتراكى .. وحصل كلام ان احنا نعمل حزبين .. لكن اذا عملنا حزبين معنى ده ايه ؟

« معناه ان احنا بنقسم القوى الاشتراكية الى قسمين ويقفوا يحاربوا بعض ، فى الوقت اللى فيه قوى رجعية موجودة ومستنية تاكل الاثنين اذن فى هذه المرحلة لا سبيل الا تحالف قوى الشعب العاملة فى تنظيم واحد هو الاتحاد الاشتراكى مع خلق تنظيم سياسى قادر وثورى .. مع تجميع كل القوى الاشتراكية .. مع تطهير الاتحاد الاشتراكى باستمرار من القوى الانتهازية أو القوى الرجعية اللى تسللت فى داخل الاتحاد الاشتراكى .

« طبعا لما نقول قوى انتهازية أو عناصر رجعية يكون كل واحد فينا لازم يحكم ضميره فى هذا الموضوع .

« لأن الموضوع لا يمكن أن يكون موضوع شخصى ولا موضوع تنافس ولكن بيكون مبنى على أسس وعلى قواعد .. الحقيقة تجربة الاتحاد الاشتراكى ايضا تجربة فريدة ولهذا بتقابلنا فيها عدة مشاكل .. البلاد الاخرى فيها يا احزاب يا حزب واحد ملتزم

بالنسبة لحزبه وكل حزب ليه منهج وكل واحد بيتنافس مع الاحزاب الاخرى علشان يحقق المنهج بتاعه .

* * *

فى احد اجتماعات اللجنة المركزية حذر عبد الناصر من أن نضيف عناصر من قوى الشعب العاملة الى عناصر الثورة المضادة لمجرد أنها تنقد وتريد الاصلاح، وقال انه يجب أن تحدد قوى الثورة بوضوح ..

وحدد فئات جديدة رأى أنها لابد أن تدخل ضمن قوى الثورة المضادة الذين أسماهم « الخوارج » على النظام .. فقد قال فى الجلسة الحادية عشر من اجتماعات اللجنة المركزية :

« برضه أنا بدى أتكلم عن الثورة المضادة .. ان الثورة المضادة لا تستطيع أن تحيا الا اذا احنا ادناها المناخ والوسائل اللى تحيا بها ، والحقيقة فى الفترة اللى فاتت احنا ساعدنا على هذا بعدة سبل ، يعنى حصل مثلا ان خطة التنمية انكمشت ، وبهذا فيه بطالة . حصل مثلا ان الاسعار ارتفعت ، ثم حصلت الهزيمة اللى هى أكبر شىء ، حصل ان احنا بطلنا نبنى مساكن ، حصل ان عندنا مساكن فاضية ومابنسكنهاش ، حصل ان احنا بنقول ان عندنا عربيات بنبيعها بالعملة الصعبة ، مين اللى عنده عملة صعبة .. يعنى فيه تفرقة طبقية ، بندى الحقيقة بهذا للثورة المضادة اسباب بتقدر تروح لكل واحد ويقولوا له طيب ما انت مش حاتقدر .. مين حايبقى عنده عملة صعبة الا قرايب الوزراء ، وقرايب الحكام ، وقرايب كذا ، هم دول اللى يقدروا يشتروا شقة بالعملة الصعبة ، وهم دول اللى يقدروا يشتروا عربية بالعملة الصعبة ، الحقيقة انا رأيى ان الثورة المضادة قوة ضعيفة جدا ، ولكن احنا يمكن بتصرفاتنا بنديها المجال انها تشتغل ، اذن علينا ان احنا نصحح من كل هذه الاعمال .. وبعدين بالنسبة بعد النكسة ، الحقيقة

كانت العملية الكبيرة ، علينا أن نعبىء الجماهير بالنسبة للنكسة بالنسبة للنواب التى اتقال عليهم فى المجلس اللى فات ، الحقيقة النواب دول اكثر النواب كانوا كلاما فى مجلس الامة ، اللى هو فلان وفلان ، كانوا اكثر ناس بيتكلموا ، وانا كنت باسمع جلسات مجلس الامة ، يمكن أكثر ناس أيضا كانوا بياخدوا فرصة ، غيرهم مابيخدش ، وما اتصورش أبدا انهم تجارة يعنى ان كلامهم قد يكون مسموع فى بعض الاوساط نتيجة عوامل الشك اللى حصلت، ولكن اذا كان واحد بياخد مثلا ٤٠٠ جنيه فى الشهر أو ٥٠٠ جنيه فى الشهر ، وبيشتغل مضاد ، أو عاوز أكثر ، ويستغل مركزه ، فموضوع الحقيقة ما ينفعش ، يعنى برضه باقول الثورة المضادة باستمرار اللى بيساندها ناس بيطلعوا من داخلنا ، الوزير اللى كان فى وزارة وطلع ، والنهارده بيتكلم ، لأنه طلع من الوزارة ، وشىء بهذا الشكل ، هم دول الحقيقة عناصر الثورة المضادة ، يعنى أنا بدى أقول ان احنا بنتكلم ساعات على العناصر الرجعية ، يمكن الناس التانيين اهم بيتكلموا وساكتين ، وناس خايفين ، لكن هم الناس اللى بيطلعوا مننا الناس اللى كانوا فى الأمانة مثلا ، والنهارده ماجوش فى الأمانة ، وماجوش هنا ، برضه انا عارف واحد لسانه طول كده ، ودايز يتكلم ومش فاهم ايه ، بقه على طول قدامى عنصر من الثورة المضادة ، بس لا زال عنصر محسوب على ، الحقيقة بدنا نفهم الوضع بهذا الشكل .

ويواصل الرئيس حديثه فى نفس الجلسة عن قوى الثورة المضادة ويفرق بينها وبين أفراد الشعب الذين قد ينتقدون ما يرونه من تصرفات مخالفة لرأيهم ، أو يرون فيها أخطاء فيقول :

« موضوع النقد ، والنقد طبيعة فى هذا الشعب ، وانا الصبح اول ما امسك الجرائد بلاقى فيها حاجات مش عاجبانى ، فيه ناس فيكم متصورين انى عارف اللى طالع فى الجرائد تانى يوم ، وده غير حقيقى ، يمكن الصبح الاقى عمليات فى الجرائد عملاها الحكومة، واضرب التليفون ، ايه اللى انتو عاملينه ، كلام مش فاهم ايه ؟..

طبيعتنا كده ، بس مش معنى ده انى انا ضد النظام بأى شكل من الاشكال ، واحنا طبيعتنا كشعب الناس بتنتقد ، وحتفضل تنتقد لأن الحقيقة المطالب الاجتماعية لم تتوفر لينا ، وفيه نقص ، ولما يقول لك ان سعر الفانلة غالى ، يبقى له حق ينتقد ، وانا باقول آه ده سعر الفانلة غالى ، ده بقى سعر الفانلة ستين قرش ، والشراب بثلاثين قرش ، يبقى انا بانتقد ، وكل واحد فى البلد له حق ينتقد ، وما اقدرش اقول ان ده ثورة مضادة ابدا ، يعنى الحقيقة ، ان كان فيه حاجات بنعملها .. وفيه حاجات مش عاجبانه ، وتلاقيكم انتم بتصبحوا الصبح تنتقدوا ، وانتوا هنا بتقولوا ، والجرائد طلعت كذا ، والكلام اللى فى الجريدة الفلانية كذا .. **اذن احنا كشعب الـ ٣٢ مليون نشيل منهم العيال الصغيرين ، بيصبح الصبح كل واحد بينتقد ، وكل واحد مش عاجبه حاجة بما فيهم أنا** ، يعنى كل يوم الصبح ، وانا بافتح الجرائد فيه حاجات داخلية مش عاجبانى ، فدى طبيعتنا برغم هذا **جينا يوم ٢ مايو راحت الناس كلها ، وأيدت بيان ٣٠ مارس ، اذن مش معنى الانتقاد ثورة مضادة** ، برضه أنا الحقيقة بدى أحط الامور فى نصابها ، انا باشوف ناس ، وانا ساعات ما احبش اشوف ناس ـ انه مفيش واحد ييجى يقعد معايا الا اما يقعد ويقول الحتة الفلانية فيها كذا ، والحتة الفلانية فيها كذا ، ومفيش حد يمكن يكلمنى كلام فارغ ابدا ، ييجى ويقعد يتكلم فى الموضوع الفلانى والحتة الفلانية فيها كذا ، ساعات اقعد شهر اضرب انى انا مش عاوز اشوف ناس . يعنى مثلا شهر اغسطس اروح اسكندرية ماشفش ولا واحد خالص ، ليه ؟ لان اللى حاييجى لازم حاينتقد الحاجة الفلانية ، دى طبيعتنا ، فهناك فرق الحقيقة بين الانتقاد ، والتناقض والتصادم . التصادم اللى هو الصراع الطبقى ، والعملية اللى هو شايف الاشتراكية ضده ، كل واحد بينتقد .. بتمسك حسنين هيكل وكلامه فى الاهرام اكثر واحد بينتقد ، يعنى انتقد .. انتقد فى الاتحاد الاشتراكى وانتقد فى كذا ، وانتقد فى الاعتقالات وانتقد الحراسة ، وماعرفش الحاجة

الثالثة ايه ؟ هل حسنين مضاد ؟ مش ممكن ، ولكن هو مرة كلمنى وقال لى الموضوع الفلانى ده اقدر اعلق عليه ؟ قلت له اذا كنت انت النهاردة بتقول انك عايز تستأذن علشان تعلق ، يبقى الناس خايفين كلهم . . يبقى الناس معذورين المفروض انك تقدر تعلق وتنتقد ، زى ما انت عايز تنتقد ، وتدى فرصة لاى واحد انه ينتقد ، **لكن هل معنى انه ينتقد انه هو مضاد للنظام ؟** اطلاقا ، بالعكس ، **يجب ان احنا نيجى فى اللجنة المركزية** وننتقد ، وتيجوا تقولوا عايزين بدل المناقشات ، فى المستقبل ، بنقول يا وزير الاصلاح الزراعى ، يا وزير الزراعة الجمعيات التعاونية عايزين كذا وكذا وفيه عندى فى المحافظة الفلانية . . وننتقد .. يا وزير الشئون الاجتماعية كذا وكذا ، وان الناس اللى طالعين من السويس والاسماعيلية تعبانين ومابيشتغلوش ، ولو ان الراجل طالب فى مجلس الوزراء انه يشغلهم الخ . قصدى احنا لم نكون المتطلبات الاجتماعية للبلد ، وسنبقى ننتقد ، لأننا عايزين ، **ليس معنى الانتقاد ثورة مضادة ، ابدا** ، ولكن يجب أن احنا نكون من الفطنة بحيث ان احنا نفرق بين الثورة المضادة ، والناقد اللى هو عايز الحاجة تنجح ، وعايز الثورة تنجح ، ولهذا انا باقول برضه ان الثورة المضادة قلة ، وان احنا بنخاف اكثر من اللازم ، اديك بتقول واحد طلع عمل « بيه » القرية كلها ، والاتحاد الاشتراكى كله بسلامة قدره ماقدرش يعمل حاجة ، طيب اذا كان واحد بس خوفكم ، فرد واحد وقدر خلى الناس طلعت ضربتة البوليس والداخلية والاتحاد الاشتراكى والعمدة .. الخ . يبقى الاتحاد الاشتراكى ما يساويش نكله فى هذا الموضوع خالص ، دى العملية .. انت بتقول هو شاطر بيتحرك واحنا مابنتحركش ..

ثم يواصل القائد حديثه ردا على احد الاعضاء فيقول :

« بنشوف العناصر المعوقة ، والعناصر المضادة فى الجهاز التنفيذى ، وناخد ضدها اى اجراء ، وبهذا الحقيقة مانشجعش الناس انهم ينضموا الى عناصر الثورة المضادة ، وانا برضه لازلت باقول ان عناصر الثورة المضادة ، هى عناصر قليلة ، ولكن اللى بيزودها ناس مننا احنا ، بيطلعوا ينضموا ليهم ، وهم لا يخافون من أى عقاب ، وليس لهم اى التزام .. بنقول الناس الملتزمين فى الاتحاد الاشتراكى ، اذا ساروا فى طريق الثورة المضادة ، حاجة بسيطة بنفصلهم من الاتحاد الاشتراكى ، ده موضوع سهل جدا .. لكن يجب أن نتأكد انهم انضموا الى عناصر الثورة المضادة ، مابقتش العملية انى انا بافصل علشان افسح سكة لناس أضعف منهم ، لازم الحقيقة تكون على بينة من هذا الكلام ، وده الحقيقة الطريقة اللى تخلينا نقدر نبنى الاتحاد الاشتراكى بتاعنا ، ولازم الحقيقة ندخل معارك وتتضربوا بالطوب برضه من الستات ومن العيال ، وتاخدوا دروس انه فيه واحد قدر يضحك عليكم ، وبعدين محدش بعد كده يقدر يدخل عليكم فى قرية تانية . وانا الغرض من هذا انى انا باقول ان احنا مش عايزين علشان قلنا الثورة المضادة فيه ثورة مضادة ، ولكن ليست هذه الثورة المضادة بالضخامة اللى قد يتصورها البعض ، واللى قد نتصورها ، وباقول **ان عملية النقد ليست هى الثورة المضادة** ، وانا متأكد انكم كلكم هنا ، المائتين بتنتقدوا حاجات ، وانتو قاعدين حتى وانتو بينكم وبين بعض فى البوفيه بتنتقدوا ، واحنا حتى قاعدين بننتقد ، وعلى هذا الاساس نبقى نحصر بقه أعداءنا فى الناس **اللى مننا اللى هم الخوارج ، الحقيقة هم دول أخطر بقى من عناصر الثورة المضادة القديمة ، اللى هى عناصر الاقطاع والرأسمالية ..**

اذا كنا نريد ديمقراطية سليمة ، فانه يلزمنا ان نضع الضمانات لقوى الشعب العاملة لكى تمارس حقها المشروع فى الحرية .. ويلزمنا أيضا ـ وفى نفس الوقت ـ ثورة ثقافية تفتح الآفاق الجديدة للفكر .. وثورة علمية تنقل الوطن والمواطن الى الدولة العصرية التى اهتم بها بيان ٣٠ مارس .. ثورة تجعله يعيش مع العصر وهذا ما طالب به عبد الناصر دائماً ..

فالعمل الديمقراطى سوف يتيح الفرصة لتنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة عميقة فى احساسها بالانسان صادقة ، فى تعبيرها عنه قادرة بعد ذلك كله على اضاءة جوانب فكره وحسه وتحريك طاقات كامنة فى أعماقه خلاقة ومبدعة ينعكس أثرها بدوره على ممارسته للديمقراطية وفهمه لاصولها وكشفه لجوهرها الصافى النقى .

وقد يكون كافيا فى نهاية الحديث عن الديمقراطية أن ننقل بعض الفقرات من أقوال الزعيم تعكس رأيه فى العلم والثقافة والفن (١) وكان عبد الناصر قد طالب بثورة ثقافية منذ سنة ١٩٦١ وقبل وضع الميثاق (٢) وبعد ذلك حدد معالمها فى عدة أمور هى :

* ان الثورة الثقافية .. تستحق أعظم الجهود وأكثرها عمقا.

ان العشرات من محطات الاذاعة والتليفزيون والمئات من المسارح ، ودور السينما ومراكز الاشعاع الفنى والثقافى وآلاف الكتب تعيش مع الجماهير كل ساعة تقدم لها البعيد والواقع القريب بالكلمة والصورة .

ان المعارض العديدة التى تفتح أبوابها للناس كل يوم ستحمل الى الحاضر لمسات قوية وميضة تشير الى طاقات مبدعة ، بدأت تفاعلها مع القيم الجديدة للمجتمع .

(١) كتاب جمال عبد الناصر والثورة اعداد منظمة الشباب بالقاهرة .
(٢) وثائق التاصرية خطاب افتتاح اللجنةالتحضرية .

* لابد للثورة الثقافية ، أن تفرض وجودها ، لأن الثورة الثقافية انما هى الثورة الفكرية التى تمكننا من أن نحافظ على انتصارنا ، وتمكننا من أن نقضى على الاستبداد السياسى وتمكننا من أن نضع مطالب الشعب موضع التنفيذ . وتمكننا من أن نقيم بين ربوع بلادنا حياة كريمة . حياة نشعر فيها بالعدالة الاجتماعية حياة متحررة من الظلم الاجتماعى .

* نوع آخر من المثقفين موجودين فى الاجهزة التنفيذية . . البعض بيفقد القدرة على تصور التطور ويستسلم للواقع .. والبعض بيقفوا موانع للحركة بالتالى بيتخلوا عن دورهم كمثقفين.

نوع آخر تستهويه مظاهر الحضارة اللى بيسافر امريكا والمانيا الغربية .. وبيشوف .. بيروح بلد بيروح نيويورك بلد فى المانيا الغربية تستهويه مظاهر الحضارة ، ويعجز عن ايجاد صلة بين الواقع اللى بنعيشه وبين المظاهر أو البريق ، الواقع اللى احنا بنعيشه القرية والفقر وعمال التراحيل .. مقدرناش نحل لغاية دلوقتى مجتمع موجود مجتمع متخلف كنا تحت احتلال عثمانى واحتلال انجليزى واستغلال عاوزين نفير .. فالواحد لما يتعلم أو يطلع بره ينسى طلع منين ..

فيه نوع آخر قد يتصور للعصرية مفهوم سطحى .. العصرية لا تعنى الانقطاع عن الماضى ، والحرص على التقاليد لا يعنى انقطاع عن المستقبل . المسألة مش بس مسألة أشكال ومظاهر سطحية .

العصرية الحقيقة هى التجدد بالاصالة .. وفيه عندنا مثل فى الريف : ان الشجرة ملهاش جدر متضللش .. ليه ؟ .. علشان مش حايكون لها فروع ، ومش حيكون لها ضل .. احنا لينا جذور فى الحضارة ، وفى الماضى ، وبنرقى ونتطور ، وكل واحد مننا عليه انه يؤدى دوره والمجتمع بيديه ، وهو بيدى المجتمع .. ويستوعب مشاكل المجتمع وامانى المجتمع ، ويحلل حركاته واتجاهاته .

وبهذا يكون المثقف فعلا يؤدى دوره كمثقف ثورى يعمل لمصلحة الجماهير ، ولمصلحة الشعب ، ولمصلحة الحياة .

* ان الثورة الثقافية هى سلاح قوى جماهير الشعب .. والثورة الثقافية لها أهمية كبرى بالنسبة للحركة التطبيقية الثورية .. من أجل اقامة مفاهيم لنا تنبع من ضميرنا وتنبع من مصالح امتنا بمجموعها ، لا من مصالح فئة قليلة من ابنائها .

جيش الثقافة .. جماهير الشعب فى كل انحاء الجمهورية .. بهذه الثقافة نستطيع ان نتغلب على الحملة التى تشنها ضدنا الدوائر الاستعمارية والرجعية .

* المثقف ملتزم .. الالتزام الوحيد هو الالتزام بالارتقاء بالمجتمع ، وبالارتقاء بالحياة . عن طريق المشاركة فى العمل والتوجيه السياسى والفكرى .

ويؤدى المثقف هذا الدور بالاقتراب وبالاندماج فى المجتمع .. وحتى يؤدى هذا الدور لا بد للمثقف من دراسة احوال المجتمع .

* فيه فرق بين المثقفين .. يعنى ممكن واحد متعلم يبقى بورجوازى .. ده ما اقدرش اقول عليه مثقف .. انا بقول عليه متعلم واستاذ كبير فى أى فرع من فروع العلم .. لكن المقصود بالمثقف انه مثقف اجتماعى .. المتعلم البورجوازى مش حقيقى مثقف اجتماعى أبدا .. اما واحد عنده وعى اجتماعى وعنده تفسير اجتماعى عنده اهتمام اجتماعى حتى اذا كان عامل أو غير متعلم بأقول عليه مثقف .

* ان المثقف هو كل من يكدح ذهنيا .. ويعطى للمجتمع نتاج عقله وفكره .. سواء كان مهندسا فى الصحراء أو عالما فى الذرة أو عاملا نقابيا أو كاتبا أو طبيبا أو باحثا أو فنانا أو استاذا أو طالبا .. المثقف هو الذى يفكر فى احوال المجتمع ككل .. وعلى

ان القيمة الحقيقية . الفعلية والاجتماعية لأى فرصة تتاح لواحد منا هى ان يتحول بكل ما أخذه الى مصدر عطاء للذين اتاحوا له ومكنوه وحققوا امتيازه ، والا فهو شجرة عقيمة عاشت من ارض وارتوت بعرق السواعد وأحاطتها الرعاية بكل انواعها وامتلأت بشعاع الشمس ، ثم لم تعط فى النهاية زهرا او ثمرا او ظلا .

ان الأخذ من المجتمع بغير عطاء استغلال .. والنمو على حساب الجماهير ثم التخلى عن خدمة آمالها هروب ..

* ان الفن فى حقيقة أمره مظهر حى للحرية .. والعلم فى حقيقة أمره أيضا مظهر حى للحرية .. الفن هو انطلاقة الانسان الحر لاستكشاف نفسه .. والعلم هو انطلاقة الانسان الحر لاستكشاف الكون من حوله .

والحرية فى الفن وفى العلم ، دورة كاملة ، تعطى وتأخذ ، وتؤثر وتتأثر ، وتدفع وتندفع .. ذلك أن الاحساس بالحرية ، الذى يدفع الفنان الى الخلق الفنى يتحول بعد الخلق الى قوة دافعة نحو مزيد من الحرية .. ومجال التفكير الحر أمام العالم الذى يقترب به رويدا رويدا من الحقيقة الكبرى ، يتحول بهذه الحقيقة ذاتها الى طاقة حافزة نحو مزيد من التفكير الحر .

وهكذا فان الحرية مقدمة للفن والعلم . كما أن المزيد منها فى الوقت ذاته نتيجة حتمية للفن وللعلم .

بل ان التفاعل بين الفن والعلم .. يمضى الى أبعد من ذلك الى التلازم مع معارك الحرية أن كليهما يكمل الاخر فى كفاح الامة الواحدة .. ان الفن يصبح من أقوى الأسلحة فى معركة الحرية السياسية ضد الاستعمار وضد الطغيان . .ويجىء دور العلم ليصبح السلاح الأكبر فى معركة الحرية الاقتصادية والاجتماعية لصنع المجتمع الجديد الحر .

وليس معنى ذلك أن هناك انفصالا فى دورة الفن والعلم ليس معنى ذلك أن الفن وحده هو دليل المعركة من اجل الاستقلال ، وليس معنى ذلك أن العلم وحده هو دليل المعركة من اجل التطوير ليس ذلك ما قصدت اليه .

فالواقع فى تصورى أن التفاعل بين الفن والعلم وبين الحرية فى أطوارها المختلفة ، انما هو تفاعل مستمر متحرك متجدد لا فجوة فيه ولا انفصال بين دوراته .

وانما الذى قصدت اليه .. هو أن دور الفن يكون اكثر بروزا فى التعبئة المعنوية اللازمة لدفع الكفاح السياسى ، كما أن دور العلم أكثر بروزا للتعبئة المادية اللازمة لدفع الكفاح الاقتصادى والاجتماعى .

على أن للعلم دوره الرائع فى الوعى المستنير اللازم لانجاح المعركة السياسية كما أن للفن دوره الرائع فى خلق الشعور الانسانى اللازم لانجاح المعركة الاقتصادية .

* اذا قمنا باحترام القديم ووضعه فى مكانه الكريم من حركة التطور العام . واذا قمنا فى ذات الوقت بتشجيع الجديد ، فان هذا الجيل مطالب أمام مجتمعه بأن يبدأ شق طريقه بنفسه وان يدرك أن بناء أساسه العلمى هو اثبات الشخصية الذى يستطيع التقدم به الى المجتمع طالبا فتح الابواب .

* ان الابداع لا ينتقل من جيل الى جيل بمجرد الارث ، وانما بالجدارة المؤكدة ، وبالاستحقاق الشجاع . اننا نؤمن انفسنا من الزلل بتقدير ما أثبتت ذاته وفرض قيمته بغير جدال .. ولكننى أقول ايضا انه من الضرورى فى نفس الوقت ، أن نقبل بمخاطرة محسوبة وأن نعطى من التقدير مقدما ما هو لازم لجيل جديد ، لم يتمكن بعد من اجتياز حدود المحاولة والتجربة ونساعده بطاقاتنا ولا نتركه لضغوط الظروف تجرفه الى حيث تشاء . نشد يده

ليصعد ولا نتجاهله حتى يمكن ضد العزلة والوحشة من أن يثبت ذاته ويفرض قيمته بغير جدال .

اذا كان من حقنا أن نلتفت الى احتمالات الابداع التى حققت نفسها بالفعل ، ونكرمها ، فان من واجبنا أن نتطلع الى احتمالات الابداع التى مازالت تناضل لتحقيق نفسها وأن نشجعها فى نفس اللحظة . فاننى أريد أن ألفت النظر امامكم الى أن أجيالنا الجديدة المتأهبة للخلق العلمى والفكرى والفنى ، مطالبة بأن تعانى بجد أكثر متطلبات ما نذرت نفسها له .

ان النجاح أمر صعب ، والاحتفاظ به أمر صعب ، وعمل العالم أو المفكر أو الفنان ليس ضربة حظ تسبح به وسط أضواء الاعجاب أو الشهرة .. وانما الخلق المبدع عناء وعذاب كل يوم »

تحالف .. بدلا من الحزب

الفكر الناصرى أخذ فى تجاربه للتنظيم السياسى منذ قيام الثورة ، بفكرة تحالف قوى الشعب ، فجميع التنظيمات التى أقامها عبد الناصر كانت بمثابة حشد لأكبر عدد من المواطنين ، وان اختلف الهدف والأعضاء فى كل مرحلة .

ونتيجة لذلك يختلف أيضا الدور الذى يلعبه كل تنظيم ، كما تختلف خطة عمله ، وأهدافه ، والفكر الذى يقوم على أساسه ..

فى بداية الثورة كان الهدف واضحا ومبلورا ، فى ضرورة القضاء على الاستعمار ، وتحرير الوطن ، وتحقيق الاستقلال الوطنى ..

وظهر تنظيم الضباط الاحرار السرى ليصبح حقيقة علنية ، يلتحم بالجماهير ، ويعيش وسط مشاكلها الصغيرة كل يوم ..

وعندما ثبت أنه لا مجال لاصلاح الأحزاب السياسية القديمة .. كان القرار بالغائها نهائيا ..

ولقد كانت الاحزاب — فى الفترة السابقة على الثورة ، تمثل مصالح اعضائها .. من تحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل ويصفها عبد الناصر قائلا :

« كانت هناك تنظيمات شعبية سبقت قيام الثورة . ولكن هذه التنظيمات ضاعت قيمتها بسببين رئيسيين :

● **أولا :** ان معظم هذه التنظيمات خصوصا تلك التى مارست

الحكم منها . قبل الثورة ، كانت انعكاسا لمصالح طبقية . وكانت كلها تستند على تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل . ومن ثم فان هذه التنظيمات ، لم تكن قائمة على أساس جماهيرى وان كان بعضها قد استطاع فى سنوات النضال الوطنى من أجل الاستقلال أن يحرك جموعا من الجماهير الا انه لم يستطع مواصلة النضال الى نهايته ، لارتباط مصالحه بطريق غير مباشر مع مصالح الاستعمار .

« ومن ثم انتهى الى مهادنته . ومن ناحية اخرى . لأن النضال الوطنى من أجل التحرر الاجتماعى . لاحت مقدماته حتى خلال معركة الاستقلال . الأمر الذى جعل هذه التنظيمات السياسية تنقلب على قواعدها الجماهيرية . وتحاول صرف أنظارها عن معركتها الحقيقية .

● **ثانيا :** انه كانت هناك قبل الثورة تنظيمات سياسية لا تعبر عن مصالح الطبقة الحاكمة . لكن فاعلية هذه التنظيمات كانت فى معظم الأحيان محدودة أو سلبية بسبب حفظ المصالح الطبقية الحاكمة عليها ، من ناحية ، ومن ناحية اخرى لأن هذه التنظيمات حركتها دوافع انفعالية عاطفية ، أو حركتها قوى بعيدة عن التربية الوطنية » (١) .

ويعود القائد بعد ذلك يشرح موقف الأحزاب قبل الثورة بوضوح أكثر عندما يقول :

« قبل الثورة كان فيه أحزاب .. وكانت فيه ديمقراطية زائفة . الأحزاب اللى كانت موجودة عندنا قبل الثورة كانت بتمثل ايه .. كانت بتمثل الطبقة الواحدة .. زى ما قلت لكم احنا فى أول الثورة ان احنا ندى الحكم للأحزاب ولكن الأحزاب لم تقبل المبادىء الستة التى أعلناها فى أول الثورة . احنا تفاوضنا مع

١ ـ مناقشات اللجنة التحضيرية ٢٣ يوليو ١٩٦٢ .

الأحزاب « الوفد » على أساس يستلموا الحكم وقلنا لهم ان احنا نريد المبادىء الستة .

« أول مبدأ القضاء على الاستعمار . وثانى مبدأ القضاء على الاقطاع . وقلنالهم عاوزين نحدد ملكية الأرض بمائتى فدان ، بعدين قعدوا يتفاوضوا معانا ساعات وساعات وأيام ويقولوا لأ .. ازاى تطلب من الاقطاعيين ان يحددوا الملكية ؟ حزب الوفد فى هذا الوقت كان حزب يتمثل فيه الاقطاعيين .. الأحزاب الأخرى كانت تتمثل فيها الاقطاعيين أو سيطرة وديكتاتورية رأس المال . وبهذا سرنا من أجل تطبيق الحرية وكنا نشعر الا حرية سياسية بدون حرية اجتماعية وزى ما قلنا فى الميثاق .. احنا قلنا فى الميثاق ايه .. قلنا رغيف الخبز وتذكرة الانتخاب . تذكرة الانتخاب بيأثر عليها ايه . بيأثر عليها رغيف الخبز ..

« اذا حررنا الثورة ، واذا حررنا وسائل الانتاج . واذا حررنا العامل ، واذا حررنا الفلاح ، نستطيع فعلا أن نقول أن هناك امكانية لقيام حياة ديمقراطية سليمة » (١) ..

الأحزاب فى الفترة السابقة على الثورة لم يكن يهمها الا أن تتصارع لكى تصل الى الحكم ، وهى تسلك كل السبل التى تؤدى الى ذلك .. مرة تستعين بالانجليز ، ومرات تلجأ لخداع الشعب ، ومرات اخرى تشترى الحكم برشوة الملك . وقد حدث ذلك كله فى تاريخنا بأكثر من صورة ، ومن كل الأحزاب السياسية تقريبا ..

وعندما تصل هذه الأحزاب الى الحكم فان أهم ما كانت تحرص عليه هو أن تؤكد مراكزها ، وأن تدعم نفوذ أعضائها ، وتعمل على تلبية مطالبهم ، وراجت فى هذه الفترة فى مصر ، كلمات المحاسيب والأصهار والأنصار ، أما الشعب فقد « كان فى البلد ١٨ مليون ليس لهم حزب والباقى اما مخدوعين واما مغلوبين على أمرهم

١ ـ عيد الوحدة ١٩٦٣ .

أو مضللون وكان الساسة يتحموا فى لقمة العيش يحرمونها على من يرفع صوته . ويحاربونه فى رزقه ليضمنوا سكوت الجميع عن الظلم والاستعباد .. والاستغلال .. لذلك كانت بلادنا ضعيفة مغلوبة على أمرها الى أن قامت الثورة » (١) .

ومع ذلك حاولت الثورة ان تمد يدها لهذه الاحزاب تطورها ، وتطهرها ، وتعيدها الى خطها السليم الصحيح ، وقد اختارت من بينها اكثرها جماهيرية ، وادعاء لتمثيل الأغلبية الساحقة من الأمة لكى يطور نفسه ويطهر صفوفه ولكن هذه المحاولات كلها فشلت .

« قلنا لهم اذا أردتم أن تتعاونوا مع الثورة .. اذا أردتم ان تعملوا من أجل الشعب فيجب أن نقضى على الاستعمار ويجب ان نحطم الاقطاع . فان الاقطاع اذا كان يمثل شيئا فى هذا الوطن فانما يمثل الاستعباد بأبشع صوره ولا يمثل الحرية ابدا .. فلا معنى لحرية فلاح تحت يد اقطاعى .. مهدد فى رزقه مهدد فى أقواله مهدد فى بيته .. لا معنى لحرية فلاح لا يستطيع انه يقول ما يريد لا معنى لحرية فلاح غير مطمئن على رزقه وغير مطمئن على نفسه .. قلت لهم نريد أن نحطم الاقطاع ونريد أن نحدد الملكية .. قلنا لهم نريد أن نقضى على الفساد وعلى سيطرة راس المال على الحكم . ولكنهم كانوا معنا مخادعين مضللين كما كانوا معكم لم يقبلوا ابدا بل لم يؤمنوا أبدا بحرية الفرد .. بل لم يؤمنوا ابدا بأن الفرد الذى يقع تحت سيطرة الاقطاع يفقد حريته .. لكنهم يؤمنون بالحرية الزائفة » .

« واننى لأذكر فى هذا العام فى ٢٧ مارس حين وفد الى رسول من حزب الوفد يقول لى يجب أن نتفاهم .. ويعرض على أن يؤلف وزارة ائتلافية ظنا منه أن غرضنا هو الحكم واننا سنرضخ وسنقبل الاشتراك معهم فى الاتجار بالوطنية واننا سنقبل الجلوس معهم فى وزارة ائتلافية تحقق مصالحهم وأهدافهم » (٢) .

١ ـ ٣١ مارس ١٩٥٤ .
٢ ـ ٢٨ مايو ١٩٥٤

وكان لا بد من القضاء على هذه الصورة كلها ، وكان لا بد ايضا من قرار حاسم بالغاء الأحزاب بعد ان عجزت حتى عن أن تطور نفسها ، لكى تستطيع الثورة بعد ذلك أن تلتقى بالشعب ، وتسير معه على طريق النضال لتحقيق آماله ، واهدافه ، وقد عبر القائد عن ذلك بقوله « كان بيننا وبينكم نظام حزبى فرق وحدة البلاد وفرق شملها ولم تكن المبادىء موضوع خلاف وانما كانت الزعامات والانانية والمال الحرام وقوت هذا الشعب هو موضوع الخلاف ومحور ارتكازه ، كان لا بد أن يختفى هذا كله .. يمحى حتى نستطيع أن نلتقى بكم ..

كان انهاء وجود الاحزاب معركة فى حرب الاستقلال »(١) .

* * *

وأفرز الفكر الناصرى أول تنظيم سياسى شعبى فى صورة هيئة التحرير التى رفعت شعار « كلنا هيئة التحرير » .

وكانت هيئة التحرير هى التنظيم الذى كان يمكن أن تستعين به الثورة فى هذه الأيام لعدة أسباب :

● **أولا :** انها تجمع لجميع فئات الشعب تحت هدف واحد هو طرد الاستعمار .. برنامجها الأساسى هو طرد الاستعمار ..

وكان هذا التنظيم يضم المصريين جميعا باستثناء الاقطاعيين والقيادات الحزبية السابقة على الثورة ، على اعتبار أن هؤلاء من المتعاونين مع الاستعمار ، أو الذين ليست لهم مصلحة فى طرده ،

١ ـ افتتاح مجلس الامة ١٩٥٧ .

أما بقية فئات الشعب وأفراده ، فقد اعتبر الفكر الناصرى فى تلك الفترة أنهم أصحاب مصلحة فى طرد الاستعمار ، وان اختلفت المواقع التى ينظرون منها الى هذه القضية .. فنظرة الراسمالى الكبير الى طرد الاستعمار فى تلك الفترة ، هى أنه يمكن أن يرث رأس ماله ، ونظر العامل الى الاستقلال أنه خطوة نحو التحرر الكامل .. السياسى والاجتماعى .. وحتى المثقفين فان لكل منهم نظرة ـ فى ذلك الوقت تختلف عن الأخرى ـ فبينما ترى شريحة منهم أن الاستقلال يمكن أن يكون خطوة نحو التحرر الاجتماعى عن طريق اجراء **ثورة اجتماعية** ، كانت شرائح اخرى ترى أن الاستقلال هو خطوة نحو اجراءات **اصلاحية** يمكن أن تتم بعد ذلك تحقق لهم عملا أفضل ومستوى أحسن .

المهم انه كان هناك اجماع بين أفراد الشعب ، وبين فئاته الوطنية فى تلك الفترة على ضرورة تحقيق الاستقلال ، وطرد المستعمر .. وخاصة بعد ان أبعدت الثورة عن الحياة السياسية الاقطاعيين ، وكبار رجال السياسة القدامى والذين ارتبطت مصالحهم بالاستعمار ، وشاركوا فى افساد الحياة السياسية ، وهم الذين قدموا بعد ذلك الى المحاكم التى اقامتها الثورة ، وثبتت خيانتهم ، أو الجرائم التى ارتكبوها لافساد الحياة السياسية ، أو الاقتصادية .

كان تحالف هيئة التحرير فى ذلك الوقت مفتوحا تتحد من خلاله هذه الجماهير كلها .

● **ثانيا :** لم يكن فكرة الثورة قد تبلور بعد فى نظرية سياسية ، ولا فى شكل من أشكال التنظيم يمكن ان يلف حوله الجماهير المتحمسة ، ويجمعها ، وفضلا عن ذلك كان من الضرورى أن يتجمع المواطنون وأن يواجهوا الى جانب الاستعمار الأحزاب القديمة التى صدر قرار بحلها فى ١٦ يناير ١٩٥٣ لذلك أعلن ميثاق هيئة التحرير بعد أسبوع واحد من حل الأحزاب فى ٢٣ يناير ١٩٥٣ .

● **ثالثا :** انها الأداة الشعبية التى يستطيع رجال الثورة من خلالها أن يلتقوا بالجماهير ، وأن يلتصقوا بهم كما يلتقون فى نفس الوقت بالمشاكل اليومية وأن يعملوا على حلها .. واذا كانت المشاكل التى كانت تتصدى لها الثورة فى ذلك الوقت صغيرة ، فالتنظيم الذى قام بالثورة نفسه كان يهتم أولا بالقضية الكبرى ، وهى قضية تحرير الوطن أولا ويضعها فوق كل المشاكل الاخرى ..

● **رابعا :** كانت المهمة البارزة التى قامت بها هيئة التحرير فى تلك الفترة هى التعبئة الوطنية ، وحشد الطاقات من أجل معركة الاستقلال ، ولذلك قامت بدور كبير فى تدريب المواطنين على السلاح ، وتوعيتهم ..

● **خامسا :** كان من الطبيعى فى مثل هذا التنظيم الواسع أن يتسلل اليه بعض العناصر المضادة لأهداف الوطن ، وآماله حتى فى الاستقلال .

* * *

جمال عبد الناصر عندما تحدث عن هذه الفترة من عمر التنظيمات الشعبية أبرز أن « هيئة التحرير لم تفسل فطالما كنا بنقول ان احنا عايزين نحل مشاكلنا فى اطار من الوحدة الوطنية فانها قامت بدورها »

« (١) نجحت الثورة وبدأنا نواجه أول مرحلة للقضاء على الاحتلال والقضاء على السيطرة البريطانية ، والتخلص من الـ ٨٠ ألف عسكرى بريطانى والحصول على الاستقلال الكامل ، وأول سؤال سألناه لأنفسنا ونحن نبدأ هذه المرحلة من هو الشعب ، من هو الشعب الذى سيكافح من أجل اخراج الانجليز ، لم يكن ممكنا

(١) اللجنة التحضيرية .

ان أستدعى عملاء الانجليز وأقول لهم تعالوا وأصدرهم لكى يكونوا هم الذين يتولون القيادة فى اخراج الانجليز .. بالعكس فالذى كان سيحصل أنهم كانوا سيقفون معهم ، لكى يبقوا أكثر مدة فى مصر .

« اذن فى هذه المرحلة كان لابد أن نسأل أنفسنا **من هو الشعب؟** من هو الشعب الذى سيخرج الانجليز من القناة ، ويأخذ الأسلحة ويحارب حرب عصابات ويحاصر المعسكرات البريطانية .. لم آت بالناس الذين يتعاملون مع الانجليز ، لم آت بالناس الذين كانوا يتاجرون مع الانجليز ، لم آت بالناس الذين كانت مصالحهم مرتبطة بمصالح الانجليز ، وأقول لهم اذهبوا الى القناة لتحاصروا الانجليز لكى تشعر بريطانيا أنها تدافع فى القناة عن نفسها ، ولا تدافع عن الشرق الأوسط ، لكن كان لازم أن أسأل نفسى سؤالا : **من هـــو الشعب ؟؟** » .

« الشعب هو صاحب المصلحة فى خروج الانجليز » .

« مرت هذه المرحلة ، هناك ناس ذهبوا للقناة ، وهناك ناس ماتوا فى القناة ، وهناك ناس حاربوا فى القناة ، وناس قاتلوا فى هذه الفترة .. **والانجليز اقتنعوا ليس بالمفاوضات فقط ، بل بالمفاوضات واقتنعوا بحرب العصابات ،** اقتنعوا انهم فى منطقة الشرق الاوسط **لا يدافعون عن الشرق الأوسط** ، ولن يستطيعوا **أن** يدافعوا عن الشرق الأوسط ، ولكن أصبحوا يدافعون عن أنفسهم ، وأصبحت كل عربة يخرج فيها عشر عساكر » .

« أصبح مفروضا فى كل عربة يكون فيها سائق واحد أن يكون معه ثلاثة أو أربعة ليحموا هذه العربية من أن تضرب ، **الذى قام بهذه العملية هو الشعب ، وكان فيهـــم ناس رأسماليين وأولاد رأسماليين وأنا أعرفهم بالاسم ، ومنهم أولاد كبار الملاك ، فى هذه المعركة الوطنية الشعور بالوطنية كان موجودا وكان الذى يشعر بالوطنية هو الشعب** » .

ويؤكد عبد الناصر أن هناك عناصر تعاونت مع الانجليز ، وكانت أصحاب مصلحة فى بقائهم فيواصل حديثه قائلا :

« ولكن ببساطة لو نضع أسماء ونقول هل يمكن لهؤلاء الناس **ان** يذهبوا ليحاصروا الانجليز ، نجد أنفسنا متفقين أن هـؤلاء **لا** يمكن أن يكونوا هم الذين يحاصرون الانجليز ، ولا يخرجـــون **الانجليز** ، لاننا كنا نعلم أنهم تعاونوا مع الانجليز ، وان تجارتهم مع **الانجليز** ، وان بقاء سلطانهم مع بقاء الانجليز وبقاء نفوذهم مع بقاء **الانجليز** »

وهذا كله هو ما يؤكده ميثاق هيئة التحرير **ففى الباب الخاص** بتأسيس الهيئة ينص على أنه :

« لقد رأيناها جريمة كبرى أن ندع هـذه الحرب الطاحنة **بين** الاحزاب تطحن الامة بين شقى رحاها ، وتطيل أمد عبوديتها فعزمنا أن نضع حدا لها وقررنا أن نبدأ من البداية ، قررنا أن **نخوض معركة التحرير** التى خاضتها الامم بعزم جديد حتى لا تكون بعد اليوم مهانة ولا خيانة ، قررنا أن نبدأ من البداية فأزلنا **وصمة العار** التى دمغت جباهنا ، واطحنا براس الحكم الفاسد **الذى** تراكمت حوله الخيانات ، واحتمت به خصوم البلاد ، ثم صارت حركتنا على النهج الذى تعرفونه ، وبتأييد الشعب على اختلاف طبقاته ، وطوائفه يزيد يوما بعد يوم حتى بلغ الحد الذى **اصبح معه فى حاجة الى هيئة تنظمه ، وتبرز وحـدته** وتنسق جهود العاملين فيه فى مختلف الميادين » .

وقد جاء فى المذكرة التفسيرية للنظام الاساسى للهيئة : ومع وحى الحركة الاصلاحية ومن صميم الضمير المستجيب الى دواعى **الخير** تأسست بمدينة القاهرة جماعة لهيئة التحرير فى مختلف **البلاد** ، وهم أولئك الذين يؤمنون بمبادىء الحركة التى قامت فى **٢٣ يوليو ١٩٥٢** لتحطيم الاصنام ، وفك القيود التى تحول دون

وصول مصر العزيزة الى المكان اللائق بها بين الامم ، وقد قررت الحركة أن تكفل لمصر حياة حرة كريمة دعائمها الطهر واستقامة الاهداف وخدمة المثل العليا والعمل المستمر الجاد الذى يعيد بناء امة وادى النيل فتصبح صرحا قويا راسخ الاركان تسهر عليه دولة صالحة تكفل للشعب رفاهيته وسعادته وتضمن له عدلا اجتماعيا لا يترك تحت سماء مصر جائعا او جاهلا بل تجعل من كل فرد عضوا صالحا وصحيحا فى جسم أمة ترتفع هاماتها فى المجال الدولى ، فيتصل ماضيها بحاضرها المجيد بحاضر مشرق سعيد ، ولا شك أن النهوض بهذا الواجب رسالة من خير الرسالات التى اخرجت للناس ، ولا بد لتحقيق هذه الرسالة من أن تعتمد على شباب طاهر يؤمن بمصريته ويتفانى فى تحقيق عظمة بلاده ، ومن اجل ذلك وابتغاء مجد الوطن وحده رأى فريق من ابناء هذه الامة ان يؤسسوا منظمة تضم العاملين لخير الوطن وسؤدده من **مختلف طبقات الشعب** ، فينخرط فى سلكها الطلاب والعمال من مختلف الحرف والفلاحون والموظفون وغيرهم بحيث يتألف منهم بناء الوطن الشامخ الذى تربط اجزاؤه ،وتوحد عناصر المعانى والاهداف ويحرر الجميع من تقديس الفرد والتفانى فى الاشخاص فلا يعبدون الا الله الواحد القهار ولا يؤمنون الا بالله سبحانه وتعالى وبحق الوطن الطبيعى فى الحرية والمجد فى الحياة **وشعار الجميع الاتحاد والنظام والعمل »**

بعد هذه الديباجة يقول ميثاق هيئة التحرير « نحن أعضاء هيئة التحرير وقد آلينا على أنفسنا أن نجلى الغاصب عن وادى النيل بلا قيد ، ولا شرط ، وان نكفل للسودان تقرير مصيره دون أى مؤثر خارجى وأن نقيم فى وطننا مجتمعا قويا اساسه الايمان بالله والوطن ، والثقة بالنفس ، وان نكفل الحقوق والحريات للمواطنين، فينال كل فرد حقه فى حياة كريمة تقوم على المساواة فى الحقوق وتكافؤ الفرص ، وتضافر قوى الشعب لتحقيق رسالة الاصلاح

الكبرى ، وأن نجعل نصب أعيننا وحدة الوطن المقدسة ، تعبئة فى برامج التعمير والانشاء ، وان نعمل ما من شأنه قيام مصر برسالتها العالمية دولة قوية تحمل مشعل العدل ، والحرية وتسعى لخير بنى الانسان وتعاون الشعوب العربية وترعى المبادىء القويمةالتى نصت عليها المواثيق الدولية وهذه هى أهدافنا :

الاهداف القومية :

١ - اجلاء القوات الاجنبية عن وادى النيل دون قيد أو شرط وتحريره من كل استعمار سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى

٢ - تمكين السودان من تقرير مصيره دون ادنى تأثير خارجى

الاهداف الداخلية :

١ - تحقيق الاهداف والمصالح الاساسية للشعب ، بحيث يؤمن على حقوقه وحرياته وفقا لدستور يسجل ارادته

٢ - اقامة مجتمع على أسس من الايمان بالله والوطن والثقة بالنفس للتخلص مما يعانيه من اسباب التخلف والضعف .

٣ - توجيه النظام الاقتصادى الى ما فيه تحقيق العدالة الاجتماعية وحسن توزيع الثروة ووسائل الانتاج واستغلال موارد البلاد الطبيعية وتشييد الصناعة على نطاق واسع وتشجيع رؤوس الاموال بها

٤ - كفالة الحقوق والحريات الاساسية من الناحيتين السياسية والاجتماعية فالمواطنون سواء أمام القانون ومن حقهم التمتع بحرية الفكر والرأى والعقيدة وممارسة الشعائر الدينية ومن واجب الدولة ازاءهم تأمينهم ضد البطالة والمرض والشيخوخة .

٥ - تبصير المواطنين بواجباتهم وحثهم على التضامن والتضافر

والعمل المنتج للنهوض بتبعات الاصلاح .

الاهداف الخارجية :

١ ـ دعم الصلات مع الشعوب العربية لتحقيق التعاون الفعال بينها فى شتى الميادين

٢ ـ تعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ليكون أداة لخدمة شعوبها وبلوغ أمانيها المشتركة

٣ ـ تأكيد استعدادنا للتفاهم مع أى شعب يظهر حسن نواياه نحونا .

٤ ـ التمسك بمبادىء ميثاق الامم المتحدة والمطالبة للعمل بها فى خدمة حرية الشعوب ورفاهيتها .

* * *

ولقد كان من الضرورى أن نلقى ضوء على أول التنظيمات الشعبية التى أقامتها الثورة ، لكى نفهم بعد ذلك كيف تطور الفكر الناصرى ، وكيف أنه سار على طريق الخطأ والصواب مسترشدا بمبادىء عامة هى الاهداف الستة التى حاول أن يطورها من خلال الممارسة والاحتكاك بالجماهير كما ذكرنا .

فالتنظيم الذى رأته الثورة فى ذلك الوقت كان معبرا عن طبيعة مرحلة التجمع الوطنى وكانت أولى أهدافه كما اتضح من ميثاقه هو تحرير مصر ، ومواجهة الاستعمار فيها ، واعطاء السودان حق تقرير مصيره كاملا .

أما الاهداف الداخلية فتعبر عن رؤية اصلاحية ، يمكن أن يقوم بها مثل هذا التجمع الذى كان من المفروض أنه يواجه الفراغ الناتج عن حل الاحزاب .

كانت تجربة الفكر الناصرى الثانية فى التنظيمات السياسية هى اعلان قيام الاتحاد القومى ، فى مرحلة تالية بعد الحصول على الاستقلال وذلك بعد تصفية هيئة التحرير فى ٢ ديسمبر ١٩٥٧ .

فبعد الاستقلال ، وبعد فشل الاستعمار فى محاولته اعادة غزو مصر ، والاستيلاء عليها ، وطرده من بور سعيد سنة ١٩٥٦ دون أن يحقق العدوان الثلاثى أهدافه .

جاءت بعد ذلك مرحلة تأكيد الاستقلال .. وتثبيته ومواجهة المؤامرات الاستعمارية وبداية الانطلاق لتحقيق آمال الجماهير وأهدافها عن **طريق مشروعات التنمية الاقتصادية** ومن هنا رأى الفكر الناصرى ، أن هذه المرحلة تحتاج الى تنظيم سياسى جديد، فى صورة تحالف جديد يضم فئات الشعب الوطنية . وكان « **الاتحاد القومى** » هو صورة التحالف الجديد الذى رأى الفكر الناصرى آنذاك أنه يمكن أن يقوم بدفع الثورة لانتشال المجتمع من التخلف الذى كان يعانيه ، نحو بناء مجتمع جديد ، يبدأ فى التصنيع . ويعتمد على نفسه اقتصاديا وصناعيا ... لا يعيش عالة على استيراد منتجات الاخرين ، ولا يعيش مزرعة تصدر الخامات لصناعتهم ، فالاستقلال السياسى لا يمكن أن يتأكد الا اذا تبعه فى نفس الوقت استقلال اقتصادى .

فالاستقلال فى حد ذاته لم يكن هدفا تقف عنده آمال الجماهير ، ولكن تحقيقه كان بداية ضرورية لاستمرار النضال من أجل القضاء على التخلف الاقتصادى ، والاجتماعى ، ووسيلة ذلك هو بناء الاقتصاد القومى المستقل والقوى ، عن طريق البدء فى خطط التنمية ومضاعفة الدخل كما يحدد عبد الناصر عندما يقول :

« وكان محتما أن نفتح الطريق أمام العدل ، ولقد كان ذلك يقتضى أن نسير فى طريقين :

أولا : تنمية الاقتصاد القومى لكى يمكن أن يحقق نوع من الامان للمواطن حتى تتسع آفاقه الى حد يسمح لكل مواطن بأن يملك نصيبا منه .

ثانيا : محاولة تقليل حدة الفوارق بين الناس احقاقا لمبدأ العدل الاجتماعى وتمكينا للاستقرار داخل الوطن » (١)

ولقد وجد الفكر الناصرى فى تلك الفترة أن هناك مجموعات من المواطنين الذين ساهموا فى رد العدوان وردعه وتحقيق الاستقلال لا بد من حشدهم فى معركة البناء .. ومن هنا فان الاتحاد القومى كان عليه أن يواجه متطلبات المرحلة الجديدة بهؤلاء الناس ..

والسؤال الذى يطرح هو : من هو الشعب الذى يمكن أن يقوم بعملية البناء المطلوبة ، والذى يمكن أن يواجه المؤامرات الاستعمارية انهم تقريبا كل أفراد الشعب فبالاضافة الى المعركة الوطنية التى واجهها كل الشعب . فهناك معركة تنمية يمكن أن تواجهها وتلعب هذه الفئات دورا فيها :

* **أولا :** فئات عديدة من المهنيين والمثقفين مصالحهم ترتبط ارتباطا مباشرا ، بخطط التنمية والتصنيع لانها الامل فى فتح مجالات جديدة للعمل والقضاء على البطالة الحقيقية بينهم ، التنمية بالضرورة ستؤدى الى رفع مستواهم المادى ، والاجتماعى

* **ثانيا :** فئات العمال ، رغم أن القوى العاملة فى الصناعة لم تكن قوية اذ أنه كان يعمل بها ١١ ٪ من القوة العاملة ، وكان دخل الصناعة بين ٨ و ١٠٪ من الدخل القومى .

وكانت العمالة المنظمة والكبيرة فى قطاع الغزل والنسيج الذى اختص بنصف القوى العاملة فى القطاع الصناعى ، وكان انتاجها

(١) المؤتمر الاول للاتحاد القومى .

عام ١٩٥٢ حوالى ٢٠٪ من الانتاج الصناعى وارتفعت سنة ١٩٥٩ حتى وصل الى ٤١٪ من الانتاج الصناعى . والعدد الاخر من العمال كانوا موزعين على وحدات الانتاج الحرفى وبعض الصناعات الاستهلاكية ، والغذائية ، أما بقية القوى العاملة فقد كانت فى قطاع الخدمات الذى يعانى من التضخم اذ كان يضم ٣٢٪ من حجم القوى العاملة .

هؤلاء العمال كانوا أصحاب مصلحة مباشرة واكيدة فى التصنيع الجديد وتطوير الصناعة القديمة ، وكانوا يتوقعون فى نفس الوقت من الثورة أن تتجه اليهم وتمكنهم من حياة جديدة وخاصة بعد أن اتخذت اجراءات فى بداية توليها السلطة تشير الى اتجاهها فى القضاء على ما تراكم من مشكلات للعمال ، فأصدرت قوانين العمل ، ومنعت الفصل التعسفى ، واستطاعت أن تحل كثيرا من المنازعات العمالية داخل وحدات الانتاج بما يدعم حقوق القوى العاملة الصناعية ويقضى على مشكلاتها ..

ولقد كان حماس هذه القوى للثورة واضحا بشكل مباشر عندما صدرت قوانين التمصير المختلفة ، وبات واضحا ان الثورة تتجه الى خلق اقتصاد مصرى متين .. لا يحقق فقط زيادة القوى العاملة ودعمها ، بل وفى نفس الوقت يحقق انصافها ، ورفع الغبن عنها ، والقضاء على صورة المدير الانجليزى فى مصانع النسيج وغيرها من المشروعات التى قامت فى أحضان رأس المال الاجنبى ، أو بالاستعانة به تماما والقضاء أيضا على التعسف والارهاب الذى يقوم به رأس المال المستغل فى مواجهة العمال ..

* **ثالثا الفلاحون :** وبطبيعة تكوين المجتمع الزراعى المتخلف فان الزراعة كانت هى الاساس حيث يزرع ٥ر٨٥ مليون فدان تمثل ٢ر٨٪ من مساحة البلاد يعمل بها ٧٥٪ من القوى العاملة ، وتسهم بـ ٤٨٪ من الدخل القومى فقد كانت الزراعة والصناعة تستخدمان ٦٨٪ من القوى العاملة ..

واذا كان وجه الثورة قد اتضح للعمال فى صورة قوانين ، واجراءات تدعم مركزهم ، فان ما أقرته الثورة بالنسبة للفلاحين قد أظهر بوضوح ان الثورة تقف الى جانب الفلاح، فقد كان اول القوانين التى أصدرتها واكثرها تأثيرا فى المجتمع حتى ذلك الوقت هى قوانين الاصلاح الزراعى التى قضت على الاقطاع ، وحددت اجرا للعامل الزراعى لاول مرة ، وواجهت مشكلة المستأجر الزراعى بأن حددت له هو أيضا القيمة الايجارية .

وكان ذلك يعنى أن آلاف الفلاحين قد اصبحوا ملاكا للارض التى يعملون فيها ، وانه قد قضى فى نفس الوقت على نفوذ الاقطاع وسيطرته ، وتحرير الفلاح .. **وبذلك كان الفلاحون من أكثر فئات الشعب ارتباطا بالثورة .**

* **رابعا ـ الرأسمالية :** كان واضحا فى تلك الفترة ان الرأسماليين الكبار تهمهم عمليات التنمية اذ تصوروا انهم سيلعبون الدور الرئيسى فيها وانها تفتح لهم مجالات جديدة للاستثمار ، والانتاج ، والبيع .. ولذلك فقد تحمسوا لعمليات تمصير الشركات الانجليزية والفرنسية وهى التى تمت بعد حرب السويس .. ولكن حماسهم كان بهدف الاستيلاء على هذه الشركات ووراثتها ، وقد شرح عبد الناصر موقفهم بوضوح فى أول مؤتمر للاتحاد القومى فقال « وكان هناك من يتصور ان واجب الحكومة هو أن يبيع هذه الممتلكات الى الشركات او الافراد الذين يمارسون نفس نوع نشاطها ، وكان ذلك خروجا عن التصور الاشتراكى الذى تحتمه ظروفنا ، وذلك ان الحكومة اذا باعت ما أصبح تحت اشرافها بعد التمصير فان النتيجة الحتمية لذلك هى مجرد اتاحة الفرصة للذين يملكون فعلا لكى يملكوا مرة أخرى .. ذلك ان الذى سيقدر على شراء المصنع المعروض للبيع هو ذلك الذى يملك بالفعل مصنعا ، كما ان الذى سيشترى السهم الجديد هو نفسه حامل السهم القديم »

ومع هذا التنبه الى موقف كبار الرأسماليين فان الفكر الناصرى لم يتخذ من الرأسمالية التى حرمت من وراثة رأس المال الأجنبى موقفا يمنعها من أن تكون عضوة فى الاتحاد القومى ، بل على العكس احتلت فيه كثيرا من المواقع الهامة .

وهناك شريحة ثانية هى الرأسمالية الصغيرة التى لم ترتبط بالاستعمار ، ولكنها تجد فى الثورة مجالا أوسع للانتعاش فى عمليات التنمية ، وتجد فى دعم الاستقلال .. حماية لها كصناعة وطنية .

التقت كل هذه الفئات فى ثانى مرحلة من مراحل التنظيم الذى اعلن يوم ٢٨ مايو ١٩٥٧ عندما صدر قرار تشكيل الاتحاد القومى .

ولقد كان الفكر الثورى يتجه الى ايجاد هذا التجمع ـ رغم تناقضاته ـ محاولا حل هذه التناقضات بطريقة سليمة .. وكوعاء لممارسة الديمقراطية ، ومواجهة تحديات الاستعمار فى مصر والعالم العربى وخاصة أن الثورة قد بدأت تظهر وجهها العربى والتفت حولها الشعوب العربية نتيجة لمواقفها المتعددة فى مقاومة الاستعمار ، والنضال من أجل تحقيق استقلال الوطن العربى ككل . وكذلك كان واجب التنظيم الجديد الاول هو دفع التنمية والبناء الاقتصادى وما يصاحبها من ضرورة دعم الاستقلال، وحماية الثورة الوطنية .

كان الاتحاد القومى اذن مرحلة ثانية من مراحل الوحدة الوطنية التى تأكدت عندما واجهت هذه القوى كلها العدوان ، وحاربته .. وانتصرت عليه ، وحافظت على الثورة .. صحيح ان كل فئة اتخذت هذا الموقف من موقع يختلف عن موقع زميلتها، ولكن المحصلة النهائية كانت ترى ضرورة وجود هذا التجمع ..

ويشرح كتاب الاتحاد القومى الصادر فى ١٩٥٧ فكرة الاتحاد القومى بانها « فكرة نابعة من صميم ارادة وحاجة مجتمعنا ، ارادها شعبنا بعد تجارب مريرة من الكفاح والجهاد على مر السنين

والايام ، جربنا سياسة الاحزاب والفرق المتناحرة المتنابذة فقاسينا من انقسام الرأى ، وتبديد المجهودات وتغلب المصالح الشخصية للافراد أو الاحزاب على المصلحة العامة وكل ما يترتب على تصرفات سماسرة السياسة من آثام فى حق مجتمع الحاضر ، ومجتمع المستقبل ، شهدنا كل ذلك ، وجربنا كل ذلك وثرنا عليه . فلم يبق امامنا نحن أبناء هذا الشعب أصحاب هذا الوطن ، وملاكه ، الا ان ننظم صفنا ، ونتولى زمام أمرنا بأيدينا ، ولا نتركه فى أيدى السماسرة او اصحاب السلطان من المستغلين .. فارادتنا جميعا تبلورت فى أن نكون وحدة ، وأن تعمل وحدتنا فى سبيل تحقيق أهدافنا ، وصيانة حقوقنا ، وانتصاراتنا والدفاع عنها . ولدعم تقرير مصيرنا ومستقبلنا بارادتنا المتحدة فى الفكر والعمل . ويعمل على بناء المجتمع العربى الاشتراكى التعاونى الذى يعمل بجميع نظماته وأفراده على تحمل مسئولية مجتمع تسوده الرفاهية ويتحقق فيه القضاء على الاقطاع والاستغلال ، وأن تواجه الملكية الفردية وظيفتها الاجتماعية لمصلحة المجتمع ، والقضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال على الحكم ، وأن يقوم القطاع الاشتراكى فى مجالات الصناعة والتجارة والمرافق العامة بجانب النشاط الخاص وأن تنشط التعاونيات بجانبها الانتاجى والاستهلاكى بجوار النشاط الفردى ، كل ذلك لزيادة الانتاج وعدم السماح لراس المال الفردى بالسيطرة أو الاستغلال واقامة عدالة اجتماعية تقل فى ظلالها الفوارق بين الطبقات وتتاح فيها الفرص المتكافئة لجميع المواطنين لاستغلال خيرات الوطن والاستفادة من جميع الخدمات التعليمية والثقافية والصحية والاجتماعية التى توفرها الدولة والمؤسسات العامة ، وأن تكون المصلحة العامة هى الاساس فى معاملات كافة المجتمع .

أهداف الاتحاد القومى :

الاتحاد القومى ليس حكومة ، ولكنه تنظيم يضم الحاكمين والشعب ، ويتيح الفرصة الحقيقية لتعاونهم على علاج المشاكل

المحلية والقضايا العامة فى ظل المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى . وهو سبيلنا الى الديمقراطية السليمة التى تشعر الشعب بأنه يحكم نفسه بنفسه .

واذا نظرنا الى الماضى نجد الانفصال بين الحكام والشعب واحساس الفرد العادى فى القرية او فى المدينة بان كل شىء يقرر فى القاهرة ، بينما هو فى موقف المتفرج الذى لا يملك سوى تنفيذ ما يصدر عن القاهرة من قرارات وقوانين تتحكم فى مصيره ، وفى مصير الملايين من ابناء هذا الوطن ، فلما قامت الثورة كان المبدأ السادس من مبادئها اقامة حياة ديمقراطية سليمة ومعنى الحياة الديمقراطية السليمة أن يكون لكل فرد حق الاشتراك فى بناء وطنه عن طريق الادلاء بوجهة نظره فى كل ما يعنيه من مشاكل سواء كان ذلك فى حدود محلية ، أم بالنسبة للدولة كلها ، مع التقيد برأى الاغلبية .

ولقد فشلت الاحزاب فى الماضى فى تحقيق هذا فقام الاتحاد القومى بتحقيق هذا الامل . فجعل لكل عضو فى كل لجنة من لجان القرى البالغ عددها اكثر من اربع آلاف قرية حق مناقشة ما يهم قريته كأحد مواطنى القرية ، وما يهم البلاد كلها كواحد من ملايين المواطنين فى الجمهورية .

سيضع الاتحاد القومى يده على الخطأ ، وينادى باصلاحه ، ويلتمس الصواب فيطالب بتصحيحه ، وهذا هو السبيل الصحيح لاقامة حياة ديمقراطية سليمة .

لذلك كان لزاما علينا فى معركة البناء ، والانشاء وتقريب الفوارق بين الطبقات أن نبذل جهدا مضاعفا لتعويض ما فاتنا ، وعلى ذلك فان الاتحاد القومى بمجموعه وبأعضائه بلجانه ومنظماته فى سائر المستويات هو التنظيم الشعبى الذى يحقق أهدافنا ويحقق لنا المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى .

هذه الوحدة ـ وحدة الفكر والعمل ـ كان لزاما علينا أن نستلهم ماضينا ، وتراثنا الفكرى والروحى وان نستجيب لدواعى الخير الكامنة فى اعماقنا منذ قرون طويلة عديدة فنتشبث بمبادىء المحبة والتعاون والاخوة والسلام فى خطواتنا التى نخطوها لتحقيق اهدافنا ..

ولا غرو فوطننا العربى مهد الرسالات منذ كانت هناك رسالات ومهبط الوحى منذ كان هناك وحى يوحى به ، ودعوة الرسالات جميعا كانت ولا تزال دعوة محبة واخاء وسلام ، وعندما اراد الشعب أن تسود المحبة والتعاون والسلام بين أفراده كانت امامه ايضا تجارب التاريخ وآثار الماضى ومظاهر الحاضر فى وطننا العربى ، وفى غيره من أوطان العالم رأينا كيف تنحى مبادىء الانسانية جانبا ، وتحل محلها جوانب وحشية غادرة ورأينا كيف تتحول فرق من الناس الى قتله وسفاكين للدماء غادرين مخادعين وتتقمص روح الشياطين فى سبيل السيطرة والاستعلاء ، وتتحول فرق أخرى من بنى الانسان اخوتهم فى الوطن وفى الانسانية الى شبه قطعان ذليلة ليس لها الا أن تكون أدوات فى خدمة الاقلية من الابالسة المسيطرين . وأشباه هؤلاء فرق اخرى من مصاصى الدماء الذين لا يشبع نهمهم ولا جشعهم الى المال حد من الحدود، لا يتورعون أن يستخدموا كل الاساليب الجهنمية لامتصاص الدماء وجمع الثروات من بنى أوطانهم أو من أبناء الاقطار الاخرى الخاضعة لسيطرتهم الاستعمارية .

والغريب أننا رأينا هؤلاء وهؤلاء يخادعوننا ، ويخادعون الناس فيلبسون كل هذه الاساليب البسة مخادعة براقة ، ويطلقون عليها ما شاءوا من عناوين ، ولكن ارادة شعبنا الواعى لم يخدعها كل

ذلك ولم تنحرف بثورتها المجيدة الى طريق الشر والبغى والهدم والخراب بل اطلقتها فى طريق الخير والمحبة والاخاء والسلام البناء وهى سبل نبيلة تتحقق بها أهداف الشعب ، واهداف الثورة .

ماهية الاتحاد القومى :

هو مجموعة من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ـ الحاكمين منهم والمحكومين ـ اجتمعوا فى قرية واحدة لتحقيق هدف واحد هو المجتمع الاشتراكى التعاونى ، هو منظمة قومية عربية تعمل على تحقيق وحدتنا ووحدة الشعب العربى الذى جمعته وتجمعه أصول تاريخية وروحية واحدة ، كما جمعت وتجمعه وحدة اللغة والعقائد والتقاليد والدم والمصالح المشتركة . وحدة هذا الشعب العربى فى الوطن العربى المتحرر من كل أثر من آثار الاستعمار ، واعوان الاستعمار .

والاتحاد القومى هو الذى يوجد الصلة الوثيقة بين القيادة وبين الشعب وعلاقته بالحكومة علاقة أساسها التعاون من أجل بناء الامة بناء سليما من جميع النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية لذلك سيعمل الاتحاد القومى على تخطيط السياسة العامة للبلاد ، وستقوم الحكومة بتنفيذ هذا التخطيط ، وينظم القانون الادارة المحلية فى جميع المستويات فى المحافظة وفى المدينة وفى القرية .

هذه المجالس المحلية هى التى تنفذ السياسة العليا للدولة فى مختلف المستويات .

* * *

كان دستور سنة ١٩٥٦ أكثر تركيزا لمهمة الاتحاد القومى عندما نص فى مادته ١٩٢ على أن : يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف التى قامت من أجلها الثورة ، ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما فى النواحى السياسية والاقتصادية

والاجتماعية ، ويتولى الاتحاد القومى الترشيح لعضوية مجلس الامة وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية ..

كان الفكر الناصرى فى هذا الوقت مازال يتجه نحو مهادنة الرجعيه من أجل تحقيق أهداف التنمية ، ولكن التجربة اثبتت خطأ هذه النظرية .. وقاد عبد الناصر بنفسه حملة النقد التى وجهت الى الاتحاد القومى ، وقال ان عناصر من أعداء الثورة ومن قوى الثورة المضادة قد تسللت اليه ، بل واحتلت مواقع القيادة فيه . فيقول عبد الناصر : (١)

« اذا كان من الحق الآن أن نمارس النقد الذاتى وهو ضرورى فانه لا بد من التسليم بأن التنظيمات الشعبية التى قامت او جرت محاولة اقامتها بعد الثورة قد عجزت عن تحقيق دورها وقصرت دونه وذلك راجع لعدة أسباب .

● **الاول :** ان قوى الثورة فى مواجهتها لحتمية التغيير الاجتماعى لم تكن قد استطاعت ان تحدد دليلا للعمل الثورى تلتقى عليه الجهود ولقد تعرض الميثاق لهذا الوضع بالتفصيل .

ومن نتيجة ذلك أن التجمع الشعبى مع النوايا الطيبة التى توفرت له كان تجمعا يغلب عليه الطابع الثورى أو كان اقترابا غير منظم من مجموعة من الامانى العامة **ليس لها منهاج تفصيلى** تلتقى عنده جهود جماعية على أساس فكرى واضح واحد لتصدر عنه ارادة شعبية عميقة ومؤثرة .

● **الثانى :** ان الفكر الثورى فى تلك الفترة وهو يتطلع الى الوحدة الوطنية ويدرك ضرورتها الحيوية داخل الوطن وفى مواجهة الظروف المحيطة به **وقع فى الخطأ حين توهم أن الطبقة المحتكرة**

١ ـ مناقشات المؤتمر الوطنى ٢٠ يوليو ١٩٦٢ .

التى كان لا بد ان تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية يمكن لها ان تقبل الوحدة الوطنية مع قوى الشعب صاحبة المصلحة فى الثورة .

« ولقد كان من اثر ذلك أن محاولات التنظيم الشعبى التى جرت فى ضباب هذا الوهم حدث فى داخلها من عوامل الصدام بين القوى الثورية بالطبيعة والقوى المضادة للثورة بالطبيعة ما أصابها بالشلل وأقعدها عن الحركة ، بل وكاد أن ينحرف بها فى بعض الاحيان عن الاتجاه الثورى الاصيل .

● **الثالث :** انه نتيجة لما سبق من غياب دليل للعمل الثورى ومن خطأ جمع المصالح المتصادمة فى وحدة وطنية موهومة ضاع عنصر الالتزام فى التنظيمات الشعبية .

* ان غياب **دليل للعمل الثورى** أقام ضبابا حول الهدف عن المجتمع .

* كذلك فان **المفهوم الموهوم للوحدة الوطنية** . بعد غياب دليل للعمل صنع المقاييس الحقيقية للحكم . على كفاءة أفراد التنظيم واخلاصهم فى خدمة الفكرة التى تشدهم الى هذا التنظيم .

على انه لابد من التأكيد أن هذه المحاولات كلها لم تضع سدى فان هذه المحاولات فضلا عما حققته من مهام مؤقتة ومرحلية ساعدت بطريق التجربة والخطأ على الوضوح الفكرى الثورى .

« ان الميثاق وصدوره عن ارادة شعبية حرة قد غير هذه الاوضاع كلها . فالميثاق اعطى دليلا للعمل الوطنى اولا ، انه من ناحية ثانية قد حدد بوضوح قوى الشعب العاملة التى يمكن ان تقوم بينها الوحدة الوطنية التى تتكفل بحل الصراع الطبقى سلميا وتدفع امكانيات التقدم ثوريا لصالح الجماهير .

« وبذلك أصبح فى الامكان أن يلتف التجمع الشعبى حول فكرة واضحة كذلك ان يكون هذا التجمع الشعبى سليما وممثلا للقوى الوطنية ودافعا لامالها الثورية .

ان ميدان العمل الوطنى اصبح الان مهيأ لقيام التحالف الوطنى الممثل لقوى الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية لكى يمارس دوره ويحل محل التحالف الطبقى القديم الذى يجب أن يسقط والذى كان ممثلا للاقطاع وراس المال وسيطرتهما على ثروة الوطن وعلى كل سلطة فيه .

« ان التحالف الوطنى الجديد الممثل لقوى الشعب العاملة ، هذا التحالف الذى يلتقى على الميثاق ومن حوله يفتح لاول مرة امكانية التنظيم الشعبى الذى هو بمثابة الجهاز العصبى للديمقراطية السليمة (١) »

فالاتحاد القومى كان تجمعا بدون دليل ثورى للعمل، وهو كتنظيم شعبى كان يهدف الى حماية الثورة واهدافها ، تحت شعار الوحدة الوطنية ، ولكن عناصر كثيرة مستغلة وانتهازية تسللت الى صفوفه واحتلت مكان القيادة ، وقد ظهر ذلك واضحا فى الاقليم الشمالى من الجمهورية العربية حيث احتلت القوى الرجعية مكان القيادة فى الاتحاد القومى ، وظهر ذلك ايضا فى الاقليم الجنوبى أن كثيرا من العناصر التى تساقطت على طريق التحول الاجتماعى الحقيقى بعد ثورة ١٩٦١ الاشتراكية . كانت هذه العناصر فى موقع القيادة منه .. وانفصل الاتحاد القومى عن الشعب ، وان حاولت بعض عناصره أن تقوم ببعض خدمات للمواطنين ولكن التنظيم لم يكن هدفه ان يقدم هذه الخدمات فحسب ان اهدافه أكبر من ذلك بكثير وهذا ما عبر عنه الزعيم بقوله :

« لم يصبح الاتحاد القومى وحدة سياسية أو وحدة سياسية متحركة أو وحدة ثورية ـ أبدا بل نتج عن هذا أن الاتحاد القومى انفصل عن الشعب ماكنش فيه نقط للاتحاد القومى أو فى هيئة التحرير كنا كلنا هيئة التحرير أو كلنا الاتحاد القومى معنى كلنا

(١) ٢ يوليو ١٩٦٢ .

هيئة التحرير او كلنا الاتحاد القومى أن مفيش حد اتحاد قومى يعتبر كل الناس هى الاتحاد القومى لأن فلان وفلان وكل واحد .. طيب امتى بيجمعوا اعضاء الاتحاد القومى مفيش داعى نجمع اعضاء بقى .. مفيش اعضاء كلنا الاتحاد القومى او كلنا هيئة التحرير .. باظت العملية .. ومبقاش فيه رابطة تربط هذه اللجان بالشعب »

« كان فيه وسايط وفيه طلبات .. كل واحد عايز بيجى واحد يوصيه على حاجة او واحد بيطلب منه حاجة .. فى الواقع انهم فى هذا كانوا بيحبوا يعملوا خدمات للمناطق اللى هم فيها بس هل هو الغرض المطلوب من التنظيم السياسى .. والغرض ان احنا نعمل تنظيم سياسى يكون هو الدرع الواقى لمبادئنا والدرع الواقى للثورة علشان يحمى هذه الثورة وقلت طبعا حصل غلط فى مفهومنا »

« احنا لما قلنا نريد أن يكون الاتحاد القومى هو عبارة عن اطار من الوحدة الوطنية يجمع الجميع . يجمع جميع التصادمات ويجمع جميع التناقضات ، وبهذا كان الناس اللى لهم نفوذ ، واللى لهم عصبية على طول بيدخلوا وبيسيطروا على لجان الاتحاد القومى وبيعتبر أن العملية لا هى تنظيم سياسى ولا هى ميثاق ولا هى فلسفة الثورة .. العملية وجاهة ان هو عضو الاتحاد القومى ورئيس لجنة الاتحاد .. العملية وجاهة . »

« ودى التجارب اللى احنا شفناها فى المرة الاولى والتجارب الى احنا شفناها فى المرة الثانية اذن فيه عيب !! »

« التنظيم السياسى موش وجاهة .. التنظيم السياسى انا قلت تكليف وقلت لكم أول امبارح انه خدمة وانه ثورة وانه تفهم وانه دعوة ... الى آخر هذا الكلام . »

« اذا جينا النهارده وقلنا هيئة التحرير وقلنا كلنا الاتحاد القومى كاننا معملناش حاجة .. نرجع نعيد العملية من أول وجديد

لازم ناخد دروس من اللى فات . عايزين نعمل تنظيم سياسى مضبوط تنظيم سياسى غير مهلهل تنظيم سياسى موش بس عبارة عن يفط .. ومناظر .. لا .. مبنى على الايمان الكامل والوعى الكامل ومبنى على معرفة بالرسالة المطلوبة ومبنى على معرفة بالواجب المطلوب ونمشى أو بنشوف الناس بنروح فى القرية ونروح فى كل حتة .. الناس .. فيه ناس ملهاش دعوة مبيهتموش قطعا .. فى كل حته ناس وانتم شفتوا الكلام ده لما دخلتم فى الانتخابات واحد مبيهموش بيمشى مع الماشى .. وواحد سلبى وواحد يهمه نفسه بس .. وواحد قلبه حارقه على البلد وقلبه حارقه على المبادىء وقلبه حارقه على انه يخدم وطبعا بتروح فى أى مجتمع .. واحد بيفكر فى بلده وواحد بيفكر فى نفسه واحد بيشتغل طول النهار علشان قوته وقوت عياله وفى نفس الوقت هو مستعد يشتغل طول النهار أو يشتغل وقت اضافى علشان مصلحة بلده .. واحد يدى المثل الطيب وواحد سكران طول الليل وطول النهار .. أمثلة موجوده بنجيب ده ونحطه مع ده ونقول كلنا الاتحاد القومى السكران ينحرف وبنخسر السليم .. وتجيله تهيئات ويقف يتكلم ويقول انه جدع ، وانه حيقف اصد الناس كلها .. ونبص نلقيه انه أفسد المثل الموجوده » .

« ازاى ينحط ده واحد سكران طول النهار ويبقعد يقول انه جدع ، وانه ضد كل الناس ، دانا موش فاهم ايه .. بنحطه مع المثل ومع القدوة الطيبة يفسد المثل والقدوة الطيبة » .

« الغلط .. بنقول كلنا برضه اتحاد قومى .. اتحاد قومى بيجمع كل الناس ولكن بنقسم العضوية فى الاتحاد القومى .. وده كان موجود فى الاتحاد سنة ١٩٥٧ وفى اتحاد سنة ١٩٥٩ ، بنقسم العضوية الى عضو عامل وعضو غير عامل .. العضو العامل هوه اللى بيدخل ويقبل انه يمثل المؤتمر فى القرية ، الباقيين ممكن باستمرار ينقلبوا من أعضاء غير عاملين الى أعضاء عاملين ويبقى

فيه فحص .. بتيجى العملية الاولى ازاى فتكون فى ٤٠٠٠ قرية وفى المصانع وفى المؤسسات الجماهيرية الشعبيه ؟ باعتقد ان احنا لازم نبذل جهد كبير بحيث ان احنا نكون هذه اللجان المحلية .. هاجى القرية فيها ٥٠٠٠ أو ٤٠٠٠ هل الخمسة آلاف دول ممكن يكونوا أعضاء عاملين ؟ وحتى اذا قلتم انتم أعضاء عاملين .. هل الخمسة آلاف يقدروا يشتغلوا ؟ » .

« لا مش حيشتغلوا .. اللى حيشتغل عدد محدود .. واللى حيفهم أو يتتبع الامور عدد محدود بنيجى فى الـ ٥٠٠٠ بنقول بناخد ٥٠٠ أو ١٠٠٠ دول همه الوحدة التأسيسية .. الناس الاعضاء العاملين والباقى اعضاء منتسبين أو أعضاء غير عاملين ، واجب الـ ٥٠٠ أو الـ ١٠٠٠ انهم يدعوا ، ويضموا ، ويفهموا هؤلاء الناس وباستمرار نضم ونزود عدد اللجنة التأسيسية — ازاى حناخد الالف من ٥٠٠٠ هل تعمل انتخابات مش معقول .. اجى فى البلد واقولهم حاعمل انتخابات علشان آخد الف من بنى مر .. محدش .. يعنى عملية مش معقولة .. بس كل الناس فى بنى مر معروفين ، يمكن معروفين لى ؟ ومعروفين للناس اللى هناك » .

« احنا مش عايزين اتحاد قومى بيجى مهلهل أو تيجى اللجنة اللى فيه ليس فيها انسجام بل فيها عداوة وكل واحد قاعد يحارب فى التانى .. دى مشكلة » (١) .

* * *

بعد اعلان القوانين الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ ، كان لابد أن يعيد الفكر الناصرى النظر فى قوى الشعب صاحبة المصلحة فى الاشتراكية والبناء الاشتراكى ، بعد أن أسقطت هذه القوانين تحالف الرجعية المتمثل فى الاقطاع مع رأس المال المستغل ، وانتقلت الثورة الى مرحلة تالية .

---

(١) ٢يوليو ١٩٦٢ المؤتمر الوطنى .

ووضع عبد الناصر أمام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية سؤالا واحدا هو : **من هو الشعب ..**

كان المطلوب من اللجنة ان تحدد من هو الشعب صاحب المصلحة فى الثورة الاجتماعية ، والقادر على السير بأهداف الجماهير التى تبلورت فى نضال من أجل صيانة الحرية ونضال من أجل بناء الاشتراكية .. ونضال من أجل الوحدة العربية ..

ولا شك أن قوانين يوليو ١٩٦١ ، قد غيرت التركيب الطبقى للمجتمع ، وحددت فئات جديدة أصبحت صاحبة مصلحة فى بناء وتدعيم الثورة الاشتراكية ، وعناصر أخرى أصبحت تأخذ موقف العداء منها على أساس ان أضيرت من التحول الاشتراكى ، فى مقدمتها الرأسمالية الكبيرة ، التى أممت ممتلكاتها واصبحت مملوكة للشعب واضيفت الى القطاع العام .

وقد عبر القائد عن تلك الحقيقة فى مناقشات اللجنة التحضيرية عندما قال : « نأتى الى هذه المرحلة ولابد أن أتساءل من هو الشعب ؟ وعندما أجىء اليوم وأقول من هو الشعب ، سيختلف من السؤال الذى سألته لنفسى سنة ١٩٥٣ ، من هو الشعب ، هناك اختلاف كبير فى التكوين بسبب الاقطاعى الذى كان عنده عشرون الف فدان أو عشرة آلاف فدان ، أو خمسة آلاف فدان واخذت منه أربعة آلاف وتسعمائة . هل ممكن أن يقبل أبدا حكم الاشتراكية ، أو يقبل الكلام الذى نقوله ؟ انا لا اصدق ، انه يمكن ان يقبل ، حتى لو جاء بالمصحف وحلف ، فالشك يكون فى الجانب الثانى ، لا يمكن أنا أن أصدق ، ماذا أفعل له ، اننا نتكلم عن العزل ونتكلم عن الفرز أنا اقول لهذا الشخص لا يتولى قيادة .. ليس معقولا ان اجىء بالرجل الذى كان عنده خمسة آلاف فدان ، واقول له تولى قيادة بالنسبة للاشتراكية » .

« اذن اذا جئنا اليوم فى هذه المعركة ، وقلنا من هو الشعب ؟ ومن هو الذى سيعزل ، ومن هو الذى سنفرزه ؟ تصبح العملية بسيطة ونقول سنعمل اشتراكية » .

« هل سنتجه الى الرأسمالية والاقطاع او نتجه الى الاشتراكية ؟ اذا كنا سنتجه الى الرأسمالية والاقطاع اسأل نفسى واقول من هو الشعب ؟ عندئذ آتى بالرأسماليين والاقطاعيين ، وادعهم يتولون القيادة لاننى اذا كنت سأسير معهم يكونون اذن هم الشعب . هم انفسهم كانوا يسألون انفسهم هذا السؤال قبل الثورة الاجتماعية ، وكان كل حزب من اجل ان يرشح نوابه او يأتى بالناس الذين سيرشحون له يسأل نفسه من هو الشعب ؟ ومن هم الناس الذين يمسكهم القيادة ، يجىء بالناس الرأسماليين أو الاقطاعيين أو الناس الذين تتمشى مصالحهم مع مصالح هذا الحزب .. اذن العملية عملية مصالح » .

« **ومن الذى سيقوم بالقيادة ، عندما نقول اشتراكية لا بد لها من اشتراكيين** ، أنا لا أصل الى هذا التطرف ، أنا اريد للاشتراكية اناسا لا هم رجعيون ، ولا هم راسماليون مستغلون .. أى واحد غير هذا ، أى واحد **ليس أصله اقطاعيا** ، أى واحد **ليس أصله رأسماليا مستغلا** ، أو لم يكن طبعا **مفسدا للحياة الرأسمالية** او من الأذناب السياسيين الذين نعرفهم ، كل واحد من هؤلاء ، اذا لم يكن من هذه الفئات فانه يكون راغبا أن يسير فى الطريق الذى نسير فيه ، تسأله ما هى الاشتراكية ، هو يصور بنفسه الاشتراكية ، وقد يعرفها ببساطة أكثر من التعقيد الذى نعقده ، تجده يعرفها ببساطة انه يريد أن يأخذ حقه ويأخذ فرصة مثل غيره ، وابنه يلحقه بالعمل .. هذا هو المقصود من كلمة الشعب ، واعداء الشعب .. أو الفرز أو العزل الى آخر هذا الكلام ، بعد ذلك اعتبر ان هذه **عملية ضرورية جدا لتأمين الثورة الاجتماعية** ، والا اذا تولى القيادة الاقطاعيون او الراسماليون المستغلون فكاننا لم نعمل شيئا » .

اذن لقـــد مر الفكر الناصرى بالنســـبة للتنظيم السياسى فى مرحلتين :

* **الأولى** : هى مرحلة التجمع لكل القوى الوطنية على اساس ان التناقضات بينها تناقضات ليست عدائية .. وان التناقض العدائى هو بينها وبين الاستعمار .

* **الثانية** : مرحلة فرز العناصر صاحبة المصلحة فى الحفاظ على الثـورة الاشتراكية على ان هذه العنـاصر بينها تناقضات ولكنها ليست تناقضات عدائية ايضا ، وأن ما بينها يمكن ان يحل سلميا ، وفى اطار الوحدة الوطنية ..

لم يأخذ الفكر الناصرى فى تجربته الثالثة مع التنظيم بفكـرة الحزب واخـــذ ايضا بفكرة التحالف .. ولكن صيغة التحالف هذه المرة مختلفة ، فقد أبعدت عنها عناصر الثورة المضادة بالعزل عن الحياة السياسية ، ومنعت من عضوية التحالف الجديد .. وهو الاتحاد الاشتراكى العربى الذى نص عليه ميثاق العمل الوطنى فى مايو ١٩٦٢ .

اذا كان الاتحاد القومى تجمعا وطنيا ، والاتحاد الاشتراكى هو الاخر تجمعا وطنيا فما هو الفرق بينهما هذا السؤال نفسه طرحه عبد الناصر فقال :

« طيب ايه الفرق بين الاتحاد الاشـتراكى العربى والاتحاد القومى ماحنا كان عندنا اتحاد قومى وعملنا انتخابات عامة الى آخر هذا الشىء . والنهـــاردة ها نعمل اتحاد اشتراكى عربى بانتخابات (١)

« فيه فرق كبير ، فيه فرق جوهرى واحنا يمكن المسئولين زى ما قلت . ان احنا شعب طيب ولكن مش من السهل ان حد يضحك علينا ، احنا قلنا ان احنا بنعمل الاتحاد القومى بنشكل

(١) عيد السد يناير ١٩٦٢ .

الاتحاد القومى ونكون الاتحاد القومى ، فوجدنا ان الاساس الذى بنى عليه الاتحاد القومى لم يكن بالأساس السليم ، شىء ضد العقل وضـــد الطبيعة واحنـــا كنا طيبين جدا ، عايزين نلم الاقطاعى اللى خدنا منه ألف فدان مع الفلاح اللى وزعنا عليه خمس أفدنة . وكنا بنعتبر ان الاقطاعى اللى خدنا منه ألف فدان حاينسى ويقول ان احنا بنمشى فى المجتمع الجديد ، لكن الاقطاعى طبعا اللى أخدنا منه الف فدان مش ممكن حاينسى ان احنا أخدنا منه الف فدان مهما سيبنا له من الأرض . ويعتبر ان هو كان سيد فى هذه البلد والنهاردة بنقوله تساوى مع الآخرين ، وهو لا يقبل أن يتساوى مع الاخرين لانه بيعتقد انه سيد بالوراثة اللى ورث هذا عن ابوه وعن جده وان الآخرين فلاحين أو عمال بالوراثة وان دى طبيعة الكون . »

« ان الاتحاد الاشـتراكى بيتألف من تحالف قوى الشعب **العاملة ولا مكان فى الاتحاد الاشتراكى للرجعية ، أو للاقطاع ، أو للرأســـمالية المستغلة . أو للراسمالية الفاسدة** ، مهما بعتوا تلفرافات ومهما حاولوا يتلونوا ، ومهما حاولوا يقولوا انهم بيماسوا هـذا النظـام بنقول لهم الايام ستثبت مين فعـلا اللى بيمشى مع هذه الاهداف ومين فعلا اللى قابل هذا الميثاق عن حق ، ومين اللى مستعد أن يتحول الى مواطن صالح ، ولكن يجب أن يوضع كل واحد موضع الاختيار الكامل ، أما اليوم فلا مكان لهم فى الاتحاد الاشتراكى .

« .. دا الفرق بين الاتحاد الاشتراكى العربى والاتحاد القومى قوى الشعب العـــاملة هى التى ستقوى الاتحاد الاشـــتراكى العربى .. »

* * *

فى ينـــاير سنة ١٩٦٢ ، وقبل صدور ميثاق العمل الوطنى صدر قانون العزل الســـياسى متضمنا عزل

الفئات التى حددت اللجنة التحضيرية عزلها من المحيط السياسى . ومنعها من مباشرة حقوقها السياسية لمدة عشر سنوات ومنعت بعد ذلك من عضوية الاتحاد الاشتراكى وهى :

١ ـ من انطبق عليهم قانون الاصلاح الزراعى وحددت ملكياتهم الزراعية .

٢ ـ من ثبت اشتراكهم فى افساد الحياة السياسية عن طريق الكلمة أو الفتوى وكل من استغل النقابات العمالية أو المهنية أو الجمعيات التعاونية .

٣ ـ العناصر الرجعية والمستغلة التى تعارض الاشتراكية والذين امتت لهم اسهم تزيد قيمتها على عشرة آلاف جنيه .

٤ ـ الذين فرضت عليهم الحراسة أو اعتقلوا ، أو حددت اقامتهم

* * *

وعندما يتحدث الميثاق الناصرى عن التنظيم الجديد ، تنظيم الاتحاد الاشتراكى يصفه بانه الصيغة الجديدة للتحالف بين فئات الشعب العاملة ، بدلا من التحالف القديم بين الاقطاع والراسمالية .. « فتحالف الرجعية وراس المال المستغل يجب أن يسقط ، ولا بد أن ينفسح المجال بعد ذلك ديمقراطيا للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة ، وهى الفلاحون والعمال ، والجنود والمثقفون ، والراسمالية الوطنية .

« ان تحالف هذه القوى الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع راس المال المستغل ، وهو القادر على احلال الديمقراطية السليمة محل ديمقراطية الرجعية ..

« ان الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب هى التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون السلطة الممثلة للشعب ، والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديمقراطية السليمة »

وتحدد مقدمة قانون الاتحاد الاشتراكى العربى ماهية الاتحاد فتقول انه :

منذ أن قامت الثورة ، ثورة ٢٣ يوليو ، وارتبطت بمبادئها الستة ، وانتقل نضال الشعب بالتحول الاشتراكى بعد قرارات يوليو ١٩٦١ ، اقتضت مراحل الكفاح قيام تنظيم شعبى هو الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون أمينا ، وقادرا على المحافظة على مبادىء الثورة الستة ، والاندفاع بها الى الاهداف الكبرى التى حددها الميثاق .

« ان الاتحاد الاشتراكى العربى هو الطليعة الاشتراكية التى تقود الجماهير وهى تعبر عن ارادتها وتوجه العمل الوطنى ، وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره فى خطه السليم فى ظل مبادىء الميثاق »

« وهو الوعاء الذى تلتقى فيه مطالب الجماهير ، واحتياجاتها ، ويضم الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم سياسى شعبى قوى الشعب العاملة ، ويتمثل فيه تحالف هذه القوى فى اطار الوحدة الوطنية »

اما أهداف الاتحاد الاشتراكى العربى فهى :

١ ـ تحقيق الديمقراطية السليمة ، ممثلة بالشعب وللشعب لتكون الثورة بالشعب فى أسلوبها ، وللشعب غايتها وأهدافها

٢ ـ تحقيق الثورة الاشتراكية التى هى ثورة الشعب العامل .

٣ ـ دفع امكانيات التقدم ثوريا لصالح الجماهير وحماية مبادىء الثورة واهدافها ..

٤ ـ حماية الضمانات التى قررها الميثاق وهى : كفالة الحد الادنى لتمثيل العمال والفلاحين فى جميع التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بحيث يراعى فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى نفسه أن تكون نسبة العمال والفلاحين ٥٠٪ على الاقل باعتبارهم اغلبية الشعب التى

طال حرمانها من حقوقها الاساسية ـ مبدأ القيادة الجماعية ـ تدعيم التنظيمات التعاونية والنقابية ـ ارساء حق النقد والنقد الذاتى ـ نقل سلطة الدولة الى المجالس المنتخبة تدريجيا .

٥ ـ نقل سلطة الدولة تدريجيا الى المجالس الشعبية المنتخبة .

٦ ـ النضال ضد تسلل النفوذ الاجنبى والانتهازية والرجعية التى تم اسقاطها .

٧ ـ مقاومة السلبية والانحراف ، ومنع الارتجال فى العمل الوطنى .

ويضع قانون الاتحاد الاشتراكى ضمانات لكى يؤدى الاتحاد مهمته ويحقق اهدافه فيقول القانون :

« وضمانا لأن يؤدى هذا التنظيم الشعبى الى تحقيق اهدافه فان العلاقات سواء بين الأعضاء وبعضهم أو بينهم وبين تنظيماتهم ، تتطلب مجموعة من القيم والمبادىء ليسير الاتحاد الاشتراكى العربى بقوة نحو أهدافه الثورية .

واهم هذه المبادىء احترام الاقلية لارادة الأغلبية ، حتى لا يكون هناك اى مجال لقيام دكتاتورية فى منظمات الاتحاد ، وكسب ثقة الشعب عن طريق الاقناع ، وهذه الثقة هى السبيل الى طاعة الجماهير لقيادتها طاعة ليست وليدة الخوف ، ولكنها وليدة الاقناع ، ولا تعطى للقيادات ، فى أى مستوى من المستويات ، حقوقا مكتسبة تقيم دكتاتوريات داخل تنظيمات الاتحاد والنظام والطاعة فى العلاقات بين القيادة والطليعة والجماهير على اساس اخلاص القيادة الثورية وسلامة مخططاتها واخلاص الطليعة الاشتراكية ، والاستعداد للبذل والتضحية واقتناع الجماهير ، والعمل على قيام علاقات سليمة بين منظمات الاتحاد وبين الشعب

العامل ، والعمل على حل مشاكل الجماهير ، والعمل على استمرار الدفع الثورى لدى الجماهير واطلاعها على حقائق الأمور . وعدم فرض السلطة ، أو ممارسة اى نوع من التعالى على جماهير الشعب العامل ، والاعتراف بالأخطاء والمبادرة الى اصلاحها .

ان الاتحاد الاشتراكى العربى ، وهو السلطة الشعبية يقوم بالعمل القيادى والتوجيهى وبالرقابة التى يمارسها باسم الشعب فى حين يقوم مجلس الأمة ـ وهو سلطة الدولة العليا ومعه المجالس النقابية والشعبية ـ بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى العربى .

وفى خلال منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى فى جميع مستوياته يجد الميثاق ـ وهو بالنسبة لثورتنا نظريتها السياسية وبالنسبة لاشتراكيتنا فكرها الثورى ـ طريقه الى التطبيق العملى ..

وفى قيام الاتحاد الاشتراكى العربى بدوره القيادى ، وتحمله لمسئولياته الطبيعية ، ووقوفه حارسا على الضمانات التى كفلها الميثاق ، وممارسته لوظائفه بالأسلوب الديمقراطى ، وانبثاقه عن الجماهير ، وتمثيله لأمانيها وتعبيرة عن ارادتها ، وتحقيقه لمبدأ سيادة الشعب وارسائه لقاعدة أساسية من قواعد التنظيم السياسى الديمقراطى وهى أن الديمقراطية السليمة تصبح بالمنطق الاشتراكى وسيلة وغاية للنضال الوطنى .

ويقول عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية :

ان الاتحاد الاشتراكى العربى هو التنظيم الأم الذى يربط جميع سلطات الدولة ، فرئيس المدينة أو رئيس القرية يجب أن يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى العربى حتى يستطيع أن يحل مشاكل المدينة أو القرية ، ويتفاعل مع طلباتها ويلبى احتياجاتها ، وفيما يتعلق بالنقابات ينبغى أن يكون أعضاؤها أعضاء فى الاتحاد الاشتراكى العربى لتكون فى الوطن وحدة كاملة .. تجمع كل

بيفكروا فى تحسين أحوالهم لا فى تحسين أحوال المجتمع ، لما نبص ابنى مر تلاقى ناس متعلمتش ، اللى ما اتعلمش ماشى وراء الجاموسة واللى اتعلم عنده المرسيدس ، ومكتب فيه تكييف وبيقعد فى روف سميراميس وشبرد .. واحد عنده بيت وواحد ما عندوش بيت .. وده عنده كهربة ، وده ماعندوش ـ ولو ان فيه فى بنى مر كهربة ـ وده بيتمتع ، وده لا يتمتع ، احنا مجتمع فيه ثورة .. ومجتمع فيه معركة .. بيجى واحد يطلب ديمقراطية وأحزاب .. لو عايز أحزاب معنى هذا اسمح بحزب رأسمالى رجعى »

« اول ما أسمح بالحزب ده حتنفذ الـ سى . اى . ايه ثانى يوم عن طريق المضادين للثورة فى الخارج اللى مش قادرين يطعنونا من الداخل .. وتستطيع الرأسمالية والامبريالية أن تنفذ خلال هذا الحزب الرجعى ، ونكون تنكرنا للثورة ومبادئها ، وأول مبادئها القضاء على الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع والاحتكار » .

* * *

الفكر الناصرى يلتقى مع الفكر الماركسى فى الاعتراف بالصراع الطبقى وان كان لا يلتقى معه فى صيغة تحالف قوى الشعب العاملة .. بدلا من الحزب .. ويختلف أيضا فى الأسلوب الذى يراه لحل هذا الصراع ..

فبينما ترى الناصرية أن الوسيلة هى الحل بأسلوب سلمى ـ حيث تمكنت القوى الثورية فعلا من الاستيلاء على سلطة الدولة وأصبحت تملك أدواتها وأجهزتها ترى الماركسية أن الحل ـ وصولا الى السلطة ـ لا بد أن يكون دمويا .

فالماركسية تقوم أساسا على فكرة الصراع بين الطبقات ومقدمة البيان الشرعى تقول ان تاريخ كل

مجتمع ، الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات فالحر والعبد والنبيل والعامى ، والسيد والاقطاعى والقن ، والمعلم والصانع

اى باختصار المضطهدون والواقعون تحت تأثيرهم كانوا فى تعارض دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة ، وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهى دائما بانقلاب ثورى يشمل المجتمع بأسره ، واما بانهيار الطبقتين المتناضلتين معا . وخلال العهود التاريخية السابقة نجد المجتمع فى كل مكان تقريبا منظما تنظيما متسلسلا ، والاوضاع الاجتماعية على مراتب ودرجات متفاوتة .. ونجد داخل كل طبقة من الطبقات درجات خاصة .

« والمجتمع البورجوازى الحديث لم يقض على هذا التناحر بين الطبقات بل أقام طبقات جديدة بدلا من القديمة ، واوجد ظروفا جديدة للاضطهاد وأشكالا جديدة للنضال ، الا ان الذى يميز عصرنا الحاضر ، عصر البورجوازية هو انه جعل التناحر الطبقى اكثر بساطة ، فان المجتمع آخذ فى الانقسام اكثر فاكثر الى معسكرين فسيحين متعارضين ، الى طبقتين كبيرتين ، العداء بينهما مباشر ، هما **البورجوازية والبروليتاريا** .. هما الراسمالية والعمال .. والصراع الذى يدور بينهما هو من أجل ملكية ادوات الانتاج .. والعلاقات الانتاجية أصبحت لا تتفق مع نمو القوى الانتاجية لذلك فانه لا مفر أن **تملك الملكية الاشتراكية لادوات** الانتاج . ولقد حولت الصناعة الحديثة الورشة الصغيرة الى مصنع كبير .. وأصبح العمال يخضعون لتنظيم أشبه بالتنظيم العسكرى ، فهم عبيد للراسمالى وكلما نمت قوتهم ، يزداد نضالهم ولا يكتفى العمال بتوجيه ضرباتهم الى علاقات الانتاج البورجوازية بل يوجهونها الى ادوات الانتاج نفسها ..

وترى المادية الجدلية ان تاريخ البشرية هو تاريخ الاستغلال والاضطهاد وصراع الطبقات ، وان الصراع وصل الى مرحلة ان

البروليتاريا لا تستطيع أن تحرر نفسها دون أن تحرر المجتمع بأسره ، وكل الحركات التاريخية الى يومنا هذا كلها حركات قامت بها اقليات أو جرت فى مصلحة الاقليات ، أما حركة البروليتاريا فهى حركة قائمة بذاتها للاكثرية الساحقة فى سبيل مصلحة الاكثرية فالبروليتاريا التى هى طبقة سفلى فى المجتمع الحالى ، لا يمكنها أن تهب ويقوم عودها الا اذا نسفت كل الطبقات المتراكب بعضها فوق بعض والتى تؤلف المجتمع الرسمى ..

وينتهى المنهج الماركسى بالوصول الى **مجتمع بلا طبقات ، وبلا ملكية فردية** ، فعندما ينتهى الصراع من أجل الملكية سيتحول المجتمع الى مجتمع جديد بلا سلطة حكومية « فالجهاز الحكومى هو اداة فى يد طبقة معينة لقمع طبقة اخرى ، وعندما تصبح الدولة للجماهير وتصفى الملكيات فانه لا حاجة الى جهاز للدولة ، ولكن الوسيلة الى ذلك هو الاستيلاء على السلطة والاستعانة بجهاز الدولة واقامة ديكتاتورية البوليتاريا المؤقتة حتى تتم تصفية الطبقات وبذلك تنتهى مهمة جهاز الدولة »

الأساس اذن أن تنظم الجماهير صاحبة المصلحة نفسها فى حزب ، وان تقوم بمواجهة أجهزة الدولة والاستيلاء على السلطة لتحولها لصالح الأغلبية الساحقة .. والوسيلة الى ذلك هو الحزب .. والحزب فى الفكر الماركسى هو اداة الطبقة العاملة لفرض سيطرتها وتحقيق ديكتاتورية البورليتاريا ، وفى جلسات الوحدة يشرح عبد الناصر تفسيره لنظم الديمقراطية فى الشرق والغرب .. ثم يشرح ما هى البلوريتاريا .. يقول عبد الناصر :

« بنفسر الكلام ده لانه جاء فى الميثاق الحقيقة موضوع يستاهل النقاش .. هو طبعا فيه عندنا الطبقة .. طبقة الاقطاع والراسمالية اللى بيسموها البورجوازية .. وبعدين الطبقة العاملة .. فيه مذهبين فى العالم فى البلاد البورجوازية بتنادى بسيطرة راس المال على الحكم .. اللى هى سيطرة تحالف الاقطاع وراس المال واقامة

دكتاتورية الرجعية أو دكتاتورية تحالف الاقطاع مع راس المال تحت اسم الديمقراطية البورجوازية »

« أما بتيجى النهاردة فى فرنسا بتبص .. بيقولوا فيه ديمقراطية لكن بتبص للبرلمان **من الموجود فى البرلمان ؟** مين اللى بيقدر يوصل للبرلمان ؟ هى الطبقة **البورجوازية** التى ورثت السلطة .. الطبقة السائدة الطبقة الحاكمة برغم الثورة الفرنسية .. الطبقة لا زالت تحكم فى فرنسا بالبورجوازية .. اللى هى تحالف اقطاع مع راس المال . »

« **بيطلع الفكر الماركسى** .. الفكر الماركسى يقول ان البروليتاريا اللى هى طليعة الطبقة العاملة يجب أن تأخذ الحكم بالقوة وعليها أن تسقط هذه الطبقة البورجوازية وتهدمها بالعنف وبالقوة .. وتقيم بدلا من ذلك دكتاتورية البروليتاريا أو دكتاتورية طليعة الطبقة العاملة .. فهنا فيه دكتاتورية .. هنا أيضا فيه دكتاتورية .. الدكتاتورية الاولى هى دكتاتورية راس المال والاقطاع .. دكتاتورية البورجوازية تحت اسم الديمقراطية الغربية .. الثانية هى دكتاتورية البروليتاريا تحت اسم الشيوعية »

« الكلام اللى احنا بنقوله بيختلف عن هذا .. احنا بنقول ان تحالف الاقطاع وراس المال يجب أن يسقط ودول اللى حكموا مئات السنين فى بلادنا .. ولكن هل لا بد لتحقيق هذا الهدف أن نقيم البروليتاريا ؟ لقد نص الميثاق أن الحل المناسب لنا هو أن نقيم حكما لتحالف قوى الشعب العاملة .. اللى هى العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والحرفيين أو الراسمالية الوطنية » .

« **فاذن هذا بيختلف كلية عن النظريتين** .. معنى هذا ايه .. ان الشعب العامل كله هو اللى بيحكم .. ومعنى هذا أيضا انه لن تكون هناك فرصة لسيطرة الطبقة القوية .. الطبقة القوية زى ما قلنا اللى هى الطبقة التى يتمثل فيها تحالف الاقطاع وراس

المال وعندها من الاسلحة وعندها من القوة بأن تشكل نفسها وتتسلل الى الحكم »

« كيف نحمى قوى الشعب العامل ؟ كيف نحمى هذا التحالف من أن تنقض الطبقة البرجوازية التى أخذت فرصة التعليم وفى ايدها الفلوس وعندها النفوذ ، وورثت السلطان من أن تنقض مرة ثانية على تحالف قوى الشعب العاملة لتسقطه وتحكم مرة أخرى ؟ »

« صمام الأمان الوحيد أن يعطى العمال الذين حرموا السنين وآلاف السنين ٥٠ ٪ على الأقل فى الحكم وفى المجلس التشريعى .. بهذا لن تتمكن البورجوازية القوية أن تنفذ الى البرلمان وتأخذ أغلبية لتحكم وتأخذ السلطة .. وبهذا لا تعود سيطرة الطبقة أو سيطرة التحالف بين الاقطاع وراس المال .. سيطرة الرجعية مرة أخرى » .

« كيف نضمن هذا ؟ كيف نضمن ان هذه الطبقة القوية ـ اللى عندها أسلحة واحنا ساعات نستهين بيها ـ ما تأخدش الدولة وتفتصب الدولة وتسخرها لخدمة مصالحها . .الضمان الوحيد ان الناس اللى حرموا من حقوقهم وحرموا من كل شىء نديهم ٥٠ ٪ .. اذن اذا قدرت الطبقة الرجعية المستغلة أن تأخذ عدد من كراسى البرلمان مش هتقدر أن تستولى على الحكم .. انها تستولى على الحكم بشىء واحد انها تأخذ أغلبية أو أكثر من نص عدد البرلمان . »

« بهذه الطريقة بنضمن تحالف قوى الشعب العامل انه يستمر .. يستمر بقوة بدون أن تتسلل الرجعية أو تتسلل البورجوازية لتأخذ السلطة من حيث لا ندرى .. وفى رأيى ان البورجوازية أو تحالف الاقطاع وراس المال على درجة كبيرة من الذكاء بحيث انه يستطيع أن يشكل نفسه وفقا للحاضر .. ووفقا للموقف .. »

« وحصل فى وقت من الاوقات فى تجربة سنة ٥٨ أن الراسمالية

المعاصرة استطاعت فى سوريا انها تتشكل وتمشى مع الموقف وأرادت بهذا أن تنقض على الحكم لتاخد الحكم وأخذت الحكم . واغتصبت الحكم .. فى بلاد تانية كثيرة حصلت هـذه الامثلة واستطاعت البرجوازية أى تحالف الاقطاع مع رأس المال ان تغتصب السلطة مرة أخرى . الامان الوحيد انك تضمن ٥٠ ٪ للعمال والفلاحين اللى هم يمثلون جزء كبير من الشعب العامل اللى هم بيمثلوا أغلبية الشعب .. أما بنقول ان الشعب العامل بيتمثل مثلا فى ٧ مليون ـ هنا فى مصر ـ مليون علية يعنى .. طبعا العمال والفلاحين بيمثلوا على الأقل أكثر من خمسة مليون ونصف أو ستة يمكن .. ستة مليون ، ستة مليون فماجيناش نقول ندى نسبة « ١ » الى « ٥ » لان الشعب العامل ٦ مليون .. فعملية الـ ٥٠ ٪ الفرض منها أن تؤمن هذه الديمقراطية الشعبية ـ اللى احنا بنتكلم عليها ـ من التسلل الرجعى ومن اعادة سيطرة الطبقة البورجوازية مره أخرى »

« ده الحقيقة الشرح لهذه العملية .. ازاى نضمن ان الراسمالية لا تتسلل ؟ لاى جزء من تحالف قوى الشعب العاملة ـ اللى هو الجزء الكبير ـ هو اللى بيكون عنده الفرصة فى البرلمان وبهذا لا نعطى الفرصة للبورجوازية أن تتحكم »

ويشرح عبد الناصر بعد ذلك فى نفس الجلسة مفهوم كلمة البروليتاريا فيقول :

« ما هى البروليتاريا ؟ البروليتاريا لا تعنى أبدا الطبقة العاملة ولكن طليعة الطبقة العاملة لأن فيه مثقفين بيعتبروهم بروليتاريا .. يعنى هو ده يمكن سبب الخلاف فى كلامنا فيه فرق بين دكتاتورية الطبقة العاملة ـ الشيوعية ـ نيجى نقرا فى التفسير الماركسى للعملية وفى التفسير اللينينى للعملية عن البروليتاريا .. البروليتاريا ليست عمال .. أبدا .. فيه فرق بين الطبقة العاملة .. والبروليتاريا ..

هو بييجى بيقول ان .. ان الحكم للطبقة العاملة .. ولكن يطبق دكتاتورية البروليتاريا اللى هى قيادة الطبقة العاملة .. هل البروليتاريا هم عمال ؟ لا .. »

« فى البروليتاريا عمال ومثقفين ومدرسين ثوريين الى آخر هذا الكلام .. أنا بأقول لك تفسيره هو تفسيره الماركسى اللينينى فهم ليه ما بيقولوش دكتاتورية الطبقة العاملة ؟ هم قالوا ان انبروليتاريا وصية على الطبقة العاملة ولهذا يجب أن نقيم دكتاتورية البروليتاريا مش دكتاتورية الطبقة العاملة بدليل .. امسك الحزب الشيوعى فى العراق وامسك اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى العراق هل هم عمال ؟ »

* * *

الفكر الناصرى يرفض الحزب ، ويأخذ بصيغة التحالف بين قوى الشعب العاملة الخمسة .. باعتبار أنها الصيغة الاكثر تلاؤما مع المجتمعات النامية

ففى الدول النامية تلعب البورجوازية الصغيرة الدور الرئيسى فى كل عمليات البناء وفى معارك التحرير .. وفى التنمية ، ذلك ان طبقة العمال لم تنم بعد فى هذه الدول الى الحد الذى يمكنها من ان تكون قوى تسيطر وتقود ، فالصناعة عادة متخلفة او وليدة .. والايدى العاملة الصناعية غير مدربة تدريبا كافيا فهى هاربة من الزراعة الى المصانع .. المتباعدة ، فالعمال نسبتهم قليلة ، وخبرتهم النضالية محدودة . وعددهم يزيد وينمو ببطء ، وكلما تطور المجتمع وازداد تقدما واتجه نحو التصنيع اتسع حجم طبقة العمال ..

والطبقة الوسطى الفنية هى فئات المهنيين ، والفنيين الذين لا يمكن الاستغناء عن خبرتهم وجهودهم لعمليات التنمية خاصة فى الدول النامية ..

وفى المجتمعات المتخلفة يكون الفلاحون الغالبية العظمى من السكان ، ورؤيتهم السياسية محدودة ، كذلك فان خبراتهم بشئون السياسة والحكم قليلة أيضا . كما ان طبيعة التخلف الذى تعيشه القرية عموما يفرض عليها عزلة ، وقيما ، وأفكارا قد تبعد بها عن الرؤية الناضجة فى المسائل السياسية بالذات . والدول النامية تعتمد على تعبئة الجماهير ، وعلى قوتها لفرض التقدم ولهذا فان الأسلوب الذى يلائمها هو التحالف الذى يدخله العمال . والفلاحون والمهنيون « المثقفون » وأضاف الفكر الناصرى الى هذه الفئات الثلاثة فئتين أخرين :

● **الاولى** هى الرأسمالية الوطنية ، وذلك لان الفكر الناصرى لم يتجه الى القضاء على الملكية الفردية لادوات الانتاج .. وان كان قد أخضع هذه الملكية لسيطرة الشعب الممثل فى القطاع العام .

والفكر الناصرى يرى ان الشرائح الصغيرة من الرأسمالية ـ وهى التى اطلق عليها الرأسمالية الوطنية تمييزا لها عن الرأسمالية الغير وطنية المرتبطة بالاستعمار ـ هذه الشرائح الصغيرة لاعتبارات عديدة بعضها اقتصادى وبعضها سياسى لا يمكن استبعادها ، كما انه لا يمكن وضعها ضمن فئات الثورة المضادة ما دامت لا تمارس اى نوع من انواع الاستغلال ..

وهذه الرأسمالية الوطنية المتمثلة فى قطاع الحرفيين ، والتجار وصغار الملاك .. كل هؤلاء وان كانت تتناقض مصالحهم مع مصالح العمال والفلاحين والمثقفين وحتى بين بعضهم وبعض ، الا انه ليس تناقضا عدائيا على اى حال .

واذا كان المجتمع يرفض الاستغلال ، فانه سيخرج من بين فئاته العاملة باستمرار كل الافراد الذين يثبت انهم مستغلون .. فالمجتمع فى حركته ذات الأهداف المحددة يلفظ باستمرار كل من لا يسير فى الاتجاه الذى رسمه لنفسه ..

ولقد كان الابقاء على الرأسمالية الوطنية الصغيرة ضمن اطار التحالف فى مثل ظروف مجتمعنا الذى يسير فى البناء الاشتراكى ويتيح الملكية الفردية ، ضرورة .. فحيث اننا اتجهنا الى اقرار الملكية الفردية ووجود قطاع خاص فان ذلك يستلزم بالطبيعة اعتبار الرأسمالية الوطنية ضمن التحالف

● **الفئة الثانية هى الجنود** : ذلك ان الجيش فى ظل حكومة وطنيه ثورية هو أداة فى يد الجماهير ، وسلطة لحماية مكاسبها ، ومنجزاتها .. هذه الاداة الرئيسية لا يجب أن تظل فى اطار تحالف الشعب فقط ، بل انها الاداة التى يجب أن يعمق فيها الوعى السياسى ، بحيث تكون دائما أول واقوى الايدى الضاربة لكل من يحاول الانقضاض على مكاسب الشعب من أعدائه فى الداخل أو الخارج .

واية ثورة وطنية لا يمكن أن تؤمن نفسها وتضمن النجاح الا اذا ضمنت الجيش كقوة تحميها ، وتؤمن بها ، وتلتزم بمناهجها وخطها الثورى ، خاصة فى مراحلها الأولى ، وتزداد هذه الضرورة اذا لم تكن الثورة تعتمد على تنظيم سياسى ثورى قوى ومترابط من الجماهير يقف الى جانبها .. وثورة عبد الناصر قامت ليلة ٢٣ يوليو بالجيش كطليعة ثورية لنضال الشعب .. « وان الثورة تفجرت تلك الليلة العظيمة من انضمام الجيش تحت قيادة الشعب، وفى خدمة أمانيه .. « وان الجيش فى تلك الليلة أعلن ولاءه للنضال الشعبى ، ومن ثم فتح الطريق امام ارادة التغيير .

« ان انضمام الجيش الى النضال الشعبى صنع أثرين هائلين فى نفس الليلة : **لقد سلب قوى الاستغلال الداخلى أداتها** التى كانت تهدد بها ثورة الشعب ، كذلك فانه **سلح النضال الشعبى فى مواجهة قوى السيطرة الاجنبية المحتلة بدرع من الصلب** قادرين لصد ضربات الخيانة والغدر »

وحدد الميثاق الناصرى دور القوات المسلحة فى أن عليها أن

« تحمى عملية بناء المجتمع ضد الأخطار الخارجية ، كما يتعين عليها أن تكون مستعدة لسحق كل محاولة استعمارية رجعية تريد أن تمنع تمنع الشعب من الوصول الى أهدافه » « والجيش وقد قام بالثورة وضع نفسه فى المكان الطبيعى تحت قيادة الشعب ، وفى خدمة أمانيه » .

والجنود بعد ذلك كله هم ابنـاء **العمال والفلاحين والمثقفين** ، والرأسمالية الوطنية ، انهم ابناء فئات التحالف الجديد ، وهم اكبر قوة تسند وتدعم هذا التحالف فى مواجهة التحالف القديم الذى سقط . تحالف الرجعية مع راس المال ..

* * *

من أجل ذلك كله استقر الفكر الناصرى على صيغة التحالف ، الكبير الذى يحشـد الجماهير العريضـة صاحبة المصلحة ويدفعها للمشاركة فى المجال السياسى وفى عمليات البناء الاشتراكى (١)

والتحالف بهذا الشكل هو تنظيم جماهيرى واسع يشمل كل العناصر المتفاوتة فى حماسها ، المتناقضة فى مصالحها ، واتجاهاتها المختلفة فى أفكارها .. لذلك رأى عبد الناصر انه لا بد أن يقوم داخل التنظيم الجماهيرى « **تنظيم آخر** » **ملتزم تتوحد أفكاره ، وغاياته ، يكون أكثر صلابة ، وايمانا وقدرة على العمل** ، ووعيـا بأهداف الثورة ، وبمتطلبات النضال تنظيم يقود الجماهير ويكون وسيلة قوى الشعب العـاملة لتحقيق الاشتراكية كما انه قلب تحالفها .. الذى يحركه ويبعث فيه الحياة .

وقال عبد الناصر فى الميثاق « ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر

---

١ ـ وثائق الناصرية مفهوم العمل السياسى اعداد المعهد العالى للدراسات الاشتراكية

الصالحة للقيادة وينظم جهودها ، ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ، ويتحسس احتياجاتها ، ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات

وكما ان الاتحاد الاشتراكى هو تنظيم جماهيرى يقوم على التحالف بين فئات الشعب فالجهاز السياسى ليس حزبا .. لانه لا يعبر عن طبقة بعينها .. انه طليعة هذا التحالف ، وهو يعبر عن التحالف كله ، ويلتزم بتحقيق أهدافه ويعمل على اذابة الفوارق بين فئاته وأفراده ، فهو جزء من التحالف .. ولكنه الجزء القائد والنشيط المتحرك الواعى ، الذى يتوحد فكره ، ولكنه فى نفس الوقت يقوم على أسس حزبية من حيث التسلسل التنظيمى والالتزام ..

وفى مؤتمر المبعوثين بالاسكندرية أعلن عبد الناصر « اننا لا يمكن أن نطلب من الجماهير أو من ٦ مليون عضو فى الاتحاد الاشتراكى انهم يكونوا بسرعة وبدفعة صغيرة ثوريين مرة واحدة بين يوم وليلة ، كل اللى انا طالبه أن يكون عندنا مجموعة أولا من الثوريين التى تطبق هذا » .

« وبالنسبة للجهاز السياسى فى الحقيقة احنا بدأنا من سنين فى تكوين الجهاز السياسى ولكن بطريقة سرية ولغاية دى الوقت فى رأيى ان احنا لسه حنقعد فترة ونحن نكون هذا الجهاز السياسى بطريقة سرية .. ليه الحكمة فى الطريقة السرية .. أنا الحقيقة كنت متصور لو بديت اعلن نحط فلان فى الجهاز السياسى وما نحطش فلان تتكتل جميع القوى اللى فيها هؤلاء الناس علشان تهدم هؤلاء الناس أو تسوا فى سمعتهم ، واحنا عارفين هذه الصراعات الموجودة فى المجتمع ولا يمكن التغلب عليها .. **النقطة الثانية** انا مش عايز أى واحد فى الجهاز السياسى يستغل صفته انه موجود فى الجهاز السياسى علشان يستخدمها بالنسبة لعمله أو يستخدمها بالنسبة لأى مكان آخر .. وفى الجهاز السياسى ناس

استمروا . والعدد النهاردة وصل لعدة آلاف وفيه ناس طلعوا من الجهاز السياسى لان فى اختباراتهم ما كانوش المثل الحسن . وقالوا ان احنا موجودين فى الجهاز السياسى . ما حدش يعرف ان دول أفراد من الجهاز السياسى . .واول ناس اتكلموا عن مؤامرة الاخوان المسلمين كانوا ناس أفراد من الجهاز السياسى بالنسبة لمحافظة الدقهلية » .

«ومن الناحية التانية الكلام اللى انا قلته عن الاتحاد الاشتراكى اعتقد ان هو تغير .. والنهاردة الاتحاد الاشتراكى ماشى على انه يخلق قيادات ثورية .. الحقيقة القيادات الثورية كلمة ننطقها سهل جدا ولكن وجودها عسير .. وجود القيادات الثورية عسير وعلشان توجد القيادات الثورية لازم نوجدها من نضالها داخل نطاق الجماهير .. واحنا النهاردة بالنسبة للمكاتب التنفيذية ، وبالنسبة للعمل فى الاتحاد الاشتراكى ظهرت عناصر شابة كثيرة جدا تتمثل فيها الثورية وفيه عناصر كتير نقدر نقول انها مش شوية .. ولكن فى نفس الوقت مش رجعية .. وموجود فى الاتحاد الاشتراكى حتى الآن عناصر رجعية اقطاعية .. واحنا النهارده فى اعادة مسح جميع لجان الاتحاد الاشتراكى علشان تصفيته من هذه العناصر .

« هل نعمل حزبين اشتراكيين مش معقول لسبب بسيط .. ان فيه فى البلد حزب رجعى موجود وغير معلن عنه .. فيه فى البلد الاتحاد الاشتراكى .. وفيه حزب رجعى وهم مجموعة من الناس عارفين بعض ، وهم لسه ما اتصفوش ولا بد من تصفيتها .. فيه الاخوان العملاء لحلف بغداد .. أو الحلف المركزى .. النهارده لو اعمل حزبين اشتراكيين يكسروا بعض .. والحزب الرجعى متكاتف ويستطيع أن ينفذ .. لا بد من تكتيل القوى الوطنية فى سبيل الثورة ، وفى سبيل انتقال المجتمع الذى تذوب فيه الفوارق بين الطبقات » .

« ومعنى هذا لن تكون عندنا أحزاب مختلفة .. ولكننا نقبل أفكارا مختلفة داخل الاتحاد الاشتراكى .. هنـاك تناقضات بين العمال والفلاحين .. وتناقضات بين العمال والفلاحين والمثقفين .. وفى لجنة من لجانكم ناس قالوا ان العمال والفلاحين بيمثلوا بنسبة ٥٠ ٪ وان هذا كثير .. وان دول ناس ميفهموش حاجه وده كلام عيب وكلام خاطىء ولازم ننزل للعمال والفلاحين ونستلهم أفكارنا الثورية من العمال والفلاحين » .

« نحن لم نستلهم أفكارنا الثـورية بالبعثات ولكن استلهمناها لما الواحد يروح القرية ويشوف الفلاحين ويشوف العمال .. دول اللى بيمثلوا الغالبية العظمى للشعب ، لكن احنا موظفين ومبعوثين وجامعة بنخدم الشعب العامل ؟.. بنخدم العمال والفلاحين ؟ »

* * *

ان فكرة التحالف التى تبناها الفـكر النـاصرى نظرية وتطبيقا .. تعتبر أحد الخلافات الأساسية بينه وبين الفكر الماركسى .

ولقد وجد الفكر الماركسى الحديث نفسه فى هذه الصيغة انها الملائمة للدول النامية ففى الحلقة الدراسية العالميـة التى أقيمت بمدينة المآتا بالاتحاد السوفيتى فى أكتـوبر عام ١٩٦٩ ، القى ا.ا. اسكيندريروف نائب مدير معهـد الحركة العمالية العـالمية بأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى بحثا عن مشاكل توحيد قوى التحرير القومى والاجتماعى قال فيـه : « ان مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وهى التى خطت البشرية نحوها تتميز بتعدد أشكال وأنواع الحركات الثورية الديمقراطية التى تنفذ مهامها المحددة فى المرحلة التاريخية الدقيقة . وتتحدد طبيعة هذه الحركة او تلك كما تتحدد أهدافها القريبة والبعيدة بأشكالها ، وأساليب

نضالها ، بالقوى السياسية والقوى الطبقية الاجتماعية التى تشارك فيها وبمن يقودها » .

« وتجربة الكثير من الدول القومية تقوم على أن قيادة الحركة تنتقل بالتـدريج الى أيدى الطبقات الوسطى التى زاد نشـاطها السياسى زيادة ملحوظة فى الآونة الأخيرة » .

وتقول الدراسة أن طبقة الفـلاحين تمثل السواد الأعظم من السكان ، فى هذه الدول ولا تستطيع اية حركة سياسية أن تنجح ما لم تلجأ الى الاتحاد مع هذه الطبقة كما ان حركة الفلاحين تجد القوة عندما ترتبط ارتباطا وثيقا بالنضال الثورى للبروليتاريا .

واية دولة متطورة فى آسيا وافريقيا لن تستطيع ذلك بحركة البروليتاريا ، لانها تنمو ببطء ، ولأنهـا كقاعدة ، قليلة العـدد ، وترتبط لا بالانتاج الضخم بل الانتاج المحدد ولم تترابط فيما بينها تماما كطبقة لها منظماتها السياسية .

وتقول الدراسة أيضا ان التفهم السليم لدور طبقة العمال له قيمة أساسية طالما انه لا يسمح بالنظر فى قضية زعامة البروليتاريا كعملية محددة ، وذلك يدخل فى طبيعة ثورة التحرر القومية التى لا تنفصل عن الثورة الاشتراكية وهو يسـاعد كذلك على تجنب تطرفين اثنين : أحدهما التطرف المتعلق ببخس دور طبقة العمال والمبالغة فى تقدير الامكانيات الثورية لغير البروليتاريين **ومن بينهم العناصر البرجوازية ، والبرجوازية الصـغيرة التى ربما تستطيع الآن أن تأخذ على عاتقها تحقيق وظائف دكتاتورية البروليتاريا .** والثانى يتعلق بالمغالاة فى تقدير هذا الدور وبالانتظار السلبى حتى تتزعم طبقة العمال الحركة .. وفى الحالة الأولى تتعاظم الخطوط الاشتراكية التى لا تميز حركة التحرر القومية حتى الآن ، لأنهـا لا تزال داخل حدود التطور الديمقراطى العام » .

« وفى الحالة الثانيـة تظهر محاولة **فرض اساليب واشكال النضال البروليتارية الخالصة ، وهذا يؤدى الى عزل طبقة العمال عن القوى الثورية الديمقراطية الأخرى** » .

« ولكن الالتحام التـام بين الأهداف القومية ، والأهداف الاجتماعية للثورات التحررية المعـادية للاستعمار لا يحقق الممكن فحسب ، **بل يحقق الواجب الضرورى لاقامة جبهـة قوميـة ديمقراطية واحـدة يمكن أن تشـارك فيها كل القـوى التقدمية** والثورية للامم » .

اذن فالفكر الماركسى الحديث يتوافق مع صيغة التحالف التى نادى بها الفكر الناصرى ، بل انه يعتبرها الصيغة الوحيدة الملائمة للدول النامية **عموما** ، ويرى فيها وسيلة لتحقيق الاشتراكية بدلا من قيادة البلوريتاريا وهو أمر أقر الفكر الماركسى نفسه أنه لا يلائم المجتمعات النامية للاسباب التى ذكرها .

ملكية خاصـة .. ولكن

الاشتراكية فى الفكر الناصرى تعنى سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج ، ولكنها لا تطالب فى نفس الوقت بتأميمها كلها .. فهى لا تلغى الملكية الخاصة ، ولا تمس حق الارث الشرعى المرتب عليها ..

موقف الناصرية من الارث الشرعى ، هو جزء مترتب على وجود حق الملكية . وعلى الايمان بالقيم الدينية فى نفس الوقت ..

والاشتراكية فى الفكر الناصرى تعنى :

- قطاع عام قوى وقادر يسيطر على الهياكل الرئيسية للانتاج
- قطاع خاص يسيطر عليه القطاع العام ، ويخضع لتوجيهه يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة من غير استغلال وأن تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعين مسيطرة عليهما معا ..

فالتأميم عند عبد الناصر ليس عقوبة تحل براس المال عندما ينحرف . ولكنـه هدف لاقامة مجتمع جديد .. ولدفع التنمية الاقتصادية ..

ومن أجل ذلك ترك عبد النـاصر فرصـة لراس المال الخاص ليمارس دوره فى التنمية . ولكنه وضـع له حدودا لا ينبغى أن يتخطاها ..

* ترك القطاع الخاص فى الزراعة .. حيث أتاح الملكية الفردية ، بل ان المواجهة الثورية الناصرية لمشكلة الفـلاح والأرض فى مصر كانت بزيادة عدد الملاك الزراعيين ..
* ترك للقطاع الخاص مجالا فى الصناعات الصغيرة والاستهلاكية
* وترك للقطاع الخاص أيضا مجالا يستطيع أن يعمل فيه فى

قطـــاعات أخرى من المبانى والتجارة والتوزيع .. والمقـــاولات وغيرها ..

ولقد كانت رؤية عبد النـاصر انه من العسير على المجتمع أن ينتقل مرة واحدة الى الملكية العامة فى كل شىء . « فهل كنانستطيع مثلا أن نؤمم محلات الحلاقة .. وغيرها .. ان ذلك فضلا عن أن امكانيات صنعه وادارته صعبة ، الا انه قد حدث فى بعض الدول التى اتجهت الى الاشتراكية ، ووجدت أنها تسرعت . وعادت مرة ثانية تتراجع فى هذه الخطوات ..

ان رؤية عبد الناصر للملكية الخاصة تنبع من عدة اعتبارات :

١ ـ هى ظروف المجتمـــع والحرمان الذى عاشته الجمـاهير ـ وخاصة الفلاحين ـ محرومين من الملكية طوال حياتهم .

٢ ـ طبيعة التخلف فى بعض الصناعات والمهن يجعلها عبئـا على الادارة الاشتراكية ، وعلى القطاع العام مما يعوق التنمية ذاتها

٣ ـ الأرضية الفكرية السائدة فى المجتمع لم تكن تسمح بالانتقال مرة واحدة ، وبقرارات علوية من السلطة الثـورية التى لا يدعمها تنظيم قوى ، وقادر ، ناضل من اجل نشر المبادىء الجديدة ، واعتنقها .

٤ ـ التنمية الاقتصادية الشاملة لا تستلزم أن تقوم الدولة بكل شىء ، بل انها تستلزم بالدرجة الأولى حشد كل الطاقات ، والامكانيات المبدعة للجماهير لكى تعمل ، من أجل متـانة الاقتصـاد ، وهـذا يتطلب خبرة القطاع الخاص فى مجالات حرفية ، وصناعية محددة حتى يتقدم المجتمع ، ويصل الى مرحلة يمكن أن يتجمع فيها الحرفيون فى تعاونيـات .. والفلاحون فى تعاونيات أخرى ، وصغار الصناع فى تعاونيات ثالثة ..

فالرأسمالية الصغيرة يمكن أن تلعب دورا فى التنمية ، ولو كان دورا محدودا والدولة فى مرحلة حشـد طاقاتهـا لمضاعفة الدخل القومى تحتاج الى كل جهد فى هذا الاتجاه ، ومما يزيد صعوبة الأمر ، ويعقده أن القطاع العـام الجديد لا يستطيع بسهولة أن يتحمل وحده ، وطفرة واحدة الانتقال بكل أدوات الانتاج ، فى الصـناعة ، وبكل وحدات الخدمات وينقلها مرة واحدة من الملكية الخاصة ، الى الملكية العامة .

٥ ـ القطاع الخاص يملك بالاضافة الى خبرته ما هو أهم ، وهو الاستثمارات والأموال التى يمـكن أن تسـهم فى عمليات التنمية ، ومضاعفة الدخل القومى فى مراحل الحشد الأولى من أجل زيادة الانتاج وامتصاص الأيدى العاملة .

٦ ـ التجارب أثبتت فى الفكر النـاصرى أنه فى نطاق بعض المهن كالزراعة مثلا ، فان كفاءة الفـلاح وقدرته كفيلة بالوصول بالأرض الى طاقة انتاجية كبيرة ، وخاصة اذا استخدم العلم الحديث ، وتمكن الفلاح من استعمال الوسائل الجديدة فى الزراعة سواء كانت الأدوات أو البـذور ، أو الأسـمدة وغيرها .. فالعلم يعطى اضافة الى روح الفلاح المصرى ، وطاقته الكامنة ..

* * *

ومشكلة الزراعة فى مصر من أعقـد المشاكل .
فالفلاح المصرى عاش حياته ، هو وأجداده أجيرا ، يعمل فى أرض الغير ، ولم يذق فى حياته أبدا طعم ملكية الأرض التى رواها هو وأجداده بدمه وعرقه ودموعه .

لقد واجهت كارل ماركس مشكلة الفـلاح الصغير بالذات .. وفكر فى سنة ١٨٤٨ على أنه « عندما تصبح سلطة الدولة فى أيدينا

الأراضى التى باعتها مصلحة الأملاك الأميرية ٦٢٣ر١٨٢ فدان بيعت على النحو التالى :

المساحة المباعة بالفدان	النسبة المئوية	المشترون
٣١١١	١ر٧ ٪	صغار المزارعين
١٣٨٢٧	٧ر٦ ٪	اقطاعيات خريجى المعاهد
١٦٣٦٨٦	٩٠ر٧ ٪	كبار الملاك

الأراضى الزراعية المملوكة للدولة كانت تتحول ملكيتها تدريجيا الى الاقطاعيين وكبار الملاك ، والدولة عن طريق الوقف أو عن طريق تمليكهم ما تستصلحه اذ تزرعه فترة ثم تسلمه لكبار الملاك غالبا ، والقسم الآخر من الأراضى الزراعية مملوك اما لشركات الأراضى أو للبنوك العقارية .

وشركات استصلاح الأراضى تكونت فى البداية برأس مال اجنبى ، انجليزى فرنسى ، ودخلها بعد ذلك رأس المال المصرى .. وقد وجدت هذه الشركات انتعاشا فى انشاء القناطر الخيرية التى أوصلت الماء الى مساحات جديدة من الأرض أمكن استصلاحها ، كما وجدت انتعاشا فى انشاء خزان أسوان حيث أمكن اضافة حوالى ربع مليون فدان .. واستطاعت الراسمالية ان تدخل ميدان الأراضى الزراعية ، اما بمفردها أو متعاونة مع رأس المال المصرى .

وفى سنة ١٩٥٢ كانت ١٤ شركة زراعية تملك ٩٣٤٧٨ فدانا تستثمر فيها ٦ر٥٢٨ر٥٩٧ جنيها مصرية هى :

١ ـ شركة أراضى أبو قير تأسست سنة ١٨٨٨ براسمال حوالى ٣٨٦٧ فدانا ، كما أنها استصلحت عشرات الألوف من الأفدنة واستخدمتها ثم باعتها .

٢ ـ الشركة الانجليزية المصرية لتجزئة الأراضى . وسجلت فى اكتوبر ١٩٠٥ .

٣ ـ شركة القاهرة الزراعية تأسست سنة ١٩٢٦ .

٤ ـ شركة أراضى الدقهلية سجلت فى ١٩٢٩ .

٥ ـ الشركة المصرية للأشغال الزراعية تأسست سنة ١٩٠٤ .

٦ ـ شركة أراضى الغربية سجلت سنة ١٩٠٥ .

٧ ـ الشركة المصرية الجديدة تأسست فى لندن سنة ١٨٩٩ .

٨ ـ شركة أراضى سيدى سالم تأسست فى يونيو ١٩٠٦ .

٩ ـ الشركة الزراعية والصناعية تأسست سنة ١٨٩٧ .

١٠ـ شركة أراضى كوم امبو تأسست سنة ١٩٠٤ وكانت تملك ٣٠ الف فدان .

١١ـ شركة أراضى البحيرة تكونت سنة ١٨٨١ وكانت تملك ٣٨ر٨٥٨ فدان .

١٢ـ شركة أراضى الشيخ فضل تأسست فى مارس ١٩٠٥ وكانت تملك ٢٨٨٩ فدانا .

١٣ـ شركة مصر العقارية وهى احدى فروع بنك مصر .

١٤ـ الاتحاد العقارى المصرى وتأسس سنة ١٩٠٥ .

وهذه الشركات كانت فى غالبيتها شركات أجنبية ، رأس مالها أجنبى يستثمر فى مجال الأراضى الزراعية سواء بالبيع او الشراء او الاستصلاح والبيع ، وهى تقوم فى اعمالها على استئجار عمال يزرعون لحسابها .

اما النوع الثالث والأخير من الملكية الزراعية فقد كان مملوكا للبنوك العقارية التى أنشئت من أجل التسليف بضمان رهن الأرض ، وكانت تمول عمليات الزراعة ، بضمان الأرض .. مثل بنك « الكريدى فراتسيه » وهو البنك العقارى المصرك وبنك الاراضى المصرية « لاتدبانك اوف ايجيبت » وعديد من البنوك .. واضيف اليها سنة ١٩٣١ بنك التسليف الزراعى المصرى .. الذى اصبح منذ سنة ١٩٤٩ اسمه بنك التسليف الزراعى والتعاونى .

أصدر عبد الناصر قوانين للاصلاح الزراعى قضت على صورة الاقطاع ، وواجهت المشكلة الزراعية بتوزيع الأرض على صغار الفلاحين .

ولقد غيرت هذه القوانين هيكل المجتمع المصرى ، وأصبحت صورة الملكية فيه منذ صدور قانون الاصلاح الزراعى سنة ١٩٥٢ مختلفة .

حجم الملكيات	عدد الملاك بالالف	المساحة بالالف فدان	النسبة المئوية لعدد الملاك	النسبة المئوية للمساحة
اقل من ٥ فدان	٢٨٤١	٢٧٨١	٩٤ر٤ ٪	٤٦ر٦ ٪
٥ فدان ـ	٧٩	٥٢٦	٢ر٦ ٪	٨ر٨ ٪
١٠ فدان ـ	٤٧	٦٢٨	١ر٦ ٪	١٠ر٧ ٪
٢٠ فدان ـ	٣٠	٨١٨	١ر٠ ٪	١٣ر٦ ٪
٥٠ فدان ـ	٩	٤٣٠	٠ر٢ ٪	٧ر٢ ٪
١٠٠ فدان ـ	٣	٤٢٧	٠ر١ ٪	٧ر٢ ٪
٢٠٠ فدان	٢	٣٥٤	٠ر١ ٪	٥ر٩ ٪

كما أنها تغيرت تماما فى سنة ١٩٦٥ فأصبحت كالآتى :

اقل من ٥ فدان	٣٠٢٣	٢٦٩٣	٩٤ر٥ ٪	٥٧ر١ ٪
٥ فدان ـ	٧٨	٦١٤	٢ر٤ ٪	٩ر٥ ٪
١٠ فدان ـ	٦١	٥٧	١ر٩ ٪	٨ر٢ ٪
٢٠ فدان ـ	٢٩	٨١٥	٠ر٩ ٪	١٢ ٪
٥٠ فدان	٦	٣٩٢	٠ر٣ ٪	٦ر١ ٪
١٠٠ فدان ـ	٤	٤٢١	٠ر١ ٪	٦ر٥ ٪

على أن الحد الأقصى للملكية كان قد حدد بمائة فدان للأسرة حتى سنة ١٩٧٠ على أن يعاد النظر فيها بعد ذلك ولكن عبد الناصر

طرح القضية على المؤتمر القومى فى يوليو ١٩٦٩ على أنه « قد جاء الوقت الذى يجب أن نبت فيه نهائيا فى بعض المسائل المتعلقة بالأرض وملكيتها واستغلالها وأن يكون ذلك البت بطريقة نهائية وفق أحكام الميثاق وضرورات التطور ، الميثاق نص على أن ملكية الارض تحدد بمائة فدان فقال الميثاق بعد سنة ٧٠ يجب اعادة النظر فى الموضوع ويجب ألا تزيد الملكية على مائة فدان للأسرة المكونة من رب الأسرة والزوجة والأبناء القصر ، احنا دى الوقت فى أواخر سنة ١٩٦٩ داخلين على سنة ١٩٧٠ ، وآن الأوان لأن نحدد هذه الأمور ونبت فيها نهائيا ونحن نقترح الآن ، ولكى يحسم الأمر وتستقر صورة الملكية الزراعية على نحو سليم ان تحدد ملكية الأرض الزراعية بـ **٥٠ فدانا للفرد** على أن يبقى حد الملكية بالنسبة للأسرة للرجل وزوجته وأولاده القصر فى حدود المائة فدان » .

بذلك وصلت الملكية الزراعية الى الشكل الأخير فى حياة القائد المناضل ، ولكنه طرح أيضا قضية الأرض الجديدة المستصلحة ولعله أراد بها تكوين نواة لقطاع عام قوى فى الزراعة ..

فقد قال انه بالنسبة للأرض الجديدة « فان لدينا ٧٠٠ الف فدان ويجب أن نقرر رأينا فى استغلالها الدائم واقتراحى فى هذا الصدد هو **أن ننشىء شركات أو مؤسسات عامة تنتقل اليها ملكية هذه الأراضى** . ويكون لهذه الشركات أو المؤسسات العامة مهام ثلاثة تتمثل فى الاستغلال المباشر للتصدير أو التأجير وفق شروط معينة ولآجال طويلة للزراع أو البيع لصغار الملاك الجدد ، مع اعطاء اولوية فى الملكية للمقاتلين فى ميدان المعركة وأسرهم » .

ولقد وضع اقتراح عبد الناصر على مائدة البحث ، ولم يبت فى شأنه حتى الآن .. ولكن الروح التى عرض بها عبد الناصر الأمر

واقتراحه فى أن تقام شركات تؤول اليها ملكية هذه الأرض ، تعنى بلا جدال الاتجاه لتنمية القطاع العام فى الزراعة ، الذى كان يعتمد على بعض المساحات من الأرض المستولى عليها طبقا لقوانين الاصلاح الزراعى المزروعة فواكه أو حدائق ، والتى لم يمكن توزيعها ، وبعض الأراضى التى تقوم فيها تجارب المحاصيل الزراعية الجديدة ومساحات الأرض المستصلحة التى لم تصل بعد الى حد الغلة الانتاجية التى تسمح بالتصرف فيها ، ولقد كان انشاء المزرعة الالية التى تضم عشرة آلاف فدان تزرع آليا يؤكد هذا الاتجاه ، فانه من العسير أن يتم أى نوع من التصرف فى هذه المساحة التى من المحتم أن تزرع كقطعة واحدة .

وقضية الأرض الجديدة وان كانت لم تحسم فى حياة القائد ، الا أنه طرح تصوره لها .. وكان يتجه عموما ان تكون امتدادا للقطاع العام فى الزراعة .

* * *

ان السؤال الذى يطرح نفسه هنا .. هو اذا كان عبد الناصر يرى توسيع قاعدة الملكية فى الزراعة ، فلما لم يتخذ هذا الموقف فى الصناعة بحيث يملك العمال المصانع ..

هذا التساؤل قد اثير فعلا فى حياة القائد ، وأجاب عليه فى اجتماع الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى .

وبالرغم من اختلاف نوعية الملكية ، وتباينها بين المصنع والحقل ، الا أن السؤال قد تجاهل هذا الاختلاف عندما وجه أحد أعضاء الهيئة على أساس انه يمكن أن يملك العمال والموظفون ٢٥٪ من المصانع التى يعملون بها وذلك بتقسيط ثمنها على عشر

سنوات مقابل جزء من الأجور والأرباح المخصصة لهم ، وفى ذلك حافز لهم على زيادة الانتاج » .

وقال جمال عبد الناصر ردا على السؤال :

« أنا ردى على هذا نقطتين ، **النقطة الأولى** ان ده مضاد للميثاق ، هذا الاقتراح ضد الميثاق .

« **النقطة الثانية** ان التجارب اللى اتعملت على هذا الاساس فشلت والتجربة الأساسية فى هذا هى تجربة حصلت فى انجلترا فى شركة ملكوا العمال اسهم وجم العمال اتزنقوا آخر الشهر راحوا كلهم بايعين الأسهم خلوا الشركة خسرت عشرين مليون جنيه ، فاحنا بنعمل قطاع عام ، وبنشجع العامل على زيادة الانتاج فنعطيه نسبة مئوية من الأرباح أما تمليك العامل النهاردة معناه رجوع ، حاخلق طبقة راسمالية ، وحا أقلل بهذا سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الكلام اللى اتقال فى الميثاق . »

وقال العضو الذى سأل انه لا يمكن أن يفكر فى مخالفة الميثاق . ولكنه قدم هذا الرأى على أساس انه **يتماشى مع تمليك الفلاحين الأرض** ولكن جمال عبد الناصر شرح فى اجابته كيف أن هذا أولا يخالف الميثاق .. ثم كيف أنه يستحيل تنفيذه عمليا فقال :

« الجزء الخاص بالميثاق انا قدامى « وفى مجال الصناعة يجب أن تكون الصناعات الثقيلة المتوسطة والصناعات التعدينية فى غالبيتها داخلة فى اطار الملكية العامة للشعب ، واذا كان من الممكن أن يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال ، فان هذه الملكية الخاصة يجب أن تكون تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله ؛ ويجب أن تظل الصناعات الخفيفة بمنأى دائما عن الاحتكار . واذا كانت الملكية الخاصة مفتوحة فى مجالها فان القطاع العام يجب أن يحتفظ بدور فيها يمكنه من التوجيه لصالح الشعب ، يجب أن

على أن الملكية العقارية لم تترك للقطاع الخاص وحده ، فقد وضعت الى جانبه :

● **ملكية عامة للمبانى** تتمثل فى عديد من المساكن الشعبية والمتوسطة التى تقيمها الدولة ، وكان نواة لها فى البداية بعض العقارات التى آلت الى الشعب عن طريق التأميم وهى التى كانت مملوكة اما لشركات التأمين وآلت ملكيتها للشعب بالتأميم أو لبعض الرأسماليين والاقطاعيين والمنحرفين واتخذت ضدهم اجراءات بتجريدهم من ملكياتهم كوسيلة لتجريدهم من السلاح الذى يمكنهم بواسطته أن يصوبوا أهدافهم المضادة لامال الشعب وتقدمه !

● **ملكية تعاونية للمبانى** وتتمثل فى المساكن التعاونية التى تقام بأموال الافراد وبمعاونة وتشجيع الدولة عن طريق التسهيلات والقروض التى تمنح للجمعيات التعاونية للاسكان الى جانب ما تعطيه لها الدولة من أراضى تساعد على نمو الملكية التعاونية .

ان وجود الملكية العامة فى الاسكان وكذلك الملكية التعاونية الى جانب القطاع الخاص يساعد ولا شك على الوقوف فى وجه محاولات الاستغلال من الملاك ، وهى تكمل ما يمكن أن تقوم به القوانين فى هذا الأمر ..

● **أما المقاولات فقد ترك للقطاع الخاص دور فيها** ولكن التجربة أثبتت أن هذا القطاع قد تضخم خلال سنوات قليلة بصورة لم تكن متصورة لذلك اتخذت من الاجراءات ما يحول دون نموه الكبير .. وفى بداية مرحلة التحول الاشتراكى ، ومع الرغبة فى التوسع فى التصنيع واقامة الخدمات ، فى وقت كان القطاع العام فيه ما زال وليدا تمت الاستعانة بالقطاع الخاص فى المقاولات حيث استطاع أن يحصل على ٨٠ ٪ من حجم الأعمال المطلوبة .. وقد كانت نتيجة ذلك ان ظهرت عليه علامات الثراء ، والاستغلال حتى وصل الأمر انه استغل القطاع العام نفسه وحصل منه على عدد من الاعمال « من الباطن » ، وعن هذا الطريق وذاك كانت النتيجة أن وقف القائد

بعد ذلك فى دمنهور ليواجه هذه الحقيقة سنة ١٩٦٦ ويعترف بها ويتخذ ضدها اجراءات توقفها ، فقد قال القائد حول قطاع المقاولات « القطاع العام النهارده بيقوم بـ ٤٠ ٪ أو يمكن اقل من ٤٠٪ والقطاع الخاص بيقوم بـ ٦٠٪ أو اكثر من ٦٠٪ .

« وقطاع المقاولات سنويا يزيد العمل فيه عن ٢٠٠ مليون جنيه اذن لا زال جزء كبير من عمليات البناء والتشييد بتروح فى القطاع الخاص ، وبهذا احنا كنا أممنا الشركات والمقاولات عدد كبير من شركات المقاولات يمكن حوالى ٨٠ شركة ورغم هذا اللى معانا لغاية النهارده حوالى ٤٠٪ ، اذن ٦٠٪ معناها تقريبا ١٢٠ مليون جنيه ، معنى هذا ان احنا فعلا بنخلق راسمالية جديدة .. واذن من الواجب ان احنا نعمل اننا فى خلال ٣ سنوات سننتقل فى قطاع المقاولات من ٤٠٪ للقطاع العام الى ٨٠٪ قطاع عام ونخلى ٢٠٪ قطاع خاص » وهكذا .

كان القائد قد نبه الى ظاهرة النمو الرأسمالى فى نفس الخطاب فى مجالات أخرى أبرزها مجال التجارة الداخلية .

ففى التجارة حدد الميثاق ـ وحتى سنة ١٩٧٠ ـ وهى فترة تطبيقه حتى يعاد النظر فى خطوات العمل التى رسمها على ضوء ما يسفر عنه التطبيق وعلى ضوء رؤية الجماهير ومصالحها وأمانيها التى ستكون قد تبلورت ـ كما رأى عبد الناصر ـ خلال ثمان سنوات كانت هى المدة المحددة لانتهاء الخطة الأولى للتنمية الشاملة من أجل مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات حدد الميثاق الناصرى فى مجال التجارة أن يقتحم القطاع العام نها ٢٥٪ فقط ، ويترك الباقى للقطاع الخاص والتعاونى وذلك منعا للاحتكار وحتى يمكن أن يعمل القطاع الخاص فى هذا الميدان الحيوى ، وخاصة بالنسبة للريف الذى كان يصعب فى تلك الفترة ـ وما زال ـ وصول متاجر القطاع العام اليه ، نظرا لعدة ظروف عديدة من بينها ما هو مرتبط بطبيعة الحياة فى القرية المصرية ذاتها .

فالتجارة الداخلية فى الفكر الناصرى سنة ١٩٦٢ وحتى سنة ١٩٧٠ من المفروض ان يكون للقطاع الخاص دور فيها فى حدود ٧٥٪ من حجمها .. وقد تحقق ذلك ، وربما زاد القطاع العام عن هذا الحجم ذلك ان المقصود هنا ليس بعدد المتاجر ، ولكن بحجم رأس المال المستثمر فى هذه التجارة .

ومع ذلك فقد برزت الرأسمالية فى مجال التجارة واستطاعت شرائح منها أن تستغل القطاع العام ذاته اما أن تأخذ منه وتتاجر عليه أو تحاول افساده بوسائل مختلفة وتلاعبات عديدة مما جعل عبد الناصر يتخذ فى مواجهة الاستغلال فى التجارة عددا من الاجراءات من بينها :

- نقل تجارة الجملة تدريجيا الى القطاع العام .
- الوصول بالتعاونيات الاستهلاكية الى مناطق جديدة ، والى بعض المراكز بل والقرى احيانا .
- احكام الرقابة على القطاع الخاص فى التجارة ، سواء باصدار القوانين التى تقيد محاولاته للاستغلال وخلق سوق سوداء وغيرها من الوسائل أو بالمتابعة والتفتيش
- اتخاذ سلاح التسعيرة لمواجهة جشع التجار ، واتخاذ اجراءات ضد من يثبت تلاعبهم .
- مواجهة الاختناقات التى يسببها القطاع الخاص فى بعض السلع لحجبها عن الجماهير اما طمعا فى مزيد من الربح عن طريق السوق السوداء ، أو كجزء من الحرب النفسية ضد التطبيق الاشتراكى .

فليس هناك شك فى أن شرائح ممن نطلق عليهم الرأسمالية

الوطنية الغير متعاونة مع الاستعمار تتطلع الى النمو والى التسلق، والى الوصول الى درجة تمكنها حتى من الاحتكار ، وانها تجد فى المسيرة الاشتراكية اتجاها يعاكس تماما ما تأمله، ويقضى على تطلعاتها لذلك فان شرائح كثيرة منها ليست متحمسة للتطبيق الاشتراكى ، وانها تتخذ منه موقف الحذر اما عن خوف من المستقبل ، واما رغبة فى عرقلة النمو الاشتراكى ، أو تحقيقا لأكبر قدر من الربح . ولو عن طريق الاستغلال ، فأى رأس مال بطبعه يحتاج الى ان يتنفس ، وينمو ، ويكبر .. ويتسع ، وكلما وجد عرقلة لرغبته أخذ الاتجاه المضاد اما فى محاولة للتحايل على ما يعترض نموه ، واما بالانكماش .

ولقد نبه القائد الى وجود هذه الشرائح من الراسمالية التى تحاول أن تخلق طبقة جديدة فى المجتمع واتخذ منها موقفا على الفور .. ففى نفس الخطاب السابق يقول عبد الناصر :

« أنا قلت فى السويس فى شهر مارس : انه بالنظرة الى المجتمع بنجد ان قطاع الراسمالية بيزيد فعلا .. احنا بنقول الاشتراكية ولكن ايضا بالنسبة للزيادة فى العمل قطاع الراسمالية بيزيد .. بالنسبة للتجارة عندنا تجارة بحوالى ١٤٠٠ مليون جنيه تجارة داخلية هذه التجارة الداخلية كلها فى أيدى القطاع الخاص ١٤٠٠ مليون جنيه عند تجار الجملة ثم تجار النصف جملة بعد كده تجار القطاعى .. »

« اذا سرنا فى طريق الاشتراكية لازم تجارة الجملة تنتقل الى القطاع العام مش معنى كده اننا نأمم تجار الجملة لأن تاجر الجملة موزع لكن بالتدريج فى خلال ثلاث سنوات نستطيع ان احنا نقيم قطاع عام فى تجارة الجملة بالتدريج سلعة سلعة علشان مندخلش فى مشاكل بالنسبة للتوزيع .. ولكن بهذا ننتقل من الراسمالية الى الاشتراكية .. اذا كان القطاع ب ١٥٠٠ مليون جنيه أو ١٤٠٠ مليون جنيه ، فبلفوا كذا مرة فى التجارة تجارة الجملة ونصف الجملة ثم تجارة التجزئة اذن فيه ناس بتحقق ارباح خيالية . »

فالتجارة الداخلية فى الفكر الناصرى سنة ١٩٦٢ وحتى سنة ١٩٧٠ من المفروض أن يكون للقطاع الخاص دور فيها فى حدود ٧٥٪ من حجمها .. وقد تحقق ذلك ، وربما زاد القطاع العام عن هذا الحجم ذلك أن المقصود هنا ليس بعدد المتاجر ، ولكن بحجم رأس المال المستثمر فى هذه التجارة .

ومع ذلك فقد برزت الرأسمالية فى مجال التجارة واستطاعت شرائح منها أن تستغل القطاع العام ذاته اما ان تأخذ منه وتتاجر عليه أو تحاول افساده بوسائل مختلفة وتلاعبات عديدة مما جعل عبد الناصر يتخذ فى مواجهة الاستغلال فى التجارة عددا من الاجراءات من بينها :

- نقل تجارة الجملة تدريجيا الى القطاع العام .
- الوصول بالتعاونيات الاستهلاكية الى مناطق جديدة ، والى بعض المراكز بل والقرى احيانا .
- احكام الرقابة على القطاع الخاص فى التجارة ، سواء باصدار القوانين التى تقيد محاولاته للاستغلال وخلق سوق سوداء وغيرها من الوسائل أو بالمتابعة والتفتيش
- اتخاذ سلاح التسعيرة لمواجهة جشع التجار ، واتخاذ اجراءات ضد من يثبت تلاعبهم .
- مواجهة الاختناقات التى يسببها القطاع الخاص فى بعض السلع لحجبها عن الجماهير اما طمعا فى مزيد من الربح عن طريق السوق السوداء ، أو كجزء من الحرب النفسية ضد التطبيق الاشتراكى .

فليس هناك شك فى أن شرائح ممن نطلق عليهم الرأسمالية

الوطنية الغير متعاونة مع الاستعمار تتطلع الى النمو والى التسلق، والى الوصول الى درجة تمكنها حتى من الاحتكار ، وانها تجد فى المسيرة الاشتراكية اتجاها يعاكس تماما ما تأمله، ويقضى على تطلعاتها لذلك فان شرائح كثيرة منها ليست متحمسة للتطبيق الاشتراكى ، وانها تتخذ منه موقف الحذر اما عن خوف من المستقبل ، واما رغبة فى عرقلة النمو الاشتراكى ، أو تحقيقا لأكبر قدر من الربح . ولو عن طريق الاستغلال ، فأى رأس مال بطبعه يحتاج الى ان يتنفس ، وينمو ، ويكبر .. ويتسع ، وكلما وجد عرقلة لرغبته أخذ الاتجاه المضاد اما فى محاولة للتحايل على ما يعترض نموه ، واما بالانكماش .

ولقد نبه القائد الى وجود هذه الشرائح من الرأسمالية التى تحاول أن تخلق طبقة جديدة فى المجتمع واتخذ منها موقفا على الفور .. ففى نفس الخطاب السابق يقول عبد الناصر :

« أنا قلت فى السويس فى شهر مارس : انه بالنظرة الى المجتمع بنجد ان قطاع الرأسمالية بيزيد فعلا .. احنا بنقول الاشتراكية ولكن أيضا بالنسبة للزيادة فى العمل قطاع الرأسمالية بيزيد .. بالنسبة للتجارة عندنا تجارة بحوالى ١٤٠٠ مليون جنيه تجارة داخلية هذه التجارة الداخلية كلها فى أيدى القطاع الخاص ١٤٠٠ مليون جنيه عند تجار الجملة ثم تجار النصف جملة بعد كده تجار القطاعى .. »

« اذا سرنا فى طريق الاشتراكية لازم تجارة الجملة تنتقل الى القطاع العام مش معنى كده اننا نأمم تجار الجملة لأن تاجر الجملة موزع لكن بالتدريج فى خلال ثلاث سنوات نستطيع ان احنا نقيم قطاع عام فى تجارة الجملة بالتدريج سلعة سلعة علشان مندخلش فى مشاكل بالنسبة للتوزيع .. ولكن بهذا ننتقل من الرأسمالية الى الاشتراكية .. اذا كان القطاع ب ١٥٠٠ مليون جنيه أو ١٤٠٠ مليون جنيه ، فبلفوا كذا مرة فى التجارة تجارة الجملة ونصف الجملة ثم تجارة التجزئة اذن فيه ناس بتحقق أرباح خيالية . »

الوطنية فى بلدنا كبر فى سنة ٦٠ أكثر مما كنا نتصور .. ازاى .. كل التنمية ، وكل التجارة وكل خطة .. قطاع الراسمالية الوطنية النهاردة بيزيد وبيزيد فيه فلوس كثير ، بعض الناس من هذا القطاع عنده تطلعات أنه عايز يكون فى وضع طبقى متميز زى ما كانت الطبقة الراسمالية وطبقة الاقطاع موجودة فى الماضى .. هو يمكن قبل كده ما كانش عنده حاجة والنهاردة شايف ان الظروف ساعدته ، والظروف مكنته انه يعمل ثروة بسيطة او رثوة متوسطة عايز يعمل راسمالى او عايز يعمل اقطاعى .. وبهذا طبعا لا ينظر الى المجتمع الاشتراكى نظرة طيبة ولا نظرة سليمة ، دول طبعا بيهمهم تضخم المشاكل بالنسبة للقطاع الاشتراكى والتجنى على القطاع الاشتراكى ، طبعا التحويل الاشتراكى حيحصل ، وبنقول ان احنا الان فى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية وسنسير حتما الى الاشتراكية .. التى هى شريعة العدل .. »

« الاستغلال والاقطاع وراس المال والرجعية لها معانى اخرى ، معانى ان طبقة مميزة .. طبقة تملك .. طبقة تحكم ، طبقة تستعبد الناس .. وطبقة مستعبدة لا تجد الكرامة ولا تجد الحرية .. **طبعا هؤلاء الناس اللى النارده بيفكروا ان احنا قد نعود الى الوراء .. بقول ان مفيش فرصة أبدا ان احنا نعود الى الوراء ..** طبعا واحنا بننى لازم بنعمل تحويل اشتراكى كامل .. تحويل اشتراكى كامل .. ولكن التحويل الاشتراكى لا بد ان يكون اشتراكى مدورسا »

● **وفى عيد الثورة عام ١٩٦٧ يقول عبد الناصر :**

لا بد ان نقضى على أية امتيازات تكون باقية تتجاوز حق العمل وقيمته ، فى خدمة المجتمع دون أى اعتبار آخر ..

و « ان الشعب كان يطالب بوضع حد للامتيازات التى حصل عليها البعض بغير وجه حق ، وأنا مع الشعب فى هذا ، اننا شعب

يبنى مجتمعا اشتراكيا وهذا المجتمع ليس لطبقة مميزة بل هو بطبيعته لا يسمح بامتياز طبقى . انه يسمح بامتياز العمل وحده ، والعمل وحده ، وكفاءة العمل واقتداره تعطى لصاحبها امتيازا ، لكنه امتياز الكفاءة وليس امتياز الطبقة ، ولعلى اقول لكم اننى فى الأيام الأخيرة الغيت كثيرا من الامتيازات التى ظهرت فى المراحل السابقة وسيظهر هذا فى الميزانية الجديدة .

● **والثالث** : الا يأتى وقت يكون عائد العمل لقلة من الناس يفيض المال لديها لدرجة ان تبدده فى الوان من الترف الاستلاكى يتحدى حرمان المجموع ، فذلك معناه زيادة حدة الصراع الطبقى والقضاء على كل امل فى التقدم الديمقراطى .

وعندما يتحدث الميثاق الناصرى عن رؤية فى وجود القطاع الخاص يضع امامه كل هذه المحاذير فهو اذ يعترف بدور القطاع الخاص فى خطة التنمية ، ووجوده ، فانما يحذره فى نفس الوقت من ان يستغل وينمو على حساب جهد الشعب وعرقه ، فيوجه اليه تنبيها ويرسم له دوره اذ يقول :

« والقطاع الخاص الآن مطالب بأن يجدد نفسه وبأن يشق لعمله طريقا من الجهد الخلاق لا يعتمد كما كان فى الماضى على الاستغلال الطفيلى . »

« ان ازمة التى وقع فيها راس المال الخاص قبل الثورة تنبع واقع الأمر من كونه وارثا لعهد المغامرين الأجانب الذين ساعدوا على نزح ثروة مصر الى خارجها فى القرن التاسع عشر . »

« لقد تعود راس المال الخاص أن يعيش وراء أسوار الحماية العالية التى كانت توفر له من قوت الشعب ، كذلك تعود السيطرة على الحكم بغية التمكين له من مواصلة الاستغلال . »

« ولقد كان عبثا لا فائدة منه أن يدفع الشعب تكاليف الحماية ليزيد ارباح حفنة من الراسماليين ليسوا فى معظم الأحوال غير واجهات محلية لمصالح اجنبية تريد مواصلة الاستغلال من وراء ستار . »

« كذلك فان الشعب لم يكن بوسعه أن يقف مكتوف اليدين الى الأبد أمام مناورات توجيه الحكم لصالح القلة المتحكمة فى الثروة ولضمان احتفاظها بمراكزها الممتازة على حساب مصالح الجماهير . »

* * *

على ان موقف الناصرية عموما من كثير من شرائح الرأسمالية الوطنية يرتبط بعدة أمور ..

● **الأول :** تعريف عبد الناصر للرأسمالية الوطنية عندما قال : معنى رأسمالية الوطنية غير المستغلة هى صغار الرأسماليين الراجل اللى ما بيستغلش عمل الآخرين لنفسه « هو ده التعبير الصحيح .. يعنى اللى ما بيستغلش عمل الآخرين لنفسه ، بييجى واحد عنده مصنع ، وفيه عشرة آلاف عامل أو الف عامل او ٥٠٠ عامل . انا باقول ان دى رأسمالية مستغلة ، بعد كده احنا سايبين اللى عنده ١٠ عمال ، وعنده ٣٠ عامل اللى هو بياخد قدر عمله ، والعامل بياخد قدره عمله (١) .

أى ان الموقف يرتبط بمدى الاستغلال الذى تقوم به هذه الرأسمالية الوطنية بما يخرجها عن الاطار الذى رسمه لها . ويضعها فى اطار الرأسمالية المستغلة .. والاستغلال هنا يعنى كل عمليات الانحراف ، والاستغلال الطفيلى ، والسوق السوداء ، وغيرها ، وهذه أمور يرفضها الفكر الناصرى الذى كان يحرص دائما على أن يغرس فى الاذهان ان المعنى الاساسى للاشتراكية انها أولا وبالدرجة الاولى عدم الاستغلال .

● **الثانى :** ان النسب المسموح للرأسمالية الوطنية ان تتحرك فيها كان من المفروض أن يعاد النظر فيها سنة ١٩٧٠ فى اتجاه دعم

(١) اجتماع الهيئة البرلمانية ٢

القطاع العام لولا ظروف العدوان الذى كان يهدف أولا الى تعطيل هذه المسيرة الاشتراكية .

ففى جلسات الوحدة يبدى عبد الناصر رايه أكثر من مرة فى الاشتراكية متعرضا لمسألة الملكية بالذات فيقول :

« احنا مثلا بنفهم الاشتراكية هى **سيطرة الشعب على وسائل الانتاج** .. وبعدين بنعتبر ان السيطرة **ممكن تبتدى** من ٤٠٪ ثم ٥٠٪ ثم ٦٠٪ أو ٧٠٪ أو ٨٠٪ الى آخر الكلام .. ما بنقولش الاشتراكية هى تأميم وسائل الانتاج **فى الحال** »

« يعنى الاشتراكية تعريفها واضح .. الاشتراكية هى سيطرة الشعب **على وسائل الانتاج** .. ده ابسط تعبير على الاشتراكية .. وده ممكن **بتاخده على مراحل .. عملنا كده** .. اذن يبقى لازم يبقى فيه خطة .

● **الثالث :** ان عبد الناصر كان يتجه الى اقامة قطاع عام فى الزراعة .

● **الرابع :** ان عبد الناصر يكاد يكون المسئول الوحيد فى مصر الذى مارس حق النقد الذاتى ، فى مجالات متعددة من بينها المجال الذى ترك للرأسمالية الوطنية ان تتحرك فيه ، فهو أول من نبه الى خطرها ، وطالب بتصحيح الموقف حتى لا تقوم طبقة جديدة .

● **الخامس :** ان عبد الناصر نفسه لم يكن مالكا لاى شىء ، فقد كان يكره ان يكون مالكا ، حتى البيت الذى يسكنه .. كان مستأجرا طوال حياته فقد عاش دون ان يملك بيتا ومات دون ان يملك قبرا فهو على حد تعبيره فى خطابه بدمنهور « عندنا رئيس جمهورية ماحيلتوش حاجة ومالوش عليه ومالوش عزوة ، ومامفيش حيلة حتكحمنا ، وعندنا ابن رئيس الجمهورية زى ابن أى واحد »

● **السادس :** ان عبد الناصر كان يؤكد ان استمرار الثورة

ويقظتها كفيل بالقضاء على كل تسلل راسمالى فهو يقول فى حديث له مع كرانجيا :

« ما دامت الثورة مستمرة فى ايجابية واصرار ، فليس هناك سبب للخوف من أى شىء ، لكن علينا بالطبع أن نحترس من اى انحراف فى العقيدة او التطبيق ، ولأضرب مثلا .. لقد لاحظنا اخيرا بروزا راسماليا فى قطاعات معينة ، وقد سبب لنا ذلك بعض القلق .

ـ ويقول كرانجيا : كنت أظن ان القطاع الراسمالى قد تمت تصفيته فى الجمهورية العربية .

ويجيب عبد الناصر :

ـ لا بد ان تظهر جيوب وهذه الجيوب الراسمالية ليست فى الواقع ضخمة لكنها كبيرة بالنسبة لاقتصادنا الاشتراكى ، وتمثل اتجاها خطرا لانها تؤدى الى الفساد والى شرور اخرى كثيرة ، ولهذا لا بد أن نبقى دائما على يقظة .

● **السابع** : ان هذا الموقف وخاصة فى النسب المحددة للقطاع الخاص والمجالات التى يعمل فيها لا ينفصل عن طبيعة المرحلة والظروف الذى صدرت فيها قوانين يوليو الاشتراكية ثم الميثاق الناصرى للعمل الوطنى .

ويقول عبد الناصر فى المؤتمر القومى فى مايو ١٩٦٢ :

« انا فى شرحى للميثاق قلت اننا بنحط مبادىء اساسية لاشتراكيتنا ، ولكن حاولنا بقدر المستطاع ان احنا نحدد شكل مجتمعنا فى ال ٨ سنين الجاية كل واحد يعرف من هنا من سنة ٦٢ لغاية ٧٠ وضعه فين فى هذا المجتمع ونحقق الاشتراكية .

« ومقلناش انها اشتراكية خيالية ، بل بالعكس قلنا انها اشتراكية بينطبق عليها كذا وكذا ، بعدين قلنا فى الميادين المختلفة

فى الثمان سنين الجاية ، حنعمل كده ، وده بيرسم شكل الاشتراكية » .

« **مش بنجمد لاشتراكية** .. يعنى يمكن اننا نترك الاشتراكية لعملية غير محددة بالمبادىء ، كانت بتبان انها اشتراكية خيالية وكل يفسرها ـ كل واحد ـ بقدر ما يستطيع احنا حطينا المبادىء حتى نحددها ، ثم ردينا فى الايضاح ، وقلنا فى الثمان سنين الجاية حنعمل فى القطاع ده كذا ، وحنعمل فى القطاع ده كذا وحا نعمل فى القطاع ده كذا ، حتى على ما أذكر قلت واذا جاز لنا أن نحدد . »

ولعبد الناصر آراء فى طبيعة مرحلة الانتقال تحتاج الى دراسة اخرى واسعة .. ومن المفروض أن يتعرض لها بالتفصيل الذين يتعمقون فى دراسة فكر عبد الناصر .

فهو يصف مرحلة التحول فى افتتاح مجلس الامة وفى اجتماع الهيئة البرلمانية سنة ٦٥ وفى عيد الثورة من نفس العام فيقول :

● « احنا مابقناش دولة اشتراكية ولا يمكن ان احنا نقول ان احنا النهاردة دولة اشتراكية ، احنا فى مرحلة انتقال من الراسمالية الى الاشتراكية . مش معناها ابدا **ان احنا نامم شوية مصانع وبس** .. لا الاشتراكية ان نقيم مجتمع الكفاية والعدل » .

« القيم اللى كانت موجودة لا زالت موجودة ما تغيرتش ، القيم لم تستقر بعد ، وده طبيعى ، الصلات القديمة اللى موجودة ما زالت رواسب العلاقات الاجتماعية القديمة الاقطاعية والراسمالية موجودة ، بدى اقول ان احنا النهاردة بنمر بمرحلة انتقالية من الراسمالية المستغلة الى الاشتراكية . »

« هل جهاز الدولة اتغير .. جهاز الدولة فى معظم الاحوال فضل زى ما كان ما حصلش الا تغيير قليل » .

● « فيه تناقضات بتقابلنا واحنا بنتحول من مجتمع راسمالى الى مجتمع اشتراكى هذه المصاعب تحتاج منا الى اننا نقابلها بوعى اشتراكى ، وتحتاج من جميع قوى تحالف الشعب العامل أن تتكاتف ، هل يستطيع الشعب العامل أن يتصدى لما فى هذه المرحلة من قوى الاستعمار والرجعية الا اذا تسلح بالوعى .. وعى اشتراكى . »

● « فى مرحلة التحول فان تغيير العلاقات الاجتماعية تقابله مشاكل كثيرة ، فى هذه المرحلة المتناقضات اللى تقابلنا كثيرة .. ليه .. لان رواسب أو بقايا العلاقات الاجتماعية التى تكونت فى زمن النظام الرجعى الاقطاعى الرأسمالى ما زالت باقية ما انتهتش .. ولا يمكن أن احنا نتحول من الرأسمالية الى الاشتراكية تحول اتوماتيكى فى سنة أو سنتين أو عشرة » .

« فالتحول الاشتراكى فى حد ذاته يتوقف على الاساس الاقتصادى للمجتمع اللى احنا ورثناه بالثورة هو أساس قوى بيكون له تأثير ، واذا كان الاساس متخلف بيكون له تأثير ، طبعا احنا أخذنا أساس اقتصادى متخلف فواجبنا من أجل بناء الاشتراكية أن نضع القاعدة الاقتصادية السليمة ، وعلشان نضع القاعدة الاقتصادية السليمة لن نستطيع ان نحقق التحول الاشتراكى ولا يمكن لنا أن نبنى العلاقات الاجتماعية الجديدة اللى بنادى بيها واللى ننظر لها كهدف من أهداف الاشتراكية ، الا بأن نقيم قاعدة صناعية ، لكن هل معنى قيام هذه القاعدة الصناعية اننا حلينا كل التناقضات لا .. ستظهر دائما تناقضات فى المجتمع تغذيها الرجعية وتغذيها باستمرار القوى التى كانت تسيطر على المجتمع القديم »

● وفى افتتاح مجلس الأمة سنة ١٩٦١ يصف مرحلة التحول فيقول : اننا لن نستطيع أن ننتقل آليا من المجتمع الراسمالى او من الراسمالية والاقطاع الى الاشتراكية ، ان الاشتراكية هى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، والاشتراكية تعنى وضع وسائل الانتاج فى خدمة الشعب العامل كله ، وفى خدمة الفرد .. ولا يمكن ان يتم الانتقال من الرأسمالية المستغلة ، والاقطاع الى الاشتراكية الا عن طريق العمل السياسى للشعب العامل . ونضال الطبقة العاملة ، والفلاحين لاستخلاص السلطة من الرجعية . ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية تغييرا كاملا » .

وطبيعة مرحلة الانتقال الى الاشتراكية على اى حال تحتاج ـ كما قلنا ـ الى دراسة أخرى تفصيلية تكشف كثيرا من جوانب الفكر الناصرى ليس فى مجال الملكية وحدها ، فطبيعة مرحلة التحول ترتبط أساسا بكل مجالات الفكر والتطبيق الاشتراكى عموما فقد كان عبد الناصر يؤمن بفكرة مراحل النضال .. وتاريخه ، يثبت هذه الحقيقة ..

المضمون الثورى للوحدة

لقد كانت الدعوه للوحده العربيه هى التعبير عن القومية العربية وتجسيد كيان هذه القومية فى شكل قانونى ودستورى بتحقيق امل الدولة العربية الواحدة وفى هذه المرحلة كان الفكر الناصرى يتجه ايضا الى التحالف مع مختلف القوى لمواجهة الاستعمار ..

نفس الفكر الذى انطلق منه فى تحركه الداخلى .. ففى الداخل عندما رفع شعار « كنا هيئة التحرير » ، رفع على المستوى العربى شعار « وحدة الصف » وكانت المواجهة الناصرية للاحلاف الاستعمارية بمواثيق ، واتفاقيات عربية على المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية .. وكان فى مقدمتها الاتفاقيات العسكرية فى مواجهة ما رددده الاستعمار حول ملء الفراغ الذى ينجم عن تركه لقاعدة قناة السويس .. ووقعت اتفاقات دفاع مشترك بين مصر وسوريا ، والاردن والعربية السعودية ..

فوحدة الصف اذن شعار رفع لتجميع القـــوى الوطنية ، وحشدها فى مواجهة القوى الاستعمارية ، رغم كل التناقضات ، بينها فقد كان تحرير الارض هو الهدف الملح فى تلك الظروف ..

ولكن الفكر الناصرى بعد ذلك اسقط هذا المفهوم ، مثل ما اسقط صيغة التجمع الوطنى ـ بدون عزل اعداء الشعب ـ فى الداخل ـ ورفع شعارا أصيلا للوحـــدة هو وحـــدة الهـــدف ..

وبذلك اعطى الوحدة المضمون الاجتماعى الثورى الذى تريده الجماهير .. حدث ذلك بعد تجربة الوحدة مع سوريا كما سنرى، ويعبر عبد الناصر عن ذلك فى الميثاق الناصرى فيقول :

« ان مفهوم الوحدة العربية قد جاوز النطاق الذى كان يفرض التقاء حكام الامة العربية ليكون من لقائهم صورة للتضامن بين الحكومات » ..

« ان مرحلة الثورة الاجتماعية تقدمت بهذا المفهوم السطحى للوحدة العربية ودفعت به خطوات الى مرحلة اصبحت فيها وحدة الهدف هى صورة الوحدة » .

« ان وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية فى الامة العربية كلها واختلاف الاهداف عند الفئات الحاكمة هو صـــورة من صور التطور الحتمى الثورى ، واختلاف مراحل التطور .. ان وحدة الامة العربية قد وصلت فى صلابتها الى حد انها اصبحت تتحمل مرحلة الثورة الاجتماعية » .

« ان وحدة الهدف لابد ان تكون شعار الوحدة العربية فى تقدمها من مرحلته الثورية السياسية الى الثورة الاجتماعية » .

ولا بد أن ينبذ الشعار الذى جرت تحته مرحلة ، سابقة من النضال الوطنى ، هى مرحلة الثورة السياسية ضد الاستعمار ..

وانتهى الفكر الناصرى الى قواعد واسس للوحدة العربيـــة استخلصها من تجربته .. فى اروع عمل قام به عبد الناصر فى المجال العربى ، وهى تجربة الوحدة بين مصر وسوريا التى قامت فى فبراير سنة ١٩٥٨ ..

وقبل ان نتعرض لهذه التجربة التى ادت الى عوامل هامة فى الفكر الناصرى بالنسبة للقومية العربية بالذات وكانت سببا جوهريا

فى معرفة انه لا بد من تأصيل فكر الوحدة العربية ،واعطائها المضمون الاجتماعى .. اولا لا بد ان نذكر ان عبد الناصر قد ترجم شعار القومية العربية بما تحمله من مضامين الى أعمال ، فقد ساهمت مصر فى كل معارك التحرير السياسى او الاجتماعى فى المنطقة العربية فى ليبيا وفى تونس وفى الجزائر فى المغرب ، فى اليمن الجنوبية ، فى اليمن الشمالية فى العراق ، وسوريا ، الاردن ، ولبنان .. بل ان من اخلد معارك عبد الناصر ، تلك المعركة الاخيرة التى خسرناه فيها .. وكانت ايضا من اجل القومية العربية من اجل فلسطين ، ولقد عبر عبد الناصر عن ذلك عندما قال : انه ليس هناك علم شريف يرفرف على الارض العربية ، الا وكانت يد الشعب المصرى أول الايادى التى امتدت لتساعد على اقامته ..

* * *

لم يرفع عبد الناصر شعار القومية العربية ، والوحدة العربية ، وانما اتجه بهذا الشعار نحو التطبيق ، لاقامة أول دولة عربية واحدة فى العصر الحديث بوحدة مصر وسوريا الدستورية بارادة الشعبين ، بل باجماعهما .. فالوحدة العربية هى الثمرة والهدف لدعوة القومية العربية ..

لقد كان لذلك الدور التاريخى والمجيد الذى لعبه الشعب المصرى بقيادة عبد الناصر عدة معان :

● فقد اعطى للقومية العربية أرضا جديدة متحررة تقود النضال ضد الاستعمار ، وتصر على حق الشعب العربى فى أرضه .. وانطلاق هذه الدعوة من مصر الثورة بالذات .. اكبر الدول العربية وأكثرها مقدرة واستقرارا يعطى للامة العربية قاعدة انطلاق قومى وثورى ، مكن المناضلين من اجل الحرية العربية

والوحدة العربية من أن يتجهوا نحو مصر .. يحملون مفها ، ومنها مشعل الكفاح القومى ..

● المعارك المتتالية التى خاضها الشعب المصرى وابرزت وجه مصر العربى ، جمعت حولها الشعوب العربية الآملة فى التحرر ..

● قيادة عبد الناصر الثورية الواعية ، التى لعبت الدور الأساسى فى كل هذه المعارك والتى كانت تؤكد على الوجه العربى لمصر ، وتدافع عن حرية كل البلاد العربية ، فجرت النضال العربى فى حركة نضالية واحدة صاعدة تلتقى فى الامل والهدف مع ما يسعى اليه عبد الناصر .

● الشعوب العربية المستعبدة من داخلها وخارجها والتى تعانى من الحكومات الرجعية رأت فى انطلاقة الثورة المصرية النموذج الذى تنشده ..

ولقد التقى كل ذلك مع أمل الشعب السورى الذى كان ينفعل بالقضية العربية ، ويتطلع الى الوحدة ، ويسعى اليها بعد ان كان قد نص عليها فى دستوره .

واتخذ البرلمان السورى قرارا بالوحدة مع مصر ..

وفى مصر تم لقاء مع وفد من زعماء سوريا وعلى راسهم رئيس الجمهورية شكرى القوتلى ..

ولم يغادر الوفد المصرى الا بعد ان تم اعلان الوحدة .. على أساس أن :

يستفتى الشعب فى مصر وسوريا على الوحدة وشخص رئيس الدولة ..

ويقول عبد الناصر فى تصريحاته للوفد الصحفى العراقى سنة ١٩٦٦ : « انا حينما اجتمعت مع اخواننا السوريين الذين أتوا الى القاهرة سنة ١٩٥٨ لطلب الوحدة لم اكن على اتفاق معهم ، وكنت أعتقد انهم يسيرون فى طريق عاطفى ، فقلت لهم اننا نحتاج الى فترة

تمهيدية مدتها خمس سنوات قبل أن نقيم الوحدة الدستورية حتى نستطيع أن ندرس المتناقضات ونحلها . وحتى نستطيع أن نؤمن الوحدة ، ولكنهم الحوا على قيام الوحدة خوفا من انشقاقات فى داخل الجيش وأنا كرهت فى هذا الوقت قبول الوحدة رغم انى لست انفصالى . أنا وحدوى جدا ، ولكن أنا كنت أحسب الامور ، وكان تقديرى فى هذا الوقت ان الوحدة بهذا الشكل عمل خطير جدا ولكنى اضطررت ان اقبل حينما وجدت أن عدم قيام الوحدة قد يسبب تصادما بين الجيش السورى » .

● وكان اصرار عبد الناصر على أن تتم الوحدة بارادة الشعب العربى فى كل من مصر وسوريا .. وهو الاصرار الذى ترجمه عمليا فى ضرورة الاستفتاء على الوحدة ، وفى الموقف الذى اتخذه عند الانفصال بمنع كتيبة المظلات المصرية من أن تطلق النار أو تشتبك مع قيادة الانفصال لانه « لا يمكن أن تفرض الوحدة بالقوة .. »

وفى اول فبراير ١٩٥٨ أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا ، ووقف عبد الناصر ليعلن للجماهير ان : هذا اليوم الذى تلتقى فيه جمهورية مصر مع جمهورية سورية وتتوحد الجمهوريتان لتكونا الجمهورية العربية المتحدة ، هذا اليوم من ايام العمر التى نعتز بها على مر الزمن ونعتز بها على الايام .

« ان الشعب العربى فى سورية والشعب العربى فى مصر يقرر ويعلن مشيئته لقيام دولة جديدة ،دولة عظمى ، دولة قوية تنبع ارادتها من شعبها وتنبع ارادتها من نفسها ، وتنبع ارادتها من ضميرها ..

« اليوم الشعب العربى فى سورية والشعب العربى فى مصر يقرر قيام هذه الدولة التى تثق فى قوتها وتثق فى حقها فى الحرية وتثق فى حقها فى الحياة ، هذه الدولة التى تعمل من اجل ارساء قواعد العدالة وارساء قواعد السلام .

« يا اخوانى اننا نشعر جميعا أنا استطعنا أن نقيم دولة عظمى

قوية حقيقة لأول مرة فى هذا المكان بعد أن كان الاجنبى يقيم بيننا ويعلن عن نفسه انه يمثل القوة الكبرى .. ويمثل القوة العظمى .

« لقد كنا نتكلم عن القومية العربية وكانت القومية العربية شعارات وهتافات وكانت القومية العربية نداءات عاطفية ونداءات معنوية . كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر بقوتها وكنا نشعر بقيمتها كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر ان أعداءنا أرادوا دائما ان يفرقوا بيننا وكنا نشعر ان اعداءنا أرادوا دائما ان يقسموا الامة العربية الى امم صغرى يتحكمون فيها ويسيطرون عليها وكنا نشعر ان كل دولة منا تؤثر على مصير الدولة الاخرى وكنا نشعر أن لابد من أن نتضامن ولابد أن نتحد ولابد أن نتآزر ولابد أن نتآخى حتى ندفع عنا أطماع الطامعين وحتى نرفع عنا غيلة الزمن وحتى لا تتكرر مأساة فلسطين وحتى نستطيع أن نحافظ على الوطن ..

« واليوم أيها الاخوة المواطنون بعد أن كانت القومية العربية هتافا وشعارا أصبحت حقيقة واقعة » .

« اليوم اتحد الشعب العربى فى سورية مع الشعب العربى فى مصر ، وكونت الجمهورية العربية المتحدة ، هذه الجمهورية المتحدة ستكون سندا للعرب جميعا ، ستكون قوة للعرب جميعا ، ستعادى من يعاديها وتسالم من يسالمها وتتبع سياسة تنبع من نفسها سياسة تنبع من ضميرها » .

* * *

فى مجلس الامة المصرى يشرح عبد الناصر أسباب قيام الوحدة ، ومقومات الدولة الجديدة التى أصبح اسمها الجمهورية العربية المتحدة .. والتى أصبحت تضم الاقليم الشمالى سوريا .. والاقليم الجنوبى مصر .. والتى أصبح لها علما مثلث الالوان . ذو نجمتان .. ترمزان الى دولتى الوحدة ..

وبشرح عبد الناصر أيضا الاساس الدستورى الذى تقوم عليه الدوله الجديدة والترابط بين الاقليمين .. ونضالهما .. ويتعرض لمقومات القومية العربية ..

وخطاب عبد الناصر أمام مجلس الامة فى ٥ فبراير ١٩٥٨ .. وثيقة هامة تحكى فصولا رائعة من النضال من أجل القومية العربية وتلقى الضوء الكاشف على جذور هـذه القومية ، ومقوماتهـا .. فيقول عبد الناصر :

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

هكذا ترون الوحدة حقيقة ، حقيقة نسعى اليها ، أو حقيقة قائمة بالفعل .

هكذا ترون أن الصراع من أجل القوة ، من أجل الحياة ، يتم ويتحقق بالوحدة ، وترون أن الوحدة لا تتم ولا تتحقق الا بقـوة الحياة .

وهكذا ترون أن تاريخ القاهرة فى خطوطه العريضة ، هو بنفسه تاريخ دمشق فى خطوطه العريضة .

ولقد تختلف التفاصيل ، ولكن المعـالم البارزة هى نفس المعالم .

نفس المعالم ، نفس القراءة ، نفس اللوك نفس الأبطال نفس الشهداء .

بل انه لما بدا فى بعض الاحيان أن مصر ابتعدت عن الفكرة العربية ، وقطعت ما بينها وبين المنطقة من صلات ، وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر ، ثم تحت حكم أسرة محمد على باشا ، لم يكن الامر فى باطنه يمثل ما يبدو فى ظاهره .

لم يكن البعد سطحيا ، ولم تكن الحقيقة الا باللسان .

اما الشواهد الحقيقية ، واما الادلة الاصيلة فكانت تؤكد ان ما قربه الله لا يمكن أن يبتعد وما وصلته الطبيعة لا يمكن ان ينقطع ..

من بين الشواهد والأدلة أن جيش الفلاحين الذى سار تحت قيادة ابراهيم باشا ، ليحرر سورية من الظلم العثمانى كان يسمى نفسه الجيش العربى .

ومن الشواهد والادلة ، أن القاهرة التى سارت فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، الى فتح النوافذ لتيارات النهضة ، تحولت الى قلعة للفكر الحر فى الشرق العربى ، وما لبث رواد الحرية فى سورية ورواد الحرية فى المنطقة العربية كلها ، أن وفدوا اليها يتحصنون بأسوارها المنيعة ، ويبعثون منها اشعاعات الفكر ، لتعبىء وتلهم بل ان القـاهرة تحولت فى مطلع القرن العشرين فأصبحت هى ودمشق ، المركز الرئيسى للجمعيات السرية ، التى راحت تناضل جبروت سلاطين استانبول ، من أجل تحرير الامة العربية ، بكل ما يملكه الشباب من روح البذل والفداء .

هكذا كانت الوحدة هى الحقيقة ، وكان ما عـدا الوحـدة اصطناعا ..

هكذا كان واضحا انه اذا تركت المنطقة تستوحى طبيعتهـا وتستلهم مشاعرها ، وتستمع الى دقات قلبها ، فان اتجاهها الى الوحدة يصبح لا ريب فيه ولا مناص منه .

وهذا هو ما حدث .

حين حصلت سورية على استقلالها الكامل تطلعت الى مصر .

وحين حصلت مصر على استقلالها الكامل تطلعت الى سورية .

ولقد كان التقارب بل التوافق والتماثل كاملا حتى قبل أن يوقع ميثاق جامعة الدول العربية وحتى بعد أن تم توقيعه وأرادت له بعض القوى أن يبقى حبرا على ورق .

لقد كان فى سورية رد فعل لكل حركة فى مصر كما كانت أصداء الذى يحدث فى دمشق تتجاوب فى القاهرة .

فى مصر وسورية ذلك الفوران الذى أعقب الحرب العالمية الثانية ، وبدأت على أثره حركات التحرر الهائلة فى افريقيا وآسيا .

وكذلك هذا الفجر الذى نشهد اللحظة مطلعه .

ان الليل الذى سبق فجر الوحدة هو ـ دون شك ـ أطول ليالى كفاح أمتنا العربية ، ذلك أن الأمل الذى يتحقق لنا اليوم ، هو أقدم عمر فى تاريخ أمتنا .

قد بدأ معها منذ بدأت .. ونشأ على نفس الارض ، وعاش نفس الحوادث ، واندفع الى نفس الاهداف . فلما استطاعت أمتنا أن ترسى قواعد وجودها فى هذه المنطقة ، وتثبت دعائم هذه القواعد كان مؤكدا ان الوحدة قائمة ، وان موعدها بات قريبا .

لقد كان الكفاح من أجل الوحدة ، هو بنفسه الكفاح من أجل الحياة .

ولقد كان التلازم بين القوة والوحدة أبرز معالم تاريخ أمتنا .

فما من مرة تخلفت الوحدة ، الا تبعتها القوة ، وما من مرة توافرت القوة الا كانت الوحدة نتيجة طبيعية لها .

وليس محض صدفة ان اشاعة الفرقة ، واقامة الحدود والحواجز ، كانتا أول ما يفعله كل من يريد أن يتمكن فى المنطقة ويسيطر عليها .

وكذلك لم يكن محض صدفة أن محاولة الوحدة فى المنطقة لم تتوقف منذ أربعة آلاف سنة ، طلبا للقوة ، بل طلبا ـ كما قلت ـ للحياة .

ايها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

ولقد كان اسلوب السعى الى الوحدة يتشكل بالعصر الذى تعيش فيه كل محاولة لتحقيقها ، ولكن الهدف ظل دائما لا يتغير ، وبقيت الغاية فى كل وقت ، وهى هذه اللحظات التى نعيشها الآن .

لقد اتحدت المنطقة بحكم السلاح يوم كان السلاح ، هو وسيلة التعبير فى الطفولة الأولى للبشرية واتحدث المنطقة حين بدأت رسالات السماء تنزل الى الارض لتهدى الناس .

واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الاسلام تحمل رسالة السماء الجديدة وتؤكد ما سبقها من رسالات وتقول كلمة الله الأخيرة فى دعوة عباده الى الحق .

واتحدت المنطقة بتفاعل عناصر مختلفة فى امة عربية واحدة .

واتحدت المنطقة باللغة يوم جرت العربية وحدها على كل لسان .

واتحدت المنطقة تحت دافع السلامة المشتركة يوم واجهت استعمار أوروبا يتقدم منها محاولا أن يرفع الصليب ليستر مطامعه وراء قناع من المسيحية . وكان معنى الوحدة قاطعا فى دلالته حين اشتركت المسيحية فى الشرق العربى فى مقاومة الصليبيين جنبا الى جنب مع جحافل الاسلام حتى النصر .

واتحدت المنطقة بالمشاركة فى العذاب ، يوم حلت عليها غارات الغزو العثمانى ، وأسدلت من حولها أستار الجهل ، تعوق تقدمها ، وتمنعها من الوصول الى عصر النهضة فى أوربا .

بل ان المنطقة اتحدت فيما تعرضت له فى كل نواحيها ، من سيطرة الاستعمار عليها ، وقد كان اتحادها فى الثورة على هذا الاستعمار بكل أشكاله ، ومقاومته فى تعدد صوره .

ومع الوحدة فى الثورة كانت **الوحدة فى التضحيات** ، فان المشانق التى نصبها جمال باشا فى دمشق عاصمة سورية ، لم تكن

تختلف كثيرا من المشانق التى نصبها اللورد كرومر فى دنشواى ، هنا فى مصر .

فى سورية ومصر هذه الهزات العنيفة ووراءها تغيير الاوضاع تطلعا الى الافضل والاحسن .

فى مصر وسورية ذلك الاندفاع الى حرب فلسطين بالفروسية والايمان ، ولكن من غير سلاح . ثم كانت فى القاهرة ودمشق تلك الآثار التى ترتبت على حرب فلسطين ، والتى كان أولها تلك اليقظة التى تشبه انتفاضة من لسعته النار فاستفاق .

ثم فى سورية ومصر نفس المعارك ، ولو قصرنا الحساب على الشهور الاخيرة فقط لكان مدهشا أن المعارك التى خاضتها دمشق هى نفس المعارك التى خاضتها القاهرة ، معركة الاحلاف العسكرية معركة السلاح ، معركة عدم الانحياز ، معركة المؤامرات ، معركة التحرر الاقتصادى ..

بل ان سورية خاضت معركة قناة السويس ، بنفس العنف ، وبنفس القوة التى خاضت بها بور سعيد معركة قناة السويس .

وكذلك حاربت مصر معركة التهديدات الموجهة الى سورية ، وأعصابها كلها فى دمشق ، وأمام أعصابها قطعة من جيشها احتل جندها مراكزهم جنبا الى جنب مع اخوانهم جنود سورية .

ولقد كان ذلك كله مدهشا ولكنه لم يكن من صنع الصدف .

لقد مهدت عوامل كثيرة وكبيرة وتبيلة وعميقة لهذا الذى ربط مصر وسورية مهدت الطبيعة ، مهد التاريخ ، مهد الدم ومهدت اللغة ، مهدت الاديان ومهدت العقائد مهدت السلامة المشتركة ومهدت الحرية . .

كذلك اشتركت فى التمهيد له تجارب من الالم والعذاب صنعها فرسان الطغيان الثلاثة : السجن والنفى والمشنقة .

ولكن ذلك كله كان يمهد لهذا الفجر الذى نشهد مطلعه بعد ليل طويل .

ايها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

لقد كان البشير بالفجر هو ذلك القرار الذى اتخذه مجلس النواب السورى ، واتخذه مجلسكم ، بالعمل فورا لتحقيق الوحدة بين مصر وسورية .

كان قراركم هذا تعبيرا عن واقع هائل لا يمكن تجاهله وصدى مستجيبا لنداء قدسى لا نستطيع أن نغلق آذاننا دونه .

ولم يكن هذا الواقع موجودا فى دمشق والقاهرة وحدهما ، كذلك لم يكن ذلك الداء القدسى فى هذا النطاق وحده لا يتجاوزه ، وانما كان الواقع موجودا فى كل أرجاء الوطن العربى .

وكان النداء هو هدير التيار المتلاطم بالموج ، ذلك التيار الذى شقت القومية العربية كلها مجراه ، وحددت له خط سيره .

وهكذا بدأت القاهرة محادثات نهائية لرسم الشكل الخارجى للحقيقة الواقعة .

ولقد كانت هذه المحادثات فى القاهرة تجربة جديدة فى التاريخ .

انها لم تكن اجتماعا يتم بناء على رغبة ساسة او حكام .

وانما كانت اجتماعات تمت بناء على ضغط والحاح وارادة عنيدة مصممة صادرة من قلوب الشعب .

ولقد كان خيرا على أى حال اننا تركنا الامور تصل الى هذا المدى .

فلقد كان ينبغى للشعوب أن تأخذ فرصتها كاملة حتى تثبت وحتى تؤكد لها الحوادث والتطورات أن طريق الوحدة هو طريق

تختلف كثيرا عن المشانق التى نصبها اللورد كرومر فى دنشواى ، هنا فى مصر .

فى سورية ومصر هذه الهزات العنيفة ووراءها تغيير الاوضاع تطلعا الى الافضل والاحسن .

فى مصر وسورية ذلك الاندفاع الى حزب فلسطين بالفروسية والايمان ، ولكن من غير سلاح . ثم كانت فى القاهرة ودمشق تلك الآثار التى ترتبت على حرب فلسطين ، والتى كان أولها تلك اليقظة التى تشبه انتفاضة من لسعته النار فاستفاق .

ثم فى سورية ومصر نفس المعارك ، ولو قصرنا الحساب على الشهور الاخيرة فقط لكان مدهشا أن المعارك التى خاضتها دمشق هى نفس المعارك التى خاضتها القاهرة ، معركة الاحلاف العسكرية معركة السلاح ، معركة عدم الانحياز ، معركة المؤامرات ، معركة التحرر الاقتصادى ..

بل ان سورية خاضت معركة قناة السويس ، بنفس العنف ، وبنفس القوة التى خاضت بها بور سعيد معركة قناة السويس .

وكذلك حاربت مصر معركة التهديدات الموجهة الى سورية ، واعصابها كلها فى دمشق ، وأمام أعصابها قطعة من جيشها احتل جندها مراكزهم جنبا الى جنب مع اخوانهم جنود سورية .

ولقد كان ذلك كله مدهشا ولكنه لم يكن من صنع الصدف .

لقد مهدت عوامل كثيرة وكبيرة ونبيلة وعميقة لهذا الذى ربط مصر وسورية مهدت الطبيعة ، مهد التاريخ ، مهد الدم ومهدت اللغة ، مهدت الاديان ومهدت العقائد مهدت السلامة المشتركة ومهدت الحرية . .

كذلك اشتركت فى التمهيد له تجارب من الالم والعذاب صنعها فرسان الطغيان الثلاثة : السجن والنفى والمشنقة .

ولكن ذلك كله كان يمهد لهذا الفجر الذى نشهد مطلعه بعد ليل طويل .

ايها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

لقد كان البشير بالفجر هو ذلك القرار الذى اتخذه مجلس النواب السورى ، واتخذه مجلسكم ، بالعمل فورا لتحقيق الوحدة بين مصر وسورية .

كان قراركم هذا تعبيرا عن واقع هائل لا يمكن تجاهله وصدى مستجيبا لنداء قدسى لا نستطيع أن نغلق آذاننا دونه .

ولم يكن هذا الواقع موجودا فى دمشق والقاهرة وحدهما ، كذلك لم يكن ذلك النداء القدسى فى هذا النطاق وحده لا يتجاوزه ، وانما كان الواقع موجودا فى كل أرجاء الوطن العربى .

وكان النداء هو هدير التيار المتلاطم بالموج ، ذلك التيار الذى شقت القومية العربية كلها مجراه ، وحددت له خط سيره .

وهكذا بدأت القاهرة محادثات نهائية لرسم الشكل الخارجى للحقيقة الواقعة .

ولقد كانت هذه المحادثات فى القاهرة تجربة جديدة فى التاريخ .

انها لم تكن اجتماعا يتم بناء على رغبة ساسة او حكام .

وانما كانت اجتماعات تمت بناء على ضغط والحاح وارادة عنيدة مصممة صادرة من قلوب الشعب .

ولقد كان خيرا على أى حال اننا تركنا الامور تصل الى هذا المدى .

فلقد كان ينبغى للشعوب أن تأخذ فرصتها كاملة حتى تثبت وحتى تؤكد لها الحوادث والتطورات أن طريق الوحدة هو طريق

القوة ، طريق الحياة . وان الساعة التى تطلع اليها اجدادنا ، وعمل من اجلها آباؤنا قد دقت اجراسها .

وانه قد كتب لجيلنا بعد ليل طويل ان يشهد مطلع صبحها .

كان معناه ان الذى تخيلوه فى المنى قد اصبح واقعا ، وان الذى ذاقوا من اجله الموت قد اصبح هو الحياة نفسها .

كان معناه ان الذى نصبت المشانق لتحول دونه قد اصبحت له وحدة قوة القانون وقدرته .

كان معناه ان الذى اصطنعت الفرقة بينه . قد عاد الى طبيعته التى اودعها الله فيه ، وكان متجانسا متحدا .

كان معناه ان السلاسل تكسرت ، وان السدود انهارت ، وان الحواجز سقطت . وان الشظايا المتناثرة والاجزاء المتفرقة توشك ان تعود الى بعضها بل الى كلها .

كان معناه ان سوريا ومصر ، قد قررتا تحمل المسئولية التاريخية التى تهيأتا لها ، بصفة كونهما بلدين عربيين خلص رمام الامر فيهما لابنائهما ، وتحققت لهما فى اراضيهما سيادة حقيقية ، واستقلالا كاملا .

كان ذلك هو معنى محادثات القاهرة .

ولقد انتهت محادثاتنا . الى اعلان الوحدة رسميا وتوقيع هذا الاعلان ، فى يوم السبت الاول من فبراير سنة ١٩٥٨ .

وقد اودع هذا الاعلان التاريخى ، فى مكتب مجلسكم ، وكانت النتيجة الكبرى له هى توحيد مصر وسورية فى دولة واحدة ، اسمها الجمهورية العربية المتحدة .

يكون نظام الحكم فيها ديمقراطيا رياسيا ، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة ، يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسئولين

امامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد ويكون لها علم واحد ، يظل شعبا واحد وجيشا واحدا ، فى وحدة يتساوى فيها ابناؤها فى الحقوق والواجبات .

ثم كان اتفاقنا بعد ذلك على المبادىء التالية لتقوم عليها الجمهورية فى فترة الانتقال :

١ - الدولة العربية المتحدة ، جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة ، وشعبها جزء من الامة العربية .

٢ - الحريات مكفولة فى حدود القانون .

٣ - الانتخاب العام حق للمواطنين على النحو المبين بالقانون ومساهمتهم فى الحياة العامة واجب وطنى عليهم .

٤ - يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الامة يحدد اعضاؤه ، ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ، ويشترط أن يكون نصف الاعضاء على الاقل من بين اعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الامة المصرى

٥ - يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية .

٦ - الملكية الخاصة مصونة ، وينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية ، ولا تنزع الملكية الا للمنفعة العامة ، ومقابل تعويض عادل ، وفقا للقانون .

٧ - انشاء الضرائب العامة أو تعديلها أو الغائها لا يكون الا بقانون ، ولا يعفى احد من ادائها فى غير الاحوال المبينة فى القانون ، ويجوز الغاء هذه التشريعات أو تعديلها .

٨ - القضاة مستقلون لا سلطان عليهم فى قضائهم لغير القانون .

٩ - كل ما قررته التشريعات المعمول بها فى سوريا وفى مصر تبقى سارية المفعول فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند اصدارها ،

١٠- تتكون الجمهورية العربية المتحدة من اقليمين هما : سوريا ومصر .

١١- يشكل فى كل اقليم مجلس تنفيذى ، يراسه رئيس يعين بقرار من رئيس الجمهورية ، ويعاونه وزراء يعينهم رئيس الجمهورية بناء على اقتراح رئيس المجلس التنفيذى .

١٢- تحدد اختصاصات المجلس التنفيذى بقرار من رئيس الجمهورية

١٣- تبقى احكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سوريا ومصر وبين الدول الاخرى ، وتظل هذه المعاهدات والاتفاقيات سارية المفعول فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند ابرامها ، ووفقا لقواعد القانون الدولى .

١٤- تبقى المصالح العامة والنظم الادارية القائمة معمولا بها فى كل من سوريا ومصر . الى ان يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية .

١٥- يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف القومية ، ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية .

١٦- تتخذ الاجراءات لوضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة .

١٧- يجرى الاستفتاء على الوحدة ، وعلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى يوم الجمعة الموافق ٢١ فبراير

وهنا لا بد لى من وقفة اتحدث فيها عن دستور ١٦ يناير ، الذى كان مجلسكم اعظم نتائجه .

ان هذا الدستور خالد ، ولم يكن معقولا أن الثورة التى وضعته ، واعلنت قيامه منبثقا من صميم ارادة الشعب ، وخلاصة تجاربه ، ترضى لهذا الدستور أن يسقط أو يضيع .

ولكن الدستور ، كما قلت لحضراتكم ، يوم كان لى شرف الحديث اليكم هنا ، فى يوم ١٦ يناير الماضى ، ليس مجرد النصوص الجامدة ، وانما هو الحركة الدائمة اليقظة ، فى اتجاه المستقبل الذى نسعى اليه ، وهو الاطار الذى ينظم هذه الحركة ، ويجمع صفوفها .

ولقد وقعت حركة هائلة جمعت شعبين من امة واحدة فى جمهورية متحدة وكان لا بد أن يتسع الاطار لكى يستطيع ان يضم النطاق الجديد .

لذلك كان لا بد لدستور ١٦ يناير أن يدخل فى تجربة حياة افسح وارحب . وكذلك كان لا بد لمجلسكم ، الذى كان اعظم نتائج دستور ١٦ يناير ، ان يدخل نفس التجربة .

قلت لحضراتكم مرة ، اننا نعتبركم مجلس الثورة الجديد ، باعتبار أن الثورة مستمرة ، وانه لما يدعو الى الامل أن تجربة الشهور القليلة التى مضت ، منذ بدأ مجلسكم يمارس عمله ، كانت تبشر بتعاون كامل ، يستهدف صيانة مصالح الشعب ، ويسعى الى بناء المجتمع الجديد .

وانه لحق علينا أن نقول لحضراتكم فى هذه اللحظة الفاصلة فى تاريخ شعبنا انكم كنتم على خير ما كنا نؤمل ونتمنى ، وأن مشاركتكم لنا فى المسئوليات كانت خير عون لنا فيما مضينا لتحقيقه من الامور .

وانه لما يسعدنى ، أن التطور العظيم الذى نعيشه ، لن ينهى صحبتنا على الطريق ، وانما هو على العكس ، سيقوى الاواصر

بيننا ، ويشد الصلات ، ويجعلنا فيما نحن مقبلون عليه أكثر اندفاعا وأصلب عودا ، وأعز وحده وتضامنا .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

على انني أرى ان من واجبي في هذه اللحظات أن أصارحكم وشعب الجمهورية العربية المتحدة كله معكم . ان الطريق الذي نقبل عليه طويل وشاق .

ان رحلتنا عليه ليست نزهة نروح بها عن النفس .

وانما رحلتنا هي مشاق ومتاعب ، وكفاح وجهاد .

ولكن هذه كلها هي الثمن العادل للامل الكبير الذي نسعى اليه .

ولسوف يضاعف من مصاعب ما سوف نلقاه امامنا على الطريق ان الذين لا تروقهم وحدة سوريا ومصر . ولا توافق أغراضهم ، لن يتقبلوها بالرضى والسكوت وانما ستكون المساعي ، وستكون المحاولات ، وستكون المناورات .

لهذا أقول لكم من الآن . اننا في سعينا على طريق املنا ، يجب أن نظل مفتوحي الاعين منتبهي الحس والوجدان .

ولكن علينا أن ندرك أن لهذه الفترة الرائعة اخطارها أيضا .

وربما كانت شهوات انفسنا أكبر الاخطار التي يتعين علينا مواجهتها ، لقد مرت علينا قرون من الزمان واحلامنا وامانينا ورغباتنا واهدافنا حبيسة وراء الحواجز والسدود التي صنعها الاستعمار .

ولقد تهاوت الحواجز والسدود ، لما زال وجود الاستعمار من بلادنا ، وهكذا بدأت الاحلام والامانى والرغبات والاهداف تنطلق من عقالها وتتدافع بسرعة في مثل تدفق الفيضان .

ولقد كان هذا هو التفسير الحقيقي لسرعة الحوادث في جيلنا ، وهذا أمر طبيعي ، بعد أجيال عديدة مكبوتة . ولكن هذا أيضا تحذير كما هو تفسير .

انه تحذير بان من أول واجباتنا أن نقيم من الحكمة خزانات على أمانينا ثم تفتح عيونها ليمر التيار .. على شكل الفيضان المظلم ولا يخر فوق رءوسنا كالطوفان العالي الشديد .

انني واثق أن التجربة التي نواجهها اليوم ستحقق كل ما يرجوه لها هؤلاء الذين عملوا لمشرق فجرها . طوال الليل المظلم .

وانه لمما يؤكد ثقتي ، ان الله تعالت قدرته ، قد جمع قلبنا بقلب خير رفيق ، وخير أخ ، وخير حبيب .

فقد أكد شعب سوريا بتجارب الايام ، تجربة بعد تجربة ، انه طليعة القومية العربية ، وانه راس الحربة في اندفاعها ، وانه الحارس الامين لتراثها المجيد .

لقد بزغ أمل جديد على افق هذا الشرق .

ان دولة جديدة تنبعث في قلبه .

لقد قامت دولة كبرى في هذا الشرق ، ليست دخيلة فيه ، ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعدية .

دولة تحمي ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، تشد أزر الصديق ، وترد كيد العدو ، لا تتحزب ولا تتعصب ، ولا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل ، تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتطيق .

وكان طبيعيا أن تقف قوى الاستعمار والرجعية ضد الدولة الجديدة ، التى أبرزت كيان القومية العربية .. والتى وقفت متحررة فى مواجهة قوى الاستعمار والرجعية ..

وبدأت المؤامرات على الدولة الجديدة .. مؤامرات يخطط لها الاستعمار ، ويعهد الى القوى الرجعية فى العالم العربى بتنفيذها أو يقوم بها بنفسه

ولم تتمكن الدولة الوليدة من أن تعيش حياة طبيعية بلا مؤامرات من داخلها أو من خارجها ..

القوى المعادية بدأت تدفع بأعدائها فى الداخل عن طريق الرشوة ، والخداع ، واستخدمت كل الاسلحة .. الحرب النفسية .. الشائعات .. الاموال .. تهريب السلاح .. تجنيد العناصر الخائنة ..

وكانت هناك خمسة عوامل رئيسية الهبت هذه القوى :

● **أولا** : الموقف السافر الذى اتخذته الدولة الجديدة من الاستعمار ، والذى جعل الاستعمار يفقد أعصابه ، ويتحرك بهستيرية ، وخاصة فى بعض الدول المجاورة لسوريا .

● **ثانيا** : صدور القوانين الاشتراكية التى كشفت بوضوح عن الوجه التقدمى للدولة الجديدة .. مما جعل الرجعية العربية كلها تخاف على مراكزها ، وقصورها واستغلت فى ذلك الدين كسلاح .. والحرب النفسية كسلاح ثان .. واخيرا سلاح التآمر .

● **ثالثا** : كانت الدولة الجديدة ذات أثر مباشر فى الدول العربية . وخاصة الدول المتاخمة لنا .. وكان قمة ذلك هو اسقاط الحكم الرجعى العميل فى العراق .. والقضاء على الحكم الملكى وعلى نورى السعيد بثورة ١٤ يوليو ، وهى الثورة التى استطاعت القوى المعادية ان تحتويها بعد ذلك .. وتضمها .

الى جانبها ، وتنحرف بها عن غايتها ، وتستخدمها كأحد ادواتها فى محاربة الدولة العربية المتحدة الجديدة .

● **رابعا** : الدور الذى لعبه حزب البعث العربى ، والخلافات التى نشبت بين أعضائه ، وخاصة بعد ان صدر قرار حل الاحزاب .. فمن ناحية لم يلتزم به حزب البعث وظل يمارس نشاطه سرا رغم أنه كان يشارك فى الحكم وفى اتخاذ القرارات ومن ناحية ثانية كان التنظيم الجديد « الاتحاد القومى » تنظيما وليدا .. وتسللت اليه عناصر انتهازية انقضت على تجربة الوحدة بعد ذلك .. فقد كان حزب البعث على حد قول عبد الناصر فى مباحثات الوحدة « يضربنا بالسياط ، بالشعارات « العملاء لا الشركاء » و « الاستعمار المصرى » .. وهذا الكلام . » ويقول عبد الناصر « حزب البعث تصادم معانا . معانا فى الجمهورية تصادم .. انا اقول انه كان السبب فى جريمة الانفصال : بهذا التصادم .. وباطلاق الشعارات . والتشويه والذى حدث من حزب البعث وانه « وقع حكم بالاعدام من حزب البعث السورى على الجمهورية العربية وعلى جمال عبد الناصر ، ولكن عدل ربنا ووعى الامة العربية لم يمكنهم مما أرادوا .. فلم ينفذ فينا هذا الاعدام ، ولا نفذ فى مصر . ولا نفذ فى عبد الناصر »

● **خامسا** : الاخطاء التى حدثت من الجانب المصرى ، وقد اعترف بها عبد الناصر ، وبأسبابها وقال « احنا برضه عملنا تعييم كبير جدا للعملية ، وبدانا بعد الانفصال على طول .. بحثنا ايه الاسباب .. وايه الاخطاء .. وايه كذا . .وايه كذا .. وتكلمنا فى جلسات على كل هذا » وقال عبد الناصر « احنا انتقدنا انفسنا نقد ذاتى .. » ولقد مارس عبد الناصر عملية النقد للاخطاء التى وقعت من الجانب المصرى فى زمن الوحدة ..

● **سادسا** : الرجعية العربية السورية المتمثلة فى الراسمالية السوريه التى اضيرت من عمليات التاميم أو حتى ضربت فى تطلعاتها وخاصة أصحاب الشركات والتجار الذين ساعدوا الانفصال بل

ومولوه لينقضوا على المكاسب الاشتراكية للجماهير

● **سابعا** : المد الشعبى والجماهيرى الذى بدأ ينمو ويعلو فى الاقطار العربية المختلفة ، وعجزت عن ايقافه كل وسائل الضغط والارهاب

واستطاعت القوى الرجعية أن تجهز على اول تجربة للوحدة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ـ بعد القوانين الاشتراكية بشهرين اثنين بارتكاب جريمة « الانفصال »

* * *

ولكن اروع مواقف عبد الناصر كانت فى بيانه الذى وجهه الى الامة العربية فى ٥ اكتوبر ١٩٦١ ، والذى تحدث فيه عن انجازات الوحدة فى خلال ثلاث سنوات ونصف ..

كان ذلك عقب نكسة الانفصال الذى حدث فى سبتمبر ١٩٦١ تحدث عبد الناصر عن الوحدة ، وتأثيرها فى المجالات العربية والدولية .. وعن حرية المواطن السورى التى حصل عليها بعد أن تحررت لقمة العيش برفع السيطرة الرأسمالية والاحتكارية عنه. بموجب الخطوات الثورية الاشتراكية ، وعن قانون الاصلاح الزراعى وملايين الليرات التى انفقت فى مجالات الزراعة والصناعة ومختلف مرافق الخدمات .. وخطة التنمية واستصلاح الاراضى .. وقال عبد الناصر : انه ليس من المهم أن تبقى سوريا قطعة من الجمهورية المتحدة ، ولكن من المحتم أن تبقى سوريا » ..

وطالب من الجامعة العربية ان تتحقق من ٣ مسائل رأى انها هامة وهى :

١ ـ أن كل احتياطى الذهب وغطاء العملة السورى موجود بسوريا كما كان قبل الوحدة

٢ ـ انه رغم دعايات الرجعية والاستعمار فان عدد المعتقلين فى سوريا كلها لم يكن يتجاوز ٩٥ شخصا وانه امر بحفظ عديد من قضايا التآمر على الوطن السورى

٣ ـ ان تتحقق لجنة الجامعة العربية من أن قوة المظلات التى هبطت فى اللاذقية مساء يوم الانفصال ٢٨ سبتمبر كانت تحمل تعليمات بعدم اطلاق النار ولم يكن معها ملايين الليرات المزيفة كما ادعت عناصر الانفصال .

وكذلك طلب عبد الناصر الى لجنة الجامعة العربية ان تتحقق من طبيعة الاعمال التى كان يقوم بها ابناء الاقليم المصرى فى سوريا وكيف زودت مصر سوريا بحشد من الأطباء والمهندسين والمدرسين لكى تسارع فى دفع عملية التطوير . وان احدا منهم لم يذهب ليسعل أو يفتح تجارة او ليجنى ربحا .

* * *

وتبقى بعد ذلك اجزاء من هذا البيان الهام لا بد من الرجوع اليها لانها تعكس فكر عبد الناصر حول الوحدة فى اشد لحظات المحنة والازمة . فقد جاء فى هذا البيان :

« اننى اكاد ارى الامة العربية ، مقدمة على محنة رهيبة ، واشعر ان واجبى يحتم على ان افعل كل ما فى وسعى ، كى اجنب الامة العربية هذه المحنة ، لكى يبقى لها دائما تنبهها الى الاخطار المحيطة بها ، وقدرتها على النضال من اجل اهدافها ، لا يشغلها عن ذلك شىء ، ولا يشد اهتمامها منه اى اعتبار مرحلى مؤقت .

« وانى لاقول لكم جميعا ، بضمير راض وقلب مستريح اننى لا اقبل ، مهما كانت الظروف ، أن ارى الشعب هنا ، والشعب فى سوريا ، اطراف معركة واصحاب خلاف وانشقاق .

« لا استطيع ان اتصور فى القاهرة ودمشق ، الا اخوة كفاح ، والا زملاء معركة والا شركاء قدر ومصير ، مع كل عاصمة عربية اخرى ، مع كل مدينة عربية ، مع كل قرية عربية .

« ولقد شعرت خلال الايام الاخيرة ، ان ما حدث كله ، قد فتح فرصة واسعة امام أعداء الامة العربية ، من قوى الاستعمار ، ومن

اعوانه ، ومن قوى الرجعية فى المنطقة ، ومن اعداء تقدم الشعوب .

« ولقد رايت راى العين ، فرحتهم جميعا فى هـذه الفرصة ، التى تفتحت منها لمصالحهم ، وعلى حساب المصلحة العربية .

« لقد احسست انهم يريدونها معركة يتقـاتل فيها عناصر ابناء الشعب السورى مع بعضهم . معركة تقع فيها الفتنة بين الشعب العربى فى سوريا ، وبين الشعب العربى فى مصر . معركة تقع فيها شعوب الامة العربية فى حيرة تتوه بعدها فى الظلام .

« اننى اذا كنت قد رفضت ان تكون الحرب العسكرية وسيلة الى تدعيم الوحدة فانى ارفض الآن ، أن تكون الحرب الاهلية بديلا لذلك ، لعلكم تذكرون ان الاجماع الكامل كان من الشروط الاساسية لقبول قيام الوحدة بين مصر وسوريا فى فبراير سنة ١٩٥٨

« وانى اليوم لا ارضى ، بأن تبقى وحدات من الجيش السورى متربصة بالشعب ولا ان تبقى جموع من الشعب متربصة بعناصر من الجيش السورى .

« ان الجيش السورى يتحمل مسئوليات كبرى تجاه العدو المشترك للامة العربية . ولن اقبل مهما كان من تصرفات الاخرين ، ومن اخطائهم ، بل وخياناتهم ، ان تتحول مهمة الجيش السورى الى عمل بوليسى »

« انكم تعرفون اننى داعية وحدة ، وانكم تعرفون موقفى عندما فرضت الارادة الشعبية السورية الحرة ، هذه الوحدة الشاملة فى فبراير ١٩٥٨ »

« انتم تعرفون انه كان من رايى أن الوحدة ، خصوصا فى فترات البناء الوطنى ، عملية شاقة ومرهقة ، وكان من رايى التمهيد لها تدريجيا ، على سنوات نتمكن خلالها من أن نضع الاسس الحقيقية لها قبل أن نقيم اطارها الدستورى ، لكنى نزلت على الارادة الشعبية السورية . وكنت اشعر فى اعماقى اننى بهذا احمى الوطنية

السورية ، واشارك فى انقاذ الوطن السورى مما كان يتهدده من اخطار »

« ولقد احسست بعد اتمام الاطار الدستور للوحدة ، الفرقة الداخلية ، وفى مواجهة ضغط القوى الاستعمارية ، انه ليس امامنا وقت نضيعه ، لهذا فقد كرست جهدى كله لعمليات البناء فى سوريا ، وكان تقديرى أن نمضى فى ذلك بأسرع ما نطيق ، لكى يكون هناك أساس للتقدم نحو الرخاء »

« فلقد تمت خلال ثلاث سنوات ونصف من الوحدة ، اعمال حقيقية لم تشهدها سورية فى كل تاريخها . اقول ذلك لا لكى اتفاخر به أو اتباهى ، وانما اقوله كأمر واقع ، تشهد به الارقام وتؤكد به قدرة الشعب السورى على بناء نفسه ، اذا ما اتيحت له الفرصة لتركيز جهوده واحسان توجيهها . »

« فى هذه السنوات الثلاث والنصف . حاولنا بكل جهودنا ، توجيه الشعب السورى الى تكريس جميع امكانياته فى اتجاه البناء ، بناء الوطن . وبناء المواطن »

« اننى اشعر فى هـذه اللحظات انه ليس من المحتم أن تبقى سوريا قطعة من الجمهورية العربية المتحدة . ولكن من المحتم أن تبقى سوريا . »

« اننى أشعر أن الذى يشغل بالى ليس هو أن أكون رئيسا للشعب العربى فى سوريا ، ولكن الذى يشغل بالى هو أن يكون الشعب العربى فى سوريا وأن يصان له كيانه . »

« ولست اتصور أن اقبل بحال من الاحوال ان ارى فتنة تهدد الشعب السورى او خطرا يتربص به او شـاغلا يشده ويبعثر طاقته عن ان تتجه بكل امكانياتها الى حراسة المكاسب الشعبية التى حققها فى عهد الوحدة ثم يجد ان ما فى يده يسلب منه يوما بعد يوم ، بينما هو مشغول بقضية فرعية مؤقتة سوف تحسمها فى نهاية المطاف حتمية التاريخ واعنى بها الوحدة .

« لهذا فانى اعلن على مسمع منكم جميعا ، يا أبناء الامة العربية اعلن ما يلى »

اولا : اننى اطلب الى جميع القوى الشعبية المتمسكة بالجمهورية العربية المتحدة وبالوحدة العربية أن تدرك الان أن الوحدة الوطنية داخل الوطن السورى تحتل المكانة الاولى . ان قوة سوريا قوة للامة العربية وعزة سوريا عزة للمستقبل العربى، والوحدة الوطنية فى سوريا دعامة للوحدة العربية وتمهيد حقيقى لاسبابها

ثانيا : لقد بعثت الان الى رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة الدائم لدى الامم المتحدة بان لا يقف فى وجه طلب قبول سوريا عضوا فى الامم المتحدة .

ولقد مر الان اكثر من اسبوع على ما حدث فى دمشق ولم تستطع الحركة التى قامت هناك أن تحصل على أى اعتراف دولى بها ، لم تعترف بما حدث فى سوريا حتى الان الا خمس دول ، واسميها بالدول تجاوزا .

وفى نفس الوقت فان العالم المتحرر قد عبر لى بحركات شعوبه وبرسائل زعمائه عن تأييده للجمهورية العربية المتحدة .

وانى اعتبر ان ذلك يكفى ، فلست اريد ان اقيم حصارا سياسيا او دبلوماسيا من حول سوريا ، فان الشعب السورى فى النهاية سوف يكون هو الذى يعانى من هذا الحصار ويقاسى .

ثالثا : لقد طلبت الى وزاره الخارجية أن لا تقف الجمهورية العربية المتحدة حائلا دون عضوية سوريا فى الجامعة العربية .

« على انى ارجو ان تقبلوا بصدر رحب بعد ذلك راينا فى نقطة اخيرة ، تلك هى أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لن تقبل الاعتراف بأى حكومة فى دمشق من جانبها ، الا بعد ان تتجلى ارادة شعبية سورية حرة تقرر بنفسها طريقها . »

« لا يفوتنى فى هذه اللحظة أن أوجه شكرى العميق وشكر الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة على المواطف النبيلة التى ابداها الشعب اللبنانى وحكومته تجاه ابناء الجمهورية العربية المتحدة الذين اخرجوا من سوريا بطريقة لا املك الكلمات لوصفها، وان كان يعزينى عنها ويعزى الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة، ان الشعب السورى ودع بدموعه كل ابناء الجمهورية العربية المتحدة العائدين اليها بعد أن خرجوا من سوريا » .

« كذلك لا يفوتنى أن أوجه شكرى العميق وشكر الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة الى جميع الشعوب العربية التى وقفت بمشاعرها وتأييدها مع اول تجربة للوحدة العربية . »

« وانى لاثق ، نفس ثقتى بالله ، ان هذه التجربة لن تكون الاخيرة وانما كانت التجربة عملية رائدة استفدنا منها الكثير فى تقديرنا ، وسيكون ما استفدناه ذخيرة للمستقبل العربى وللوحدة العربية التى أشعر أن ايمانى بها يزيد قوة وصلابة »

« ان التاريخ طويل امام الامة العربية والكفاح مستمر ويزداد عمقا بالتجربة .

« لقد حاولت جهدى أن أؤدى واجبى كجندى فى خدمة هذه الامة العربية وحاولت ان لا ادع مجالا لفرقة ولا أفتح طريقا لفتنة **ان عدوى وعدو امتى هو الاستعمار والرجعية المتعاونة معه والقاعدة التى يتحفز منها لضرب آمالنا هى اسرائيل** . ان املى هو حرية الوطن العربى وحرية المواطن العربى . »

« وانى لاثق فى حتمية الوحدة بين شعوب الامة العربية ثقتى بالحياة وثقتى بطلوع الفجر بعد الليل مهما طال . »

« أعان الله سوريا الحبيبة على أمورها ، وسدد خطاها ، وبارك شعبها ، وستبقى الجمهورية العربية المتحدة رافعة اعلامها مرددة نشيدها مندفعة بكل قواها الى بناء نفسها لتكون **سندا لكل كفاح عربى ولكل حق عربى ولكل أمل عربى . »**

يحلل بعد ذلك عبد الناصر اسباب الانفصال فيقرر عددا من الاسباب التى دفعت الى الانفصال وهى .

× اسرائيل وقفت دائما ضد الوحدة وخصوصا بعد ان حاصرتها دولة الوحدة واصبحت لاول مرة بين فكى الكماشة ..

× الاستعمار كان دائما يتصدى للوحدة يتصدى للقومية العربية .. كان الاستعمار يتصدى لفكرة التحرر .

× القوى الرجعية فى العالم العربى تحالفت مع الاستعمار ضد القومية العربية وضد الوحدة

× القوى المعادية للتقدم كلها تعادى الوحدة .. لان الوحدة رفعت شعار الثورة الاجتماعية وحولته الى واقع عندما اتخذت اجراءات بالقضاء على الاستغلال والقضاء على تحالف الاقطاع مع راس المال واقامة كفاية وعدل ، ومجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات .

« ولهذا كله فى سنة ٦١ تآمرت كل هذه القوى ضد الوحدة التى قامت سنة ٥٨ بين مصر وسوريا ، تآمر الاستعمار ، مع الصهيونية مع الرجعية من اجل فسخ هذه الوحدة ، وحصلت النكسة فى سبتمبر سنة ١٩٦١ . فهل اثر هذا فى ايمان الجماهير العربية بالوحدة ؟

« ابدا لم يؤثر .. شعرب الجماهير العربية بالحزن ولكنها لم تيأس .. بل سارت فى طريق الوحدة .. فى طريق القومية العربية، فى طريق الامل (١)

عبد الناصر والشعب المصرى لم يكفرا بالقومية العربية ولا بالوحدة رغم تجربة الانفصال المريرة .. وبعد الانفصال تأكد موقف الايمان بالقومية العربية من جديد عمليا عندما ذهب الجيش المصرى الى اليمن ليدافع عن حرية شعب اليمن فبعد نكسة الانفصال وفى سنة ١٩٦٢ قامت الثورة فى اليمن ، وتصدت لها قوى الاستعمار

(١) عيد الوحدة ١٩٦٦ .

وتصدت لها قوى الرجعية ولكن كانت وحدة النضال العربى تدعونا الى ان نساند اليمن فى وجه الاستعمار والرجعية التى كانت **تحاول بعد الانفصال أن تعزز النجاح وتأخذ مواقع جديدة فى العالم العربى .**

« كما ذهبنا الى اليمن كنا نشعر اننا نؤدى واجبا علينا تستدعيه المبادىء التى نادينا بها .. وحدة الضال العربى » .

وبعد نكسة الانفصال ، ومع سوريا ، بل واجلها ، كانت الاحداث التى وقعت فى العالم العربى ، واتخذت فيها مصر الناصرية العربية موقفا شجاعا عربيا انتهى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وايا كانت اسباب العدوان ونتائجه التى سوف يكشف الستار عنها ذات يوم فان الحقيقة الكبرى ان الموقف المصرى الناصرى كان رد فعل ونتيجة مباشرة للحشود الاسرائيلية على الحدود السورية ..

* * *

تجربة الوحدة بين مصر وسوريا .. كشفت عن ضرورة وجود المضمون الثورى للوحدة ، ونبذت الى الابد شعار وحدة الصف ..

فقد كان عبد الناصر يرى « ان الاستعمار الان غير مكانه ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب مباشرة ، بعد ان كان مخبؤه الطبيعى بحكم الظروف داخل قصور الرجعية .. ان الاستعمار نفسه دون ان يدرى ساهم فى تقريب يوم الثورة الاجتماعية وذلك حين توارى بمظاهر ردء العناصر المستغلة يوجهها ويحركها ..

« ان الاستعمار كشف نفسه وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها على التعاون معه وأصبح محتما على الشعوب ضربهما معا ، وهزيمتهما معا ، تأكيدا لانتصار الثورة السياسية فى بقية اجزاء الوطن العربى ودعما لحق الانسان العربى فى حياة اجتماعية افضل لم يعد قادرا على صنعها بغير الطريق الثورى (١) .

(١) الميثاق .

ويحدد الميثاق الفكر الناصرى كل ما يتعلق بالوحـــدة فى ٦ قواعد هى :

١ ــ ان التقاء القوى التقدمية الشعبية على الامل الواحد فى كل مكان من الارض العربية ، وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة فى كل مكان من الارض العربية ، هو فى حد ذاته دليل على الوحدة أكثر مما هو دليل على التفرقة .

٢ ــ **ان الوحدة لا يمكن بل لا ينبغى أن تكون فرضا** ، فان الاهداف العظيمة للامم يجب أن تتكافأ اساليبها شرفا مع غاياتها

ومن ثم فان القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة

انه ليس عملا غير اخلاقى فحسب ، وانما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية ، ومن ثم بالتالى فهو خطر على وحدة الامة العربية فى تطورها الشامل .

٣ ــ **وليست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة** لا مناص من تطبيقها ، لكن الوحدة العربية طريق طويل قـد تتعـــدد عليه الاشكال والمراحل وصولا الى الهدف الاخير .

٤ ــ **ان أى حكومة وطنية فى العالم العربى ، تمثل ارادة شعبها** ونضاله فى اطار من الاستقلال الوطنى . **هو خطوة نحو الوحدة** من حيث انها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الامال النهائية فى الوحدة .

٥ ــ **ان أى وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل ارادة شعبين او أكثر من شعوب الامة العربية ، هى خطوة وحدوية متقدمة ،** تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد لها ، وتمد جـــذورها فى أعماق الارض العربية .

٦ ــ ان استعجال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه ــ كما أثبتت التجارب ــ فجوات اقتصادية واجتماعية تستغلها العناصر المعادية للوحدة كى تطعنها من الخلف .

ان تطور العمل الوحدوى نحو هدفه النهائى الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود عمليـة لملء الفجوات الاقتصـــادية والاجتماعية الناجمة من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الامة العربية ، هذا الاختلاف الذى فرضـته قوى العـزلة الرجعيـة والاستعمارية .

ويحدد الفكر الناصرى أيضا دور الجمهورية العربية المتحدة فى العمل من أجل الوحدة فى عدة خطوات هى :

● ان جهودا عظيمة واعية يجب أن تتجه أيضا الى فتح الطريق أمام التيارات الفكرية الجديدة حتى تستطيع أن تحدث أثرها فى محاولات التمزيق ، وتتغلب على بقايا التشتت الفـكرى الذى احدثه ضغط ظروف القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين وما تركته دسائسه ومناوراته من رواسب تحجب الرؤية الصافية فى بعض الظروف .

● والجمهورية العربية المتحدة ، وهى تؤمن بانها جزء من الامة العربية ، لا بد لها أن تنقل دعوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى . ولا ينبغى الوقوف لحظة امام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها فى شئون غيرها .

ولا بد لهـا أن تحرص على أن تصبح طرفا فى المنـازعات الحزبية المحلية فى أى بلد عربى . ان ذلك أمر يضع دعوة الوحدة ومبادئها فى أقل من مكانها الصحيح .

واجبهـا المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنيـة فان هذه المساندة يجب أن تظل فى اطار المبادىء الاساسية ، تاركة مناورات الصراع ذاته للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه الى أهدافه وفق التطور المحلى وامكانياته .

● ان الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى .

انها مطالبة بأن تتفاعل معها فكريا من أجل التجربة المشتركة لكنها فى نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم .

● ان قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى امر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال . ان ذلك لا يؤثر — ولا ينبغى له أن يؤثر — على قيام جامعة الدول العربية .

* * *

عبد الناصر كان يرى أن أمل الوحدة بين الشعوب العربية لا يمكن أن يتحقق الا اذا سبقته وتأكدت قبله .. آمال أخرى للجماهير .. الحرية السياسية أولا قبل الوحدة .. والحرية الاجتماعية ثانيا قبل الوحدة

« فهناك ترابط كبير بين الاشتراكية والوحدة .. لذلك نقول باستمرار اننا لن نتحد أبدا مع أى بلد عربى الا حين يطبق الاشتراكية ، ويعلن ماذا يعنى بالاشتراكية »

● وكان عبد الناصر يرى « ان القوى المعادية للتقدم فى العالم العربى كلها تعادى الوحدة خصوصا بعد ان منحها النضال الثورى والجماهير مضمونا اجتماعيا » .

● وعبد الناصر كان يرى « ان اهداف الاستعمار من التجزئة والتقسيم واقحمة ، ضد العمل الوحدوى ، ومنع الاجزاء الممزقة من تحقيق وحدتها الطبيعية ، والقاء الشعوب كلها بهذا الخطر الذى يزرع فى قلبها واستنزاف طاقتها فى مقاومته .. وتهديدها بعد ذلك عسكريا من هذه القاعدة « اسرائيل » فى كل مرة يشعر فيها الاستعمار انه على وشك أن يواجه هزيمة التصفية النهائية (١)

● وعبد الناصر كان يرى « أن التخلف هو الشىء الوحيد الذى يضمن البقاء لاسرائيل على أرضنا الى الابد .. والخطر الاسرائيلى يتلاشى حتى قبل المعركة الفاصلة .. اذا تمكنت الامة

(١) فى حفل تكرم كونجرنت سنة ١٩٦٥

العربية أن تخلص نفسها من التخلف الذى فرضه الاستعمار عليها .. والذى تحاول الرجعية أن تفرضه الان » .

● وضع عبد الناصر عددا من المسائل التى تبلور آفاق العمل بالنسبة للوحدة العربية .. بعضها طرحه قبل عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ على الوطن العربى والبعض الاخر طرحه بعد العدوان ، وفى تضمن رأيه فى القوى الجديدة التى برزت بعد العدوان ، وفى مقدمتها منظمات المقاومة الفلسطينية وهى :

١ — بعد سنين من الانفصال فرضت ضرورات النضال العربى شكلا من اشكال الوحدة .. « وهى مؤتمرات القمة » « كنا نتساءل هل هذه التناقضات الموجودة بين الدول العربية تعيقنا عن العمل من اجل فلسطين . وكان رأيى أن هذه التناقضات رغم وجودها ، لكن يجب أن ننساها .. ونحاول مع الدول العربية بكل تناقضاتها المختلفة أن نعمل من أجل فلسطين (١)

« وان مقتضيات الدفاع العربى فرضت أن نتناسى الخلافات والتناقضات ونحاول أن نصل الى **وحدة العمل** من اجل فلسطين » .

٢ — معركة وحدة القوى الثورية معركة ايضا متشعبة متعددة الجبهات .. جبهة تعمل فيها القوى الثورية فى داخل أوطانها الصغيرة ، لكى تثبت وجودها وتثيرها ، وجبهة تلتقى عليها القوى الثورية معا ، وتنسق عملها معا وتحدد اهدافها ووسائلها معا (٢)

والجبهة الثالثة التى تتصادم فيها القوى الثورية مع التحالف المعادى لامال الامة العربية ، التحالف الثلاثى ، الاستعمار والرجعية ، على يمين الاستعمار واسرائيل على يساره .

(١) عيد الثورة ١٩٦٦

(٢) عيد الوحدة ١٩٦٧

٣ ـ المعركة مع العدو لها الاولوية على اى شيء .. والمعركة تقتضى أمة عربية واحدة فهى « تستدعى تعبئة كل بندقية عربية ، وكل جنيه عربى ، وكل فرد عربى .. وكل جهد عربى ، لا بد من جبهة عربية واحدة نواجه بها أعداءنا ..

٤ ـ ان هناك معركة واحدة ، وليس هناك معركة اخرى غيرها فى العالم العربى ، وهذه هى معركة الامة العربية ضد العنصرية الصهيونية المؤيدة بقوى الاستعمار .. لسنا من انصار انشاء محاور عربية ، لا نتدخل فى الشئون الداخلية لاى بلد عربى وانما تهمنا مساهمة كل بلد عربى فى المعركة .. نحن مع كل تغيير يزيد من القوى العربية المحتشدة من جل المعركة ، وضد اى صراع شخصى أو طائفى أو فكرى لا يكون من شأنه أن يضيف الى المعركة دائما ولا يأخذ منها »

٥ ـ ان حيوية الامة العربية رجالها ونساءها وشبابها تضغط تلقائيا وتحدث بقوة التطور ذاته معجزات هائلة (١)

٦ ـ بعد ١٩٦٧ وبعد النكسة حينما قال الاعداء ان الامة العربية قد تفتتت وان الامة العربية قد انتهت ، وان روح القومية قد ضاعت وان الثورات التقدمية فى طريقها الى الزوال (٢) بعد هذا شهدت ارض الامة العربية الثورة السودانية . . وحصل النضال العربى على دور ليبيا كاملا لصالح الثورة العربية ولصالح التحرير العربى .. بقيام الثورة فيها .

٧ ـ ان الشعب المصرى لم يكن فى هذه الوقفة التاريخية الرائعة فى جو الحرب .. وأمام مخاطر العدوان والارهاب .. وانما وقفت معه أمته العربية كلها تدرك دوره فى النضال .. وتوفى له حقه فى تحمل العبء الاكبر من تبعات المعركة المصيرية لدائرة » (٣)

(١) مجلس الامة نوفمبر ١٩٦٩
(٢) ٢٣ يوليو ١٩٧٠
(٣) ٢٣ يوليو ١٩٦٨

« كانت الجماهير قادرة على التمييز بين الذين يتاجرون بالكلمات . فى اسواق المناورات الضيقة ، ومزايداتها ، وبين الذين يتقابلون مع الموت فى ساحة ميدان القتال . »

٨ ـ ان الشعب الفلسطينى خرج ليأخذ قضيته بنفسه ويدافع عن حقوقه بنفسه . » (١)

« ان البعث الذى حدث لشعب فلسطين ظاهرة تكاد لا تصدق . ولكن هذه الظاهرة دليل حياة لا تموت ، وأصالة لا تتحول . ولا نستطيع فى هذا ان ننكر دور جماهير الشعب الفلسطينى . الشعب الفلسطينى الذى يرزح تحت الاحتلال يناضل نضالا مستمرا . »

« ليس هناك معيار أوفى ، ولا أدق ، من الموقف الذى يتخذه أى فرد أو اى جماعة ، أو اى حكومة ، من قضية المقاومة ومساعدتها ، والتمكين لها ، وتدعيم جهودها .

« لقد ظهرت المقاومة الفلسطينية ، واستطاعت المقاومة ان تحول الشعب الفلسطينى من شعب اللاجئين ، الى شعب من المقاتلين . واستطاع العمل الفلسطينى أن يفرض نفسه على كل العالم » .

« ان العدو سيحاول دائما ان يفرق بين ابناء المقاومة الفلسطينية ، وبين ابناء الشعب الفلسطينى .

« اننا نرى محاولات الاستعمار وعوانه فى الوقيعة بين رفاق المعركة الواحدة ، شركاء الواقع الواحد ، وكنا نرى فى ضراوة هذه المحاولات وجموحها الاستفزاز الخطير ولكننا كنا فى نفس الوقت ندرك أن اخواننا يرون من ذلك مثل ما نرى . وان وعيهم بضرورات الموقف اشمل وأعمق . بحيث يعطى لنفسه القدرة على تطويق كل هذه المحاولات وحصرها . »

(١) ١١ يونيو ١٩٧٠ .

● **أولا :** « المقاومة الفلسطينية ، ومنظمة فتح بالذات في مقدمتها تعتبر من أهم الظواهر الصحية ، في نضالنا العربي .. وهي التجسيد العملي للتحول الكبير الذي طرأ على الشعب الفلسطيني تحت ضغوط القهر وحوله من شعب لاجئين الى شعب مقاتلين .

● **ثانيا :** « اننا لا نتغافل عن بعض الاخطاء التي يمكن أن تكون قد صدرت عن بعض منظمات المقاومة ، ولكننا نعتقد أن الامة العربية عليها من موقف المحبة . وليس من موقف العداء أن تقوم وأن تصحح . »

« كل القوى في أمتنا العربية ، وكل الاطراف بل وكل الافراد عليهم أن يدركوا الى أعماق الاعماق ، أنه ليس امامنا جميعا بديل عن القتال من أجل الحق الذي نطالبه ومن أجل السلام الذي نسعى اليه .. ولا يمكن أن كون الحق تفريطا .. ولا يمكن أن يكون السلام استسلاما .. ومن هنا واجب القتال .. والقتال شيء غير الاقتتال .. والاقتتال رصاص طائش يعرض الاخ لسلاح اخيه .. القتال رصاص وهدف وعدو يحتل الارض .. القتال شرف .. والاقتتال جريمة . »

٩ ـ « تيار التاريخ يسير الى الامام .. والدول الكبرى التي حاولت أن توقف هذا التيار ، لم تستطع أن تتغلب على التيار الطبيعي للتاريخ ، بالنسبة لشعب آمن بأن القومية العربية والتضامن العربي ، سبيل الامان .. والسبيل الوحيد لحمايته .. والسبيل الوحيد لرفع مستواه .. والسبيل الوحيد لتطويره اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا . » (١)

١٠ ـ « الهزيمة دائما لاعداء التاريخ ، واعداء التقدم . (٢) والنصر دائما للسائرين مع تيار التاريخ .. مع تيار التقدم .. وهذه كلها معارك يتحقق فيها النصر لشعبنا . ولشعوب الامة

(١) ٢٦ نوفمبر ١٩٥٩ بدء تنفيذ السد العالي .

(٢) عيد النصر ١٩٦٦ .

العربية .. ولكن النصر النهائي في حرب المصير كلها .. يتحقق ويتأكد بالقوة الذاتية الشاملة في جميع الاتجاهات »

« ان التاريخ لا يعود الى الوراء .. وان حركة التقدم دائما الى الامام .. مع أماني الشعوب الحقة .. ومع آمالها العزيزة .. ان أمتنا العربية قادرة .. ان أمتنا العربية تتحرك .. الحرية والاشتراكية والوحدة لها المستقبل على الارض العربية .. معناها ان الاستعمار والرجعية واسرائيل تحارب معركة الماضي .. وانها سوف تذهب مع الماضي مهما طولت ومهما اشتدت ضراوتها .. ومهما جربت أن تتحدى الزمن » (١) .

١١ ـ الناس في بعض الاحيان .. يعيشون على الاحلام ، وهم بعد ذلك قادرون على تحقيق تلك الاحلام . لماذا كنا غير قادرين على تحقيق أحلام الوحدة بسبب التعقيدات التي تواجهها ، وبسبب الحقبة الطويلة التي عانينا فيها ، في بلادنا من الاستعمار فان الذين سيأتون بعدنا سوف يكونون قادرين على تحقيق ذلك .. يقولون انني رفعت شعار الوحدة العربية ، لا .. ان ذلك ليس صحيحا . ان هذا الشعار قديم وعندما كنت طفلا في المدرسة الابتدائية ، كنت أقرأ شعار الوحدة العربية . فهو اذن شيء في روح العرب .. وفي دمائهم فاذا لم نكن قادرين على تحقيقه ، فان ابناءنا يستطيعون تحقيقه (٢) .

١٢ ـ ليس المهم هو حساب الايام ، ولكن الاهم هو حساب النصر ، على الا تكون الايام ضائعة والا تتسرب ساعاتها بين أيدينا . »

(١) عيد الوحدة ١٩٦٧ .

(٢) من حديث مع محطة اذاعة كولومبيا الامريكية ، يوليو ١٩٦٥ .

و .. اثبت ابناء هذا الشعب دائما « انهم الامناء.. الامناء بالكلمة .. والامناء بالفعل (٣) » .

لم تكن الحرية والاشتراكية والوحدة ـ بالنسبة له ـ كلمات .. وانما كانت الحرية والاشتراكية والوحدة بالنسبة له اعمالا .. كانت كلها بالنسبة له قتالا .. وليس هناك علم شريف يرفرف على الارض العربية الا وكانت يد الشعب المصرى أول الايادى التى امتدت لتساعد على اقامته (٤) » .

---

(١) المؤتمر القومى ٢٢ يوليو ١٩٧٠ .

فى يقينى ان هـذا الـكتاب خطوة هامة وبناءة ومخلصة ، على طريق الوفاء لعبد الناصر ، بل لأنفسـنا ، باعتبـار أن عبد الناصر بفكره ونضاله ، كان تعبيرا عن فكر ، ونضـال الشعب العربى .. عن أنفسنا . وفى سـبيل الارساء الصحيح الصـادق والأمين لحقـائق المواقف النظرية للقائد المعلم .

وهى كما قال المؤلف ، المحاولة الأولى التى نرجو ـ كما تمنى ـ أن تتطور .. وتتضاعف ..

ضياء الدين داود

الثمن ١٠٠ قرش

مطبوعات دار الشعب

تصدر عن الشعب مؤسسة صحفية عربية

أخصائيون فى المطبوعات العاجلة

عضو اتحاد الصناعات

الإدارة : ٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة ـ ت ٣١٨١٠ • مكتبة دار الشعب ـ ت ٢٩٩٩١

التوزيع : مكتبة دار الشعب

المطابع : قصر العينى ـ ت ٣١٨١٠ ـ ٣١٨١٨ ـ ٣١٨١٩
دير النحاس ـ تليفون ٨٤٤٨١٠

رئيس مجلس الإدارة
السيد ابراهيم

رقم الايداع ١٩٧١/٢٨٦٤

١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م